دولة بني أمية الثانية في الأندلس

المفكر
الإسلامي

أحمد عزوز الفرخ

جمهورية مصر العربية
الإسكندرية



الشئون الفنية

إدارة الإيداع القانونى

إقرار بتسليم رقم الإيداع بدار الكتب

طبقاً لقانون حماية حقوق الملكية الفكرية رقم ٨٢ لسنة ٢٠٠٢

عنوان المصنف : دولة بني أمية الثانية في الأندلس

اسم المؤلف : أ/ محمد عزوز الفرخ

العنوان :

اسم الناشر:

العنوان :

اسم الطابع: العنوان :

الطبعة وتاريخها: عدد الصفحات : مقاس النسخة :

رقم الإيداع: ٢٠١٧/٩٤٦٢

الترقيم الدولى:

تحريرا فى: ٢٠١٧/٤/٩ رقم قومى:

المندوب: المستلم : محمد عزوز الفرخ

تاريخ إيداع النسخ: / / ٢٠ توقيع المختص:

يتم إيداع النسخ المقررة طبقا للقانون المشار اليه فى خلال ثلاثة اشهر من تاريخ الحصول على رقم الإيداع على الا يقل عدد الصفحات النسخة عن ٥٠ صفحة.

نقطة نور

يـــــارب

أقولها مدوية يسمعها الصحر والمدر والشجر والوبر ... بل يسمعها كل من بالفضاء الداخلي والخارجي ... كل الخطايا مغفورة مادامت لا تتعلق بحقوق غيرك من البشر والكبائر .

العبد لله
أحمد عزوز الفرخ



أحببت أولادي منـــذ كـــانوا يسكنون أحشـــاء أمهـــاتهم وعنـــدما كـــان ينقطـــع الحبـــل السري مع أمهـــاتهم كـــان يلتف هـــذا الحبـــل حـــول قلبي.

المفكر الإسلامي

أحمد عزوز الفرخ

جمهورية مصر العربية الإسكندرية

بطاقة تعارف بالمؤلف ونساء في حياته

✸ الأب الأكبر لعائلات الفرخ لهذه الشجرة هو :

محمد مصطفى محمد الفرخ

✸ أما زوجه فهي : مباركة محمد أبو صوان

وهي جدة أبي وأمي لأنهما أبناء عم أشقاء

✸ ✸ ✸ أما الأسماء الأعلى عليها فلم أجد مستند بذلك

✸ جدة كاتب هذه الاسطور للأب هي :

حبيبتي / نرجس السيد الفقي

✸ جدة كاتب هذه السطور للأم هي :

حبيبتي / فاطمة عبدالعال الكومي

✸ أم كاتب هذه السطور هي :

حبيبتي الغالية أمي / عزيزة عبد السلام محمد الفرخ

(٥ / ٤ / ١٩٢١ - ٢٦ / ١ / ٢٠٠١ م)

✸ أما زوجها أبي الكريم الحبيب :

أستاذي / عزوز أحمد محمد الفرخ

(٥ / ٥ / ١٩٢٠ - ١٩ / ٤ / ١٩٨١ م)

هنـاالعبيد لله / أحــمـد عـــزوز الفـــرخ ...

من لا يعرفني خاسر - اللهم لا أزكي عليك أحداً ولا رسولك الكريم (صلى الله عليــه وآلــه وســـلم)

ومن يعرفني ولم يغكر فيّ جاهل ... ومن يفكر فيّ ولم يحبني فلا يعرف معنى الحب الإنساني البشري ... ومن يحبني ولم يتيم بي فإنه لن يعرف معنى النشوة والسعادة في حياته ... ومن تيم بي وأصـــابه سهم نشـــوة الحب لله سبحانه وتعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما علمـــنا إيـــاه الإنســـان الأول سيـــد ولـــد آدم ولا فخـــر في الإخـــلاص ... أصبحت أسيـــر تحت جلده ... يتنفسني في هـــوائه ... وأزوره في أحـــلامه وأتحكـــم في دقـــات قلبه

باقة ورد

إلى قلبي المجاهد الذي لا ينام

أنت قلبي

تعمل طول العمر بلا راحة أو نوم ، جعلك الخالق القدير في مكان أمين محاطا بالضلوع حتى تتفرغ لي .

حجمك كما أعلم مثل قبضة اليد و وزنك أقل من نصف الكيلو لكنك والحمد لله أقوى عضلة في الجسم بلا منازع .. وتدفع الماء وهي – ماء الحياة – نحو ٧٠٠٠ لتر يوميا .

✸ وأنت – منكرا ذاتك – تدفع بالدماء لتتحرك إلى مسافة ٩٦٠٠٠ كيلو متر داخل جسمي أي أكثر من عشرة أضعاف طول نهر النيل – أطول أنهار العالم والأنهار التي تجري فيها دمائي تسمى الشرايين والشعيرات الدموية والأوردة.

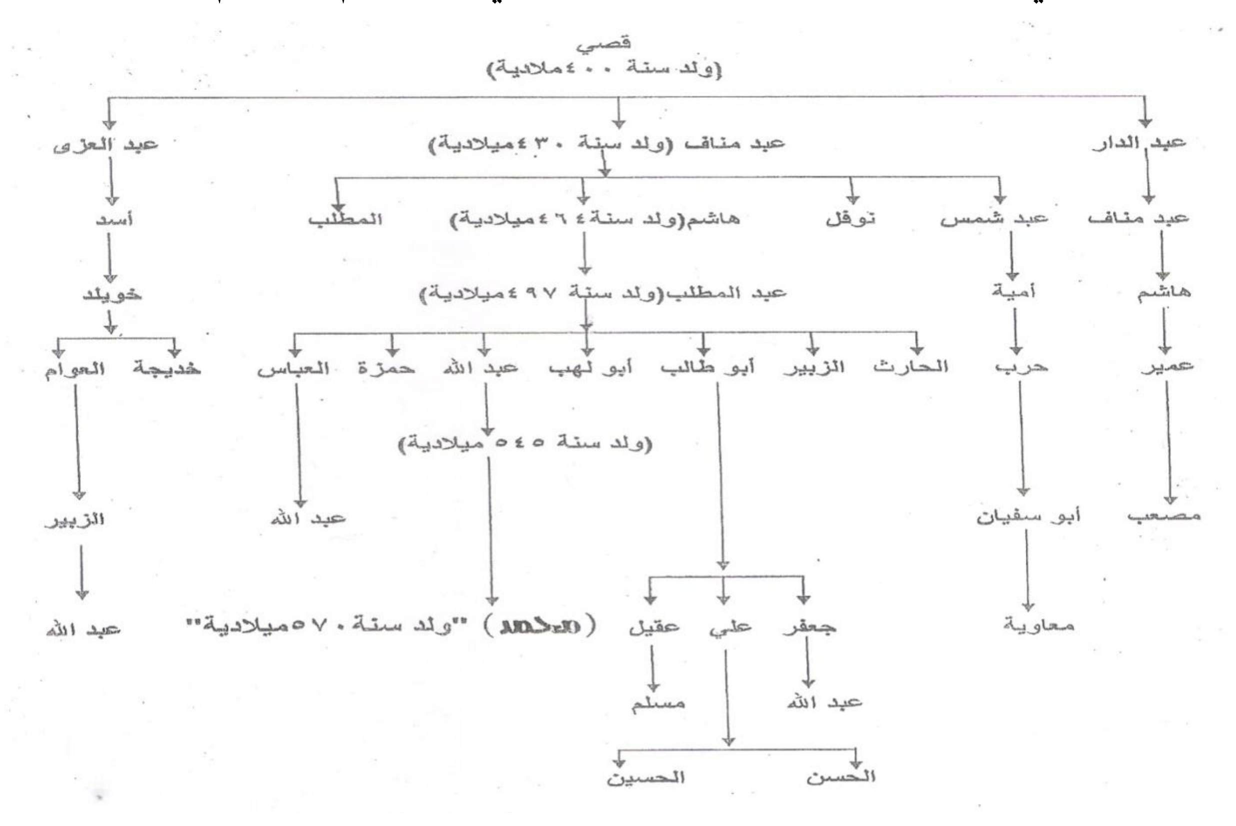
ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنك لا تخضع لأوامري فأنت إذا قلت لك توقف ، فلن تهتم بأوامري – وأنت إذا قلت لك انبض بعد أن توقفت بأمر الله سبحانه وتعالى فلا فائدة من إرادتي – فأوامرك مرتبطة بمشيئة الله تعالى في خلقه.

أنت رمز لموطن الإيمان قال تعالى (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) الحجرات / ٧

وأنت تعكس المشاعر التي تتمدد في المخ فيزداد نبضك عند الخطر أو الانفعال وعند العدو .. ولكنني أصارحك بأن أعظم فترة تمر بها وأنت توافقني على ذلك هي لحظات العبادة .. أحس كأن نبضك هو تكبير وتسبيح وشكر لله تعالى ...

ليس أصـــدق في روايـــة التـــاريخ وتحـــديد خصـــائصه من قصص حيـــاة الأشخـــاص الذين صنعـــوا هذا التـــاريخ وليس أصـــدق في رواية الحيـــاة العـــامة من الحيـــاة الخـــاصة إلا من خلقوا هذه الحيـــاة العـــامة ولعـــبوا على مســـرحها وأدوا الأدوار الكبـــرى فيـــها.

فالحيـــاة الخـــاصـة للكبـــار هـــي الصـــورة الخـــاليـــة مـــن التـــزييف للعصـــر الذي ينتمـــون إليه أو الذيـــن ينتمي إليهـــم ، وسيـــرة كـــاتب هـــذه السطـــور (مصـــري مســـلم ، سكندري المـــولد والنشـــأ والإقـــامة ، قـــدوته سيـــدنا محمد - صلى الله عليه وســـلم - وسيـــدة نســـاء العـــالمين أمي الحبيـــبة السيـــدة / خديجـــة بنت خويلد رضي الله عنها ، أم الإســـلام)



محمد رســـول اللـــه - صلى الله عليه وسلم - بن عبد الله بن عبد المطلب (شيبة) بن هاشـــم (عمرو) بن عبد مناف (المغيرة) بن قصي (زيد) بن كلاب (حكيم) وسمي كلابا لأنه كان يبيع التمر - أي بائـــع التمر - بن مـــرة بن كعب بن لؤي بن غـــالب بن فهر (قريش) بن مـــالك بن قيس (النضر) بن كنانة بن خـــزيمة بن مدركة (عامر) بن إلياس بن مضمر بن نزار بن معد بن عدنان.

وأيضـــا فهـــو محـــمـــد رســـول الله - صلى الله عليه وســـلم - أمه هي السيـــدة / آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة (وهو الأخ الشقيق " لقصي بن كلاب " وأمهما هي فاطمة بنت سعـــد بن سيـــل) بن كـــلاب بن مـــرة بن كعب بن لـــؤي بن غـــالب بن فهـــر بن مـــالك بن قيـــس بن كنـــانة بن خـــزيمة بن مـــدركة بن إليـــاس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

[إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما] (٥٦) سورة الأحزاب

ولا بـــد لنا أن نعرف من هـــو محمد رســـول الله - صلى الله عليه وســـلم - بن عبد الله بن عبد المطلب (شيبة) بن هاشم (عمرو) بن عبد مناف (المغيرة) بن قصي (زيد) بن كلاب (حكيم) وسمي كلابا لأنه كان يبيع التمر – أي بائع التمر – بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) بن مالك بن قيس (النضر) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (عامر) بن إلياس بن مضمر بن نزار بن معد بن عدنان.

(إن الله اصطفى كنـــانة مـــن ولـــد إسمـــاعيل ، واصـــطفى قريشـــا من كنـــانة ، واصطفى من قريش بني هاشم) حديث شريف " صحيح مسلم"

وأيضا فهـــو محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم - أمه هي السيدة / آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة (وهو الأخ الشقيق " لقصي بن كلاب " وأمهما هي فاطمة بنت سعد بن سيل) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وصلى الله عليك وعلى أهلك وزوجاتك أمهات المؤمنين حبيبات رسول الله وأصحابك ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

أمها : برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة.

جدتها لأمها : أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي.

ووالـــدة أم حبيب أي جـــدة (برة بنت عبد العـــزى) : برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عـــدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

اسم جـــدة آمنة (لأبيها) هي : قيلة بنت أبي كبشة وجز بن غالب الخزاعي.

ولم يكـــن (عبد الله بن عبد المطلب) – فتى بني هـــاشم – بين الذين تقدموا لخطبة (آمنـــة) – زهـــرة قريش – مـــع أنه الجدير بأن يحظى بيدها دونهـــم جميعا ، فما كـــان فيهم من يدانيه شرفا ورفعة وفتوة.

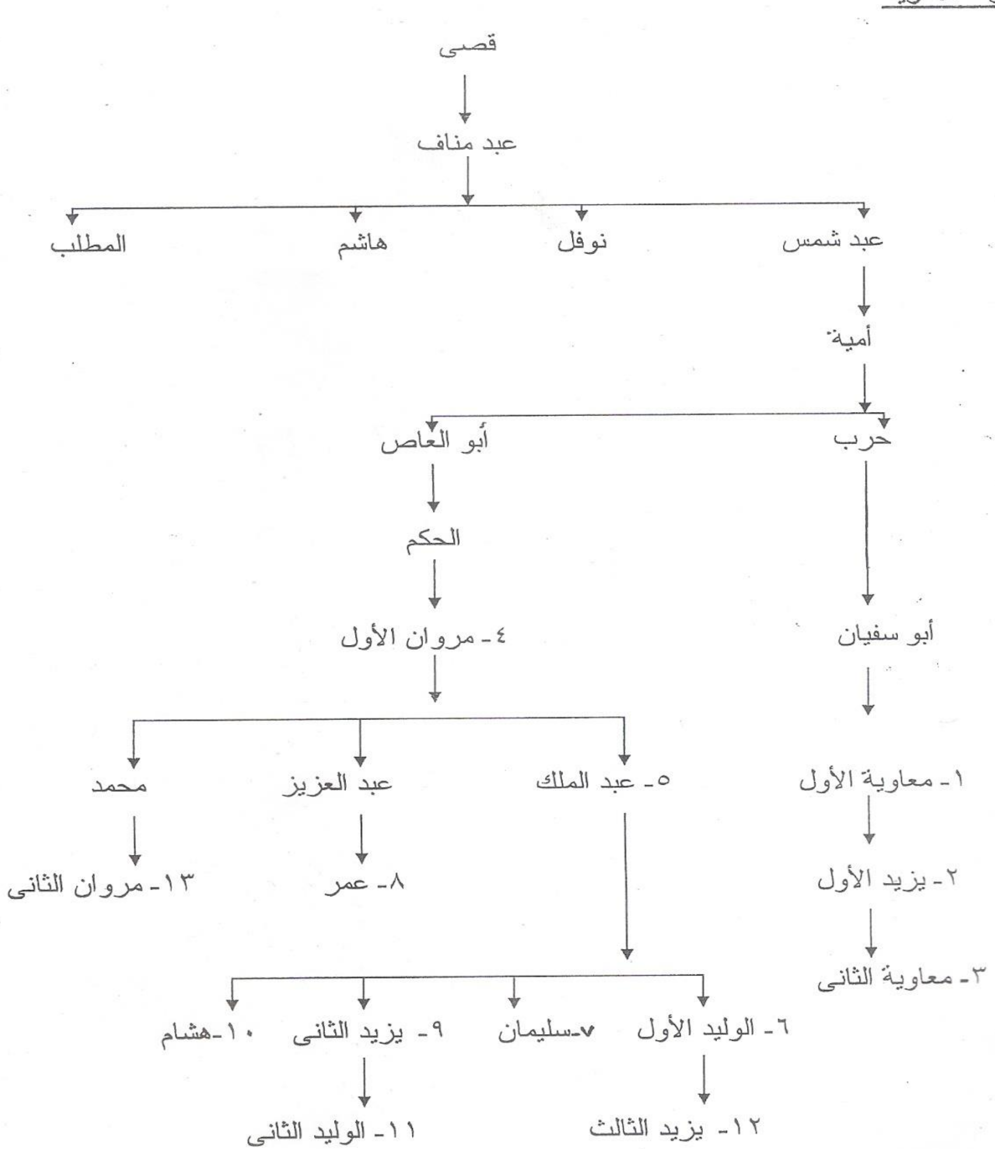
أبوه : (عبد المطلب بن هاشم) وفيه العمود والشرف ولم يبقى لهاشم عقب إلا منه ، وقد شرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبه قومه وعظم خطرة فيهم .

وأمه : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ... من صميم البيت القرشي ، وقد أنجبت لعبد المطلب : الزبير ، أبـــا طالب ، عبد الله ، وأم حكيم البيضاء - توأمة عبد الله – وعاتكة ، وبرة ، وأميمة ، وأروى .

وجـــدة (عبد الله) لأبيه : (سلمى بنت عمـــرو بن زيد لبيـــد بن خـــداش بن عـــامر بن غنـــم بن عـــدي بن النجـــار تيـــم الله بن ثعلبـــة بن عمـــرو بن الخـــزرج) أجـــداد ورهـــط كـــاتب هـــذه السطـــور . الأنصاري الخزرجي / أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى محمد الفرخ (التي كانت لا تنكح الرجال ، لشرفها في قومها،حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها ،إذا كرهت رجلا فارقته) .

وجدته لأمه : (تخمر بنت عبد بن قصي بن كلاب بن مرة) .

وأمها : (سلمى بنت عامرة بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر) .



فقد تولى من الفـــرع الأول ثـلاثة خـلفاء ، ومن الثاني عشـرة ، ومـدة خـلافة هذه الدولـة تبتدئ من اليـوم الذي بـويع فيه معـاوية بن أبي سفيان بيعة عـامة في ٢٥ ربيـع ٤١ هـ .. وتنتـهي بمقتل مـروان الثـاني بـن محـمد في ٢٧ ذو الحجـة ١٣٢ هـ .. وهـي (٩١ سـنة وتسـعة أشـهر) وهـي المـدة الـتي حكمت فيـها الدولـة الأمـوية .

ليس أصـــدق في روايـــة التـــاريخ وتحـــديد خصـــائصه من قصص حيـــاة الأشخـــاص الذين صنعـــوا هذا التـــاريخ وليس أصـــدق في رواية الحيـــاة العـــامة من الحيـــاة الخـــاصة إلا من خلقوا هذه الحيـــاة العـــامة ولعـــبوا على مســـرحها وأدوا الأدوار الكبـــرى فيـــها.

فالحيـــاة الخـــاصـة للكبـــار هـــي الصـــورة الخـــاليـة مـــن التـــزييف للعصـــر الذي ينتمـــون إليه أو الذيـــن ينتمي إليهـــم ، وسيـــرة كـــاتب هـــذه السطـــور (مصـــري مســـلم ، سكندري المـــولد والنشـــأ والإقـــامة ، قـــدوته سيـــدنا محمد - صلى الله عليه وســـلم - وسيـــدة نســـاء العـــالمـــين أمي الحبيـــبة ، وأم الإســـلام ، السيـــدة الفضلى/ خديجـة بنت خويلد رضي الله عنها)

إن فتح المسلمين الأندلس كان في الحق مغامرة حربية جريئة ، تمت دون إعداد سابق أو وفقا لخطة مرسومة ، وإنما كانت ثمة أحداث أملتها الظروف السياسية في إسبانيا القوطية تمخض عنها هذا الفتح ، وكان ذلك الفتح في واقعة وادي لكة في رمضان سنة ٩٢ هـ (يوليو سنة ٧١١ م) كانت نصرا حاسما لجيوش الإسلام الظافرة ، مهدت للمسلمين السيطرة الشاملة على سائر أنحاء شبه جزيرة إبارية ، باستثناء منطقة جبلية تقع في أقصى الشمال الغربي من قنطا برية على خليج بسكاية ، كانت تعرف عند العرب باسم صخرة بلاي [١] ، فرت إليها جماعة من القوط وبقايا الأيبيريين الرومان وأقاموا بها زمنا ينتظرون أن تواتيهم الفرصة ليجمعوا شملهم ، ويستردوا وطنهم ، واستهون المسلمون أمرهم ، فتركوهم وشأنهم ، وانصرفوا إلى منازعاتهم الداخلية ولم يدر هؤلاء الفاتحون أنه من هذه المنطقة الجبلية انطلقت أولى الحركات المناهضة للإسلام في أسبانيا ، والتي كانت تهدف إلى استرداد البلاد وتحريرها من الحكم الإسلامي.

وجاءت اللحظة التي انقسم فيها المسلمون على أنفسهم ، ودبت في صفوفهم عوامل الخلاف والفرقة ، فثار البربر على العرب ، وهجروا المناطق الجبلية الباردة التي تركها لهم العرب المسلمون في أقصى الشمال ، وانحدروا نحو الجنوب الذي اختص به العرب دونهم حيث الخصب والدفء والحياة.

وهنا شرع القوط وبقايا الأيبيريين الرومان في استغلال الفرصة ، وخرجوا من كهوف الجبال ، وأخذوا يحتلون الأراضي التي تركها البربر وراءهم ، وتم ذلك على نحو تجاوز كل تقدير في الحسبان ، دون أن ينتبه المسلمون العرب لحركتهم ، لانصرافهم إلى خصوماتهم القبلية ومنازعاتهم العنصرية ، وقويت بذلك شوكة نصارى أسبانيا في الشمال ، وتكاثرت أعدادهم ، وثبت أقدامهم ، وعزموا عزما أكيدا على استرداد وطنهم.

---

١ - نسبة إلى بلاية Pelayo الذي كان ابنا لفافيلا دوق قنطابرية ، كما كان الساعد الأيمن للملك القوطي لزريق ، فلما فتح المسلمون الأندلس ، وقع بلايه أسيرا في أيدي المسلمين ، وزج به في سجن قرطبة ، ولكنه تمكن من الفرار في أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنة ٩٨ هـ (٧١٨ م) ، وأخذ ينتقل في البلاد حتى استقر به المقام في بليدة كانجا دي أونيس ، وهناك التف حوله عدد كبير من القوط الهاربين من المسلمين وبعض الأيبيريين الرومان ، المقيمين في هذه الناحية ، فجمعهم بصخرة في أقصى الشمال الغربي من قنطابرية وأخذ يحثهم على الوثوب بالمسلمين ، ونجح في خطته ، وساعدته الظروف على تحقيق أمنيته عقب مقتل مونوسة البربري عامل أشتوريش وما يليها سنة ١١٣ هـ (٧٣١ م) انظر حسين مؤنس ، فجر الأندلس ص ٣٣٤ .

وهنا تنبه المسلمون إلى الخطر الجاثم ، وأعلن ولاتهم الجهاد لمدافعة النصارى ، والوقوف أمام حركتهم التي كانت ترمي إلى طرد المسلمين من الأندلس ، ولكن تنبهم جاء متأخرا ، بعد أن انتصر بلاي وأصحابه على جيوش المسلمين بقيادة ابن علقمة اللخمي في كوفا دونجا Covadonga أو مغارة أونجا ، وانهزمت جيوش المسلمين هزيمة نكراء ، وقتل ابن علقمة اللخمي ، وارتد المسلمين إلى استرقة ، وتقدمت جيوش بلايه واستردت ما كانت قد فقدته من قبل أيام عقبة بن الحجاج السلولي والي الأندلس ما بين عامي ١١٦ ، ١٢١ هـ (٧٣٤ – ٧٣٩ م) ، ويعتز الإسبان بهذه الموقعة ، ويجعلونها بداية موفقة لحركة المقاومة المسيحية في شبه الجزيرة ، تلك الحركة التي انتهت بإعادة البلاد إلى النصرانية بعد مضي ثمانية قرون من صراع مرير[٢].

وهكذا نجح بلايه في تأسيس مملكة اشتوريش الصغيرة التي كانت إيذانا بمولد الإمارات المسيحية في شمال الأندلس ، واتسعت مملكة أشتوريش الصغيرة ، وأخذت تضم إليها المناطق الشاسعة التي هجرها المسلمون منذ ثورة البربر التي أجلوا فيها العرب من جليقية واسترقة والمدن الواقعة خلف الجبال ، وانتهزوا الفتنة التي حدثت بين أبي الخطار و ؤابة بن سلامة الحذامي ، وضموا المناطق التي هجرها سكانها المسلمون في ليون وسمورة وشلمنقة وشنت مانكش وشقوبية وآبلة وغيرها [٣] ، وتم ذلك على يدي الملك الفونسو الأول (١٢١ هـ - ١٣٩ هـ) الموافق (٧٣٩ – ٧٥٧ م) الذي يسميه العرب أذفونش بن بطرة ويسميه لسان الدين بن الخطيب [٤] بالقاطوليقي أي الكاثوليكي ، وأصبحت منطقة الثغور أي الحدود التي تفصل ملك المسلمين عن ملك النصارى قبل تأسيس دولة بني أمية في الأندلس تبدأ من بنبلونة في الشمال الشرقي وتنحدر إلى تطيلة ثم وادي الحجارة ثم هنارس ثم طليطة ثم طليبرة ثم قورية وتنتهي عند قلمرية [٥] . بني أمية في الأندلس تبدأ من بنبلونة في الشمال الشرقي وتنحدر إلى تطيلة ثم وادي الحجارة ثم هنارس ثم طليطة ثم طليبرة ثم قورية وتنتهي عند قلمرية

---

٢ - افتتح جليقية وألبه وبنبلونة ولم يتبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة التي لاذا بها بلاي **(**انظر أخبار ص ٢٨**)**.

٣ - يذكر صاحب أخبار مجموعة أنه **"**لما كان في سنه ثلاث وثلاثين هزمهم وأخرج **(**المسلمين**)** عن جليقية كلها وتنصر كل مذبذب في دينه وضعف عن الخراج ، وقتل من قتل ، وصار فلهم إلى خلف الجبل إلى أستورقة حتى استحكم الجوع فأخرجوا المسلمين عن استورقة وغيرها ، وانضم الناس إلى ما وراء الدرب الآخر وإلى قورية وماردة في سنة ست وثلاثين ومائة ، واشتد الجوع فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا وريف البربر ممتارين ومرتحلين ، ص ٦١ ، ٦٢ .

٤ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٣٧٢

5 - G.Palencia . Historia dc la Espana Musulmana . P. 15 – Aguagdo BTcye Historia . P. 178

عصر الولاة

ناصر السكان

[6]تم فتح المسلمين للأندلس ، واستقرت أقدامهم في أرضها ، فتوزعوا مناطق سكانها فيما بينهم ، وشهدت الأندلس في هذا العصر الذي تبع الفتح الإسلامي مباشرة تنوعا في العناصر التي ضمتها إسبانيا الإسلامية من حيث الجنس والعقيدة والثقافة ، فلقد ضمت الأندلس مع العرب الفاتحين (البلديون) ، والعرب الوافدين (الداخلون) ، جماعة من الإسبان المسالمة ، أي الذين دخلوا في الإسلام ، والعجم الذميين أو المستعربين ، وهم الذين بقوا على دينهم في ظل الحكم الإسلامي ثم طائفة المولدين ،

وهم نتاج التزاوج بين رجال العرب ونساء الإسبان ، ثم البربر الذين دخلوا مع طارق بن زياد أو الذين هاجروا من بلاد المغرب ٧ ، إما بحثا وراء المغانم ، أو سعيا للاستقرار ، ثم طائفة اليهود.

أولا : المسلمون

أ- <u>العرب :</u>

دخلوا الاندلس على موجـــات متتابعة أو طـــوالع ، بالإضافة إلى من هـــاجر إليها من أهـــل الشـــام وغيرهم من العرب على أثـــر انتصـــار طـــارق بن زياد على القوط في موقعة وادي لكة ، وبعد أن استقرت أقدام المسلمين في الأندلس وسيتم فتحها على يدي موسى بن نصير وولده عبد العزيز.وأول هذه الطوالع طالعة موسى بن نصير (في رجب سنة ٩٣ هـ) وكانت تتألف من ثمانية عشر ألفا من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر ، وأغلبهم من قريش والعرب ووجوه الناس [٨] . ثم طالعة الحر بن عبد الرحمن الثقفي (في ذي الحجــة سنة ٩٧ هـ) ، إذ قدم واليا على الأندلس ومعه أربعمائة رجل من إفريقية.

فمنهم أول طوالع الأندلس المعدودين ، وكان أغلب عرب هاتين الطالعتين من اليمنيين ، وســـموا بالبلدين أو أهل البلد ، لأنهم استـــقروا في بـــلاد الأنـــدلس واعتـــبروا أنفسهم من أهلها وأصحابها.

---

6 - G.Palencia . Historia dc la Espana Musulmana . P. 15 – Aguagdo BTcye Historia . P. 178

٧ - ما كادت أنباء الانتصار الذي أحرزه جيش المسلمين في وادي لكة ، والمغانم التي ظفروا بها تصل إلى مسامع أهل بر العدوة ، حتى أقبلوا إلى الأندلس من كل وجه " وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر ". انظر المقري ، نفح الطيب ج ١ ص ٢٤٣ .

٨ - الرسالة الشريفية ص ١٩٢ .

ثم تأتي طالعة بلج بن نسر بن عياص القشيري في سنة ١٢٤ هـ (٧٤١ م) ، وأغلبهم من العرب القيسيين ، ممن تحصنوا سبته بعد هزيمة البربر لهم في واقعة الإشراف ، واضطر والي الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري إلى الاستعانة بهم ، على إخماد ثورة البربر في الأندلس ، فعبروا إلى الأندلس ويذكر ابن القوطية أن عدد جنود هذه الطالعة كان يقرب من عشرة آلاف ، منهم ألفان من الموالي ، وثمانية آلاف من العرب [٩] . وقد سمي عرب هذه الطالعة بالشاميين تمييزا لهم عن البلدين ، ولقد بدأ النزاع ينشب بين الشاميين والبلدين منذ أن أتم الشاميون مهمتهم في الأندلس ، وأرادوا الاستقرار فيها ثم تحول هذا النزاع إلى صراع بين العصبية اليمنية والعصبية القيسية.

ثم وفدت على الأندلس الطالعة الثانية من الشاميين ، وهم ثلاثون رجلا ، في صحبة أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبى [١٠] .

وهكـــذا أخذت الأندلس نموذج بمن وفـــد عليها من العرب ، واستـــقر هـــؤلاء في المنـــاطق الخصبة التي تفيض بالخـــيرات ، وكانوا مـــراكز قـــوية للعـــروبة ، وهي نـــواة الارستقراطية العـــربية ، التي ظلت غـــالبة على الأندلس حتى نهاية دولة الإســـلام ، وكانوا ينزلون في عمائر وقبـــائل وبطـــون وأفخـــاذ ، حتى قطع المنصور بن أبي عامر ذلك بقصد تشتيتهم ، (وقطع التحامهم وتعصبهم في الاعتزاء)١١.

وكانت جمـــاعات اليمنية تفـــوق جماعات العدنانية في الأنـــدلس عددا وقوة ، فقد ذكـــر المقـــري أنـــهم (الأكـــثر بالأنـــدلس ، والملك فيهـــم أرســـخ ، إلا مـــا كـــان من خلفاء بني أمية) [١٢] ، ونستطيع أن نستنتج مما ذكره ابن غالب الأندلسي في (فرحة الأنفس) وابن حزم في (جمهرة أنساب العرب) [١٣] .

أن المنازل التي نزلها العرب في سائر أنحاء الأندلس كانت تتميز بأنها أخصب مناطق البلاد ، وأطيبها ، فقد نزلوا في مدن السهول ، وعلى الأخص في سهول وديـــان نهر الوادي الكبـــير مثل فحص أشبيلية وقرطـــبة واستجـــة ، وفـــي الفحـــوص الخضـــراء لوادي شنيل ووادي تـــاجة ، ووادي إبـــرة ،

---

٩ - ابن القوطية ص ١٥

١٠ - ابن القوطية القرصي ص ٩

١١ - المقري ، نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٤

١٢ - نفس المرجع ج ١ ص ٢٧١ : ٢٧٩

١٣ - أبو محمد علي بن حزم القرطبي أنساب العرب ، وليقي بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨ .

وفي مـــروج شـــرق الأنـــدلس [١٤] ، وفي الســـواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية . ففي طليطلة استـــقر الوقشيون الكنـــانيون والأنصار ، وفي إشبيلية استقر بنو زهرة وبنو قيس بن عيلان وبنو عباد والباجي اللخميون ، وبنو هوازن ابن عكرمة ، والبلويـــون من قضـــاعة ، والحضرميـــون من حضرمـــوت ، وفي أوريـــولة بنـــو هذيـــل بن مدركـــة ، وفي بلنســـية بنو بكر بن هـــوازن ، وفي وادي آش بنـــو أسد بن ربيـــعة ، وفي غـــرناطة بنو عطية بن ربيعة ، وبنـــو عبد الســـلام من خـــولان ، وبنـــو أضحى من همدان ، وبنـــو جـــودي مـــن هـــوازن ، وبنـو القليعي من أزد ، وبنـــو الأحمـــر مـــن سعـــد[١٥، ١٦] بن عبـــادة ، أجـــداد كاتب هـــذه السطور .. سليل عـــرب المدينة المنـــورة .. الأنصـــار الخـــزرج .. سليل الصحابي الجليل .. أبي الأكـــبر قيس بن سعـد بن عبادة رضى الله عنهما ... المفكر الإسلامي .. أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى محمد الفرخ ، وفي قرطبة بنو حمديس من تغلب ، وبنو سراج من مذحج ، وبنو الأصبـــح من كهلان ، وبنو جـــهور من تغلب ، والحضرميـــون ، في أونبـــة ، وشلطيش بنو بكر بن وائـــل ، وفي سرقسطة بنو عذرة وبنو الخزرج ، وفي شقورة بنو غافق ...... إلى آخره.

وكان العرب يعيشون كالسادة الرومان والقوط ، إذ كانو يمتلكون إقطاعيات كبيرة ، يكلون أمر زراعتها ورعايتها إلى الفلاحين الإسبان أو الموالدين من العامة ، بينما يقيمون في ضيعاتهم أو مجاشرهم أو منياتهم بالقرب من المدن ، ولذلك كانوا يتمتعون بحياة الترف والنعيم ، وكان عرب بلد الأندلس (أشبه بالملوك) [١٧] في حياتهم عندما قدم عليهم عرب الشام لمساعدتهم في إخضاع بربر الأندلس.

كذلك اتخذ العرب الذين استقروا في المناطق الزراعية بعيدا عن المدن حصونا أو أبراجا للاحتماء فيها ، مثل حصن مراد الواقع بين إشبيلية وقرطبة ، وقلعة بني سعيد المعروفة بقلعة يحصب وتقع في إقليم غرناطة ، ومثل قلعة خولان الواقعة بين الجزيرة الخضراء وإشبيلية ، وقلعة جابر التي تقع شمالي إشبيلية ، وقلعة أيوب التي أقامها أيوب بن حبيب اللخمي في الثغر الأعلى ، وقلعة رباح الواقعة بين قرطبة وطليطلة ، كما أن بعض العرب أقاموا لأنفسهم ضياعا سميت بأسمائهم ، مثل منزل همدان ، بالقرب من غرناطة ، ومنزل طئ قبلي مرسية ، ودار بلي شمالي قرطبة .

---

14 - Levi – Provensal . historie T P R H

١٥ - اقرأ للمؤلف جدي الأكبر .. الصحابي الجليل / سعد بن عبادة رضي الله عنه

١٦ - اقرأ للمؤلف أبي الأكبر .. الصحابي الجليل / قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما .. الناشر دار الإسكندرية للكتاب / أمام باب كلية الحقوق / جامعة الإسكندرية / الأزاريطة / الإسكندرية.

١٧ - أخبار مجموعة ص ٣١

٢- <u>البربر :</u>

لعـــب البربر دوراً هـــاما في فتـــح الانـــدلس ، فقد كان الجيش الذي قـــاده طـــارق بن زياد يتألف كله من الـــبربر ، وما كادت أنبـــاء النصـــر الذي أحـــرزه طارق بن زيادعلى القوط تصل إلى المغرب ، حتى هرع إلى الأندلس عدد هـــائل منهم بغية التماس الغنائم أو الاستقرار في هذه البلاد الغنية ، وظلت بلاد المغرب مصدراً للهجرات البربرية إلى الأندلس حتى قيام دولة بني أمـــية ، بل إننا سنـــرى بعد ذلك كيف أن بعض خلفاء بني مروان يستكثرون من بربر العـــدوة ، ويعتمدون عليهم في جيـــوشهم ، وقد زودنا ابن خلدون بأسماء قبائل أربعة كان يتألف منها جيش طارق ، الذي دخل الأندلس ، وهي مطغرة ، ومديونة ، ومكناسة ، وهوارة ، وكلها متفرعة من زناتة [١٨] ثم يضيف ابن حزم في الجمهرة قائمة بقبائل أخرى وفدت إلى الأندلس ، وهي مغلية ، وملزوزة ، ونفزة ، وأوربة ، ومصمودة [١٩] .

ويذكر ابن حزم أن بربر بنو رزين (من مديونة) استقروا في السهلة [٢٠] وبني غزلون (من تيروال) في شاطبة ، وبني ذي النون (من هوارة) في وبذة ، وبني الفرج (من مصمودة) في وادي الحجارة ... إلخ ، ويؤكد الأستاذ ليبقي بروفنسال أن هـــؤلاء البربر استقـــروا بـــلا استثناء تقريباً في المناطق الجبلية التي لا يندر وجـــودها في شبه جزيرة أيبيريا ، ويعلل ذلك بأنه لم يكن لديهم الخيـــار ، لأن العـــرب اختصوا لأنفسهم بأكثر الجهات خصبـــا ، مثل فحوص الأندلس ، والمنيات الشرقية ، ولما كان البربر قد قـــدموا من بـــلاد جبلية ، فقد كـــان في مقـــدورهم التكيف باستقرارهم خـــارج المنـــاطق السهلة ، وذلك بشغل الأراضي المرتفعة في هضبـــة الميزيتا الوسطى ، وسفوح جبـــال السيرا ، حيث قاموا بتربية الماشية ، وغرس الاشجار ، ونعموا بحياة استقلالية ، لا يخضعـــون فيـــها للسادة العرب [٢١].

غـــير أن الدكتـــور حســين مؤنس لا يعتقد أن العـــرب لم يختصـــوا أنفسهم دون الـــبربر بأحســـن الأراضي ، ويرجع أسبـــاب ثـــورة البربر إلى ســـوء معـــاملة العرب لهم ، ويعـــزز رأيه بأن العـــرب الأوائـــل ، الذين نـــزلوا الأنـــدلس مع موسى بن نصـــير ، تحالفوا مع الـــبربر الذين دخلـــوا الأندلس مع طـــارق بن زياد وتسموا جميعا بالبلديين ، ونفـــر هـــؤلاء البلديون من العـــرب الشـــاميين ، أتباع بلج ، عندما أرادوا مشاركتهم في أراضي الأندلس ، ويؤكد الدكتور حسين مؤنس (أن المسلمين الاول الذين دخلوا البـــلاد عرباً وبـــربراً ، استقـــروا حيث نزلوا أو ســـاروا ، ولجـــأ فريق منهم إلى ما يناسب مـــزاجه من النواحي ، فأمـــا العرب ، فكـــانوا يفضلون دائما البسائط والمنخفضات والنواحي الدفيئة والقليلة المطر ، في الجنـــوب والشـــرق والغـــرب وناحية سرقسطة ، وأمـــا البربر فكـانوا في بلادهم يعيشون في بـــلاد جبلية عالية ، فألفـــوا مثل هـــذه البـــلاد في الأندلس ، فاستقروا فيها باختيارهم) .

---

١٨ - ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٦ ص ١٠٦ وما يليها.

١٩ - ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ص ٤٦١ - ٤٦٧

٢٠ - نلاحظ أن الاسم الإسباني في الحالي للسهلة (البرازين **Albarracin**) محرف من بني رزين.

21 - Lavi – Proveical . Historie .t.i.p.87

حقيقة أن بـربر الأنـدلس تحـالفوا مـع عـربها أي البلديين ضد الشاميين ، وتعصبـوا لعبد الملك بن قطن الفهري وقالوا لأهل الشـام : (بلدنا يضيـق بنا ، فاخرجـوا عنا [٢٢] ولكنهم تحـالفوا مع العـرب البلديين رغبـة في أن تتاح لهم الفرصة لينـالوا ثـأرهم من الشاميين الذين مزقـوا ثـورتهم في الأنـدلس ، فإذا فرغـوا كان لهم في أهـل البـلد رأي)[٢٣].

وحقيقة أن بربر الأندلس ثأروا على العرب في شمال الاندلس وفي جنوبه لسوء معاملتهم لهم ، رغم تفوق البربر على العرب في العدد ، ولكن يبدو أن أسباب الخلاف بين العرب والبربر ترجع إلى استئثار العرب بالأراضي الخصبة دون البربر ، وكان البربر لذلك كله يضمرون للعرب السوء ، وينتظرون فرصة مواتية فيثبون عليهم ، فلما بلغهم ظهور بربر العدوة على عربها وأهل الطاعة ، وثبوا في أقطار الأندلس ، فأخرجوا عرب جليقية وقتلوهم ، وأخرجوا عرب أسترقة والمدائن التي خلف الدروب ، فلم يرع ابن قطن إلا فلهم قد قدم عليه وانضم عرب الأطـراف كلها إلى وسط الأندلس ، إلا ما كان من عرب سرقسطة وثغرهم ، فإنهم كانوا أكثر من البربر ، فلم يهج عليهم البربر [٢٤] فالثـورة البربرية قامت بالذات في المنـاطق الشمـالية من الأندلس حيث كان يقيم العدد الأعظـم من البربر ، وقام بها البربر لطـرد العرب الذين قـادوهم لفتح هذه البـلاد الغنيـة ، وقد كـان أبو الخطـار عـادلا في توزيـع جنـود الشـام على أمـوال أهـل الذمـة من العجـم ، وبقى البلديون والبربر على غنائمهم ، وإذا كـان ابن حـزم قد ذكر قبـائل بربرية في منـاطق الأندلس الجنوبية ، فإن هـذا لم يحدث إلا في عهد متأخر لأن حركة الاسـترداد الإسباني دفعت الـبربر الذين كـانوا يقطنون المنـاطق الشمالية إلى الهجـرة جنـوبا ، وترك منـاطق الثغـور ، فاستـقرت جمـاعات من الـبربر منذ عصـر بني أميـة في الغـرب واسترامادور ، وفي المنـاطق الجبـلية التي تمـتد بين هـاتين المنطقتين نحـو الشمـال الشرقي حتى جبـال وادي رامـة ، كذلك كـانت المنـاطق الأنـدلسية التي أقـام بهـا الـبربر منـاطق مرتفعة مثـل مرتفعـات قرمـونة ، ومدينة شـذونة ، وشعـاب رنـدة ، ومـالقة ، وسفـوح جبـل شلـير بغرناطة [٢٥] ، وقـد اشتـهر من الـبربر بنـو الـبرزالي الذين نـزلوا بقرمونة ، وبنـوا اليفرني بـرندة ، وبنـو هرزون في شريش ، وبنو ذي النون بوبذة ، وبنـو رزين بالسهلة وبنـو عمـيرة بشاطبة ، وبنـو فرفرن بمـاردة ومدلين ، وبنـو إلياس بشـذونة ، كما نـزل آخـرون في الثغـور أمثـال بنـو سـالم بمدينة سـالم ، وبنـو عوسجة ،

---

٢٢ ـ أخبار مجموعة ص ٤٣ ــ المقري ، ج ٤ ص ٢١ .

٢٣ ـ المرجع السابق ص ٣٨ ــ ابن عذاري ج ٢ ص ٤٣ .

٢٤ ـ ابن القوطية ص ٢٠ .

٢٥ ـ حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ٣٨٤ وما يليها ــ لطفي عبد البديع ، الإسلام في إسبانيا ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٣٢ .

وبنـــو صبرون بن سبيب ، وبنـــو وهب بن عـــامر ، وبنـــو عزون ، وبنـــو نعمان ، في المنطقة التي تحيط بمدينة ســـالم ، والتي تضـــم شنتبرية ، والسهلة ، ووادي الحجـــارة ، وتمتد هـــذه الكتلة شـــرقا فتشمل تيروال والبونت ، ثم تمتد غـــربا فتشمل منـــاطق طلبيرة وماردة وقورية حتى المحيـــط عند قلنبيرة [٢٦] ، كما أن عـــددا كبيرا من البربر كان يسكن منـــاطق ما وراء الدروب أي شمـــالي نهـــر التاجة والدويرة [٢٧].

ولقد لعب البربر دورا هـــاما في تاريخ الأندلس ، إذ يرجع إليهم الفضل الأعظم في نشر الإسلام والجهاد في سبيله ، كما أنهم اختلطوا بأهلي البلاد اختلاطا وثيقا ، وكانوا للعرب أعوانا في تغلغل الإسلام في سائر أنحاء البلاد ، الأمر الذي يجعل الطابع البربري ظاهرة واضحة في جنوب الأندلس حتى الوقت الحاضر [٢٨].

٣- الموالي :

دخـــل عـــدد كبـــير مـــن مـــوالي بن أميـــة الأنـــدلس فـــي طـــالعة بلـــج ، إذ كـــان جيشـــه يتألف من ألفي مـــولى وثمـــانية آلاف من العـــرب ، ومنـــذ ذلك الحـــين أصبحـــوا يؤلفـــون حـــزبا هـــاما انضـــم إليه من كـــان في الأنـــدلس من موالي بني أمية ، وأغلب هـــؤلاء الموالي من أهـــل المغـــرب الذين دخلـــوا ولاء بني أمية أو عمـــالهم ، ومنهم بنـــو الخليع وبنو وانسوس ، وبقية المـــوالي من المشـــرق ، فمنهم دمشقيون ، وأردنيون ، وقنسريون ، وعراقيون ، وفرس.

---

٢٦ - أخبار مجموعة ص **٣٨** ، وكذلك نفهم ذلك من قوله **: "**وكانت قد راست البربر بالأندلس على أنفسهم ابن **.....** وحشدوا من جليقية واستورقة وماردة وقورية وطلبيرة فاقبلوا في شئ لا يحصيه عدد حتى أجازوا نهرا يقال له تاجة**"** ص **٣٩** وما يليها **.**

٢٧ - **Lavi – Proveical . Historie .t.i.p.88 -** حسين مؤنس ، المرجع السابق ص **٣٩٠**

٢٨ - ابن القوطية ص **١٥** ، ويذكر ابن القوطية أن الجيش الذي قدم به ، كلثوم بن عياض إلى إفريقية كان يتألف من ثلاثين ألافا منهم عشرة **(**ألف من **...)** بني أمية وعشرون ألفا من بيوتات العرب وظن دون خوليان ويبيرا أن هذه اللفظة الناقصة يمكن ملؤها بكلمة الموالي ، وفسر الدكتور مؤنس ذلك بأن المراد ببني أمية هؤلاء مواليهم من اهل الشام أو العراق وفارس **(**انظر فجر الأندلس ص **٣٩٨)** والواقع أن هذا النص الذي أورده ابن القوطية منقول عن ابن القطان الذي نقل عنه أيضا ابن عذاري إذ يقول **"** وفيهم عشرة آلاف من صلب بني أمية وعشرون الفا من سائر العرب **"** البيان ج **١** ص **٥٥** ، ج **٢** ص

وازداد عـــدد المـــوالي في الأنـــدلس بعد دخـــول بلج الأندلس وأصبحـــوا يؤلفـــون طـــائفة قـــوية تعرف بالأمـــويين[٢٩]، وازداد الأمـــويون في الأنـــدلس قـــوة بعد سقـــوط دولة بني أمية في المشـــرق وفـــرار عدد هـــائل منهـــم إلى افريقية والأنـــدلس ، بحيث صـــاروا بدخول عبد الرحمن بن معـــاوية الأنـــدلس ومحـــالفته لليمنية [٣٠] قـــوة كـــبرى غلبت قـــوة أهـــل الشـــام والمضرية كلها ، وقـــد نجـــح مـــوالي بـــني أميـــة في تأسيس دولـــة بني أميـــة في الأنـــدلس ، وذلك لاتحـــادهم والتفـــافهم حـــول عبد الرحمن بن معـــاوية [٣١] كذلك دخـــل في جمهرة المـــوالي بالأنـــدلس عدد كبير من الإسبـــان الذين دخلـــوا في ولاء بني أمية بعد الفتح الإســـلامي ، أمثـــال بنو قسي ، وبنـــو بارون ، وبنـــو غومس بن قـــارلة ، وبنو مرتين [٣٢]، وأصبحـــوا موالي اصطناع التماسا لحماية بني أمية [٣٣]، وقد لعب الموالي دورا هـــاما في تاريخ الأندلس في العصـــر الإســـلامي ، إذا اعتمد عليهم بنـــو أمية ، وقلدوهم أهـــم مناصب الدولـــة لتفانيهم في الإخـــلاص لها [٣٤] ، فكان منهـــم الوزراء ، والكتـــاب ، والقـــواد ، والقضـــاة ، ونجح المـــوالي في كـــورة إلبيرة في تأسيس دولـــة على رأسها عبد الوهـــاب بن جرج [٣٥] أيـــام الفتنة الأولى.

٤- المسالمة :

وإلـــى جـــانب العنـــاصر الإســـلامية الســـابقة ، مـــن عـــرب ومـــوالي وبـــربر ، كـــانت جمـــاعة الإســـبان الـــذين دخلـــوا الإســـلام ، ويسميـــهم مـــؤرخـــو العـــرب المســـالمة ، وقـــد كـــان لسيـــاسة التســـامـح الحكيـــمة الـــتي ســـار عليـــها الفـــاتحـــون العـــرب عقـــب الفتـــح ، أثـــر كبـــير فـــي إســـلام عـــدد هـــائـل مـــن الإســـبان ، وبالتـــدريـــج نبـــذ كثـــير مـــن أهـــل الـــذمـــة دينـــهـم المســـيحـــي ، واعتنـــقـــوا

---

٢٩ - ورد اسم الأمويين عند خروج بلج من قرطبة لمقابلة جيوش عبد الرحمن بن علقمة ومن معه من أعداء الشاميين ، وكان مع بلج "عشرة آلاف من الأمويين والشاميين " ابن القوطية ص ٨٦ .

٣٠ - أخبار مجموعة ص ٨٣ .

٣١ - حسين مؤنس – فجر الأندلس ص ٤٠٣

٣٢ - حسين مؤنس – فجر الأندلس ص ٤٠٤

٣٣ - نفس المرجع ص ٤٠٧

٣٤ - ازدادت مكانة الصقالبة في عهد عبد الرحمن الناصر ، فاصبحوا يلقبون بالفتيان الأبناء – ويسميهم ابن القوطية أبناء نعم الخلفاء (تاريخ افتتاح الأندلس ص ٨٣) .

٣٥ - ابن حيان – المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، نشرة منشور أنطونية ، باريس ١٩٧٣ ص ٣٢ .

، إمــا بحثا وراء مصلحـة شخصـية ، أو إيمـانا صـادقا بهذا الدين الذي ضمن للمسـألة الوقـوف مـع العـرب على قـدم المسـاواة ، والـواقع أن الفاتحـين العـرب لم يتعرضـوا لأهـل الذمـة بضـر ، ولم يفرضـوا عليـم الدين الإسـلامي ، قهـرا [٣٦] جريا على سيـاسة لا إكـراه في الدين ، ثم إنهم كـانوا يعتـبرونهم من أهـل الكتاب [٣٧] ، وقد دخـل كثـير من هـؤلاء الإسـلام بمحض إرادتهم ، لأن الذمي إذا أسـلم ، كـان ينتقل إلى وضـع المسـلم دون تفريق أو تمييز ، وهـو على نقيض ما كـان يحدث في المشـرق الإسـلامي [٣٨] ، وعلى هـذا النحـو دخـل كثير من أهـل الأندلس الإسـلام ، وأصبحـوا فـي عـداد المجمـوعة الإسـلامية ، وتـلاشى كـل شئ يتصـل بأصـلهم [٣٩] ويعتقـد الدكـتور حسـين مـؤنس أن أغلبيـة الجمـاعات الأولى التي أسلمـت من الإسبـان ، كـانت من العبيـد ورقيـق الأرض ، فقد كـانت حـالة رقيـق الأرض من السـوء بحيث بـدا الإسـلام في نظـرهم كمخـرج من المتـاعب التي كـانوا يئنون تحت ثقلها [٤٠] ، كذلك دخـل الإسـلام كثـير من الـزراع ، وأهـل المـدن على اختـلاف طبقـاتهم ، فتسـاووا جميعـا في ظـل الإسـلام.

٥- **المولدون :**

لما كـان الفـاتحون العـرب والبربر قد تركوا نسـاءهم في بـلادهم ، فقد أقبـلوا على مصـاهرة الإسـبان ، أهـل البـلاد ، ومضـوا على هـذا النحـو ، يتزوجـون من الإسبـانيات ما شـاءوا ، وعـاشروا أهـل البـلاد ، وجـاوروهم ، وعن طـريق المجـاورة والمصـاهرة ، انتشـر الإسـلام في الأندلس انتشارا تجـاوز كل تقدير في الحسـبان ، وهكذا امتزجت دمـاء الفاتحين من العرب والـبربر بدمـاء أهـل البـلاد ،

---

٣٦ - Levi Provencal Histoire t.i.p 32

٣٧ - Levi Provencal Histoire t.i.p 73

٣٨ - يقولون فلهوزن : " لم يكن العرب ينظرون إلى الموالي في المشرق نظرتهم إلى أنفسهم ، فإذا كان الموالي في الجيش ، فإنهم كانوا يحاربون مترجلين ، لا على الخيل ، وكانوا إذا برزوا ينظر إليهم بشئ من الريبة ، وهم وإن كانوا يتقاضون رزقا ويأخذون نصيبا في الغنيمة ، فإنهم لم تكن لهم أعطيات ثابتة فلم يكونوا مقيدون في الديوان ، أعني في سجل المقاتلة ، الذين تفرض لهم الأعطيات ، ومع أنهم كانوا قد اندمجوا في القبائل العربية ، فإنهم كانوا يسمون أهل القرى تمييزا لهم عن أهل القبائل ، ومع أنهم كانوا مسلمين ، فإنهم لم تسقط عنهم الجزية ... ولو أن العرب عاملوا من دخل في الإسلام من الأعاجم معاملة المساوين لهم لكان ممن الممكن أن يتحقق مزج بين الأمتين ، ولكن العرب بما صنعوا ربوا في أحضانهم اعداء لأنفسهم (يوليوس فلهوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة الدكتور / محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٤٧٢) وقد حاول عمر بن عبد العزيز أن يمزج الرعايا الأعاجم بالعرب عن طريق الإسلام ، وذلك بأن سوى بين الداخلين في الإسلام وبين العرب من الناحية السياسية وبأن أسقط عنهم الجزية ، ولكن يظهر أن هذا المبدأ لم يلبث أن ألغي في عهد خلفه (نفس المرجع ص ٤٣٩)

٣٩ - حسين مؤنس ، فجر الأندلس ص ٤٢٩ .

٤٠ - نفس المرجع ص ٤٣٠ – حسين مؤنس – فجر الأندلس .

ونشأ من ذلك جـــيل جديد من آبـــاء مسلمـــين عـــرفوا بالمـــولدين ، وكـــان عبد العـــزيز بن موسى بن نصـــير أول مـــن تـــزوج بإســـبانية ، إذ تـــزوج من ايخيلونا Egilono أرمـــلة لذريق ، فحذا حـــذوة كثـــير من رجـــال العـــرب أمثـــال زيـــاد بن النـــابغة التميمي ، الذي تـــزوج هـــو الآخـــر من إحـــدى أمـــيرات إسبانيا [41] وعيسى بن مـــزاحم الذي تـــزوج من سارة القوطية Sarre Le Gothe بنت المند بن غيطشة [42].

وقـــد احتـــفظ كثـــير مـــن المـــولدين بأسمـــائهم القـــديـــمة ، أمثـــال : بنو أنجلـــين Angelino[43]، وبنـــو شبرقة Sabarico [44]، وبنـــو الجـــريج Jorge [45]، وبنـــو لنتق Longo ، وبنـــو القبطـــرنة Kabtuno [46]وبنـــو مردنيش Mfartinez ، وبنو غرسيه Garcia وبنو ردلفRodolfo [47].

ومـــن الـــولاة والمـــولديـــن الـــذين احتفظـــوا بأسمـــائـــهم القـــديمة بنـــو موسى بن فـــرتون القســـوى أصحـــاب تطيـــلة والثغـــر الأعـــلى فـــي عـــهد بني أمية [48]،وكـــان جـــدهم فـــرتون Fortun قـــومس Comes الثغر في عهد القوط ، ومع أن هـــؤلاء المولدين كانوا يدينون بالإســـلام ، ويتخذون نـــوع الحـــياة التي يتخذها المسلمـــون الـــوافدون على الأندلس ، فإنهم لم يفقدوا شخصيتهم الـــذاتية باعتـــبارهم إسباني الأصـــل [49] ، وقد تألفت من المولدين جمـــاعات كبـــيرة في مدن إسبانيا الهـــامة مثل طليطلة التي كـــانت مـــركزا من أهـــم مراكز العصبية المـــولدة ودعـــوى المـــولدين ، وكانت تضم أكـــبر طـــائفة منهم ، وقد ظـــهر ذلك في حركـــاتهم الثـــورية المتعـــددة ، وميـــولهم الانفصـــالية عن سلـــطان قـــرطبة ، وكـــان يتولى طليطـــلة أمـــير منـــهم ، ومن هـــؤلاء الـــولاة عمـــرو الـوشـــقى المـــولد [50]، ولب بن طربيشة [51] .

---

٤١ - أخبار مجموعة ص ٢٠ .

٤٢ - ابن القوطية ص ٦ ، تزوجت سارة بعد وفاة زوجها عيسى سنة ١٣٨ هـ من عمير بن سعيد وولدت له حبيب بن عمير جد بني سيد وبني حجاج وبني مسلمة وبني حجز الجزر ، وهؤلاء أشراف ولد عمير بإشلبيبية.

٤٣ - ابن حيان – المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، نشره الأب منشور م . أنطونية ، باريس ١٩٣٧ ص ٧٠ .

٤٤ - منهم محمد بن عمر بن خطاب بن أنجلين أحد زعماء المولودين بإشبيلية في عهد الأمير عبد الله (انظر المرجع السابق ص ٧٤)

٤٥ - المرجع السابق ص ٧٤- Dozy , Histoire , t . I . t , P 40

٤٦ - Levi Provencal Histoire t.i.p 76

٤٧ - ابن حيان ، المرجع السابق ص ١٦

٤٨ - ابن حيان ص ١٦

٤٩ - Levi Provencal Histoire t.i.p 76

٥٠ - ابن القوطية ص ٤٦

٥١ - ابن حيان ، المقتبس ص ١٨

كذلك كانت إشبيلية معقلا من معاقلهم ، فقد كانوا يمثلون أكبر طائفة من سكان مدينة إشبيلية ، وكانوا يعملون بالتجارة والإدارة ولذا جنوا أرباحا هائلة ، وكانوا يجنحون إلى السلم ولذلك لم يفكروا في الثورة ضد أمراء قرطبة الذين يعتبرونهم حماتهم [٥٢]، إلا في أواخر عهد الأمير عبد الله وذلك لمواجهة العصبية العربية المتزايدة ، وكان مولدو إشبيلية بالذات يتمتعون بعطف الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وذلك لأن أبناء سارة القوطية وهم بنو حجــاج وبنو مسلمة وبني سيد وبني حجز الجــزر ، كان يحيطهم برعايته ، لأنه كان قد شاهد أمهم في دمشق وهو صبي ، فحفظ لها ذلك بالأندلس ، فكانت إذا أتت إلى قرطبة أذن لها ولأولادها في دخول القصر [٥٣] .

ولقد تعصب المولودون لأصلهم الإسباني – مع كونهم مسلمين – وتحالفوا مع العجم أو النصارى في الأندلس ، وسنرى كيف استغل المولدون فرصة ضعف دولة بني أمية أيام الأمير عبد الله ، وثاروا في نواحي مختلفة من الأندلس ضد السلطة المركزية ، ففي ببشتر غلب عمر بن حفصون ، وفي ماردة وبطليوس ثار عبد الرحمن بن مروان المعروف بابن الجليقي ، (وكانت دعوته عصبية المولدين على العرب) [٥٤]، وفي شنت مرية باشكونية ثار يحيى بن بكر بن ردلف [٥٥].

---

٥٢ - Dozy , Histoire de l, Espagne . Musulmane , t.II,p.40

٥٣ - ابن القوطية ص ٥ ، والمصادر الآتية :

Dozy : Fgstoire , T.PP. Ho – Simonet.historia de Espana , P. 248 .

Levi - Provencal , Histoire . T.I.P 35 8 et 39

٥٤ - ابن حيان ص ١٥

٥٥ - نفس المرجع ص ١٦

ثانياً : العجم أو المستعربون

هـم نصـارى الإسـبان الذيـن كـانوا يعـاشـرون المسلمـين ويتكلمـون العـربية مـع احتفـاظهم بدينهـم ولـذلك عـرفوا بالمستعـربين ، وكـان العـرب يسمـونهـم بعجـم الذمـة ، أمـا مـن كـان لهـم عهـد منهـم فقـد سمـوا بالمعـاهديـن ، وكـان المستعـربون أو العجـم فـي الأنـدلس يؤلفـون جمهـرة سـكان البـلاد فـي السنـوات الأولـى الـتي تبعـت الفتـح الإسـلامي ، ولكـن عـددهم أخـذ يتنـاقص تدريجيـا بينـما أخـذ عـدد المسـألة يـزداد يومـا بعـد يـوم ، ومـا لبث المسـتعربـون أن أصبـحـوا بمـرور الزمـن أقلية في الأنـدلس بالنسـبة للمسـالمين والمـولدين ، وقـد عـومـل هـؤلاء المستعـربون منـذ الفتـح معـاملة طيبـة ، فتمتـعوا بحـرية كبـيرة في إقـامة شعـائر دينـهم ، وأقـرهم مـوسى بـن نصـير "علـى أمـوالهـم ودينهـم بـأداء الجـزية ، وهـم الـذين بقـوا على ما حيـز مـن أمـوالهـم بـأرض الشـمال ، لأنهـم صالحـوا على جـزاء منـها مـع أداء الجـزية فـي أرض الثمـرة وأرض الـزروع علـى ما فعله خـير من اقتـدى بـه

بيهود خيـبر في نخيلهم وأرضهم " [56] . وهكذا عاش النصارى جنبا إلى جنب مع المسلمين في أحياء خاصة لهم ، وكان لهم رئيس في كل مدينة يعرف بالقومس [57] ، كما كان لهم قاض نصراني يفصل في منازعاتهم يعرف بقاضي العجم [58] ، وإذا كان المتخاصمون مسلمين ومسيحيين ، فإن القاضي الذي يفصل بينهم كان قاضيا مسلما يعرف بقاضي الجند ، ثم سمى فيما بعد بقاضي الجماعة [59] وعلى هـذا النحـو كان على القاضي المسـلم أن يكون ملما إلمـاما كبـيرا بالقـانون القوطي والشريعة الإسـلامية ، حتى يوفق بينهما دون أن يتقيد بنص أحدهما ،

---

٥٦ ـ الرسالة الشريفية ص ١٩٩

٥٧ ـ كان أرطباس أول قمامسة الأندلس ومنصب القومس وضعه الأمير عبد الرحمن بن معاوية (انظر ابن القوطية ص ٣٨) وكان قومس الأندلس القومس الأعلى في البلاد ، وكان حق تعيينه في يد الأمير الأموي ، أما القمامسة المحليين فكان ينتخبهم النصارى في كل مدينة.

٥٨ ـ كان القاضي حفص بن البر أول قاضي للعجم (ابن القوطية ص ٥) وكان يتبع القوانين القوطية القديمة في أحكامه.

٥٩ - التباهي ، وتاريخ قضاة الأندلس ، المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره ليفي بروفنسال القاهرة ١٩٤٨ ص ٢١ .

وبذلك طبق المسلمون سياسة من التسامح على أهل الذمة من النصارى سواء كانت أرضـــهم عنوة أو أرض شمل [60] ، فتركوا لهم كنائسهم باستثناء الكنـــائس التي قســـمها المسلمون بينهم وبين النصارى ، وأقـــاموا فيـــها مســـاجد جـــامعة ، مثل جامع قرطبة الذي أقيم في شطر من كنيسة شنت بنجنت San Vicente ، كذلك كـــان Santa rufina ومسجـــد رفينة الـــذي أقيـم في كنيسة سانتا رفينة في الطـــريق مـــن قـــرطبة إلى Guadimellato للنصـــارى أديرتهم مثل ديـــر أرمـــلاط الـذي أقامه الراهبـان San juan de la pena طليـــطلة [61] ، وديـــر ســـان خـــوان دي لابنيـا وفليكس في عـــهد عقبة بن الحجاج الســـلولي في شمـــال إسبـــانيا ، وكـانت إشبيلية Voto الأخوان في العصـــر الأمـــوي مركزا أسقفيا هاما [62] ، وكان أول مـــن تولى أسقفية إشبيلية المطـــران ابن المند بن غيطشة [63] ، وهـــذا دلـــيل على أن المسلمـــين تركـــوا النصـــارى أحـــرارا في إنشـــاء ما يريدون من الأديـــرة [64] ، وكـــان للنصـــارى كنائسهم في أحيـــائهم الخـــاصة بـــهم بقـــرطبة وسرقسطة وطليطلة وأشبيلية ، وكـــانوا يقرعـــون نواقيســـهم رغـــم ما كـــان يسببه هـــذا من إزعـــاج المسلمـــين وإثـــارة بعض المتعصبـــين منـــهم عليهم ، وفي قـــرع النواقيس دلالـــة واضحة على تســـامح المسلمـــين وتركهم النصارى يمارسون شعائر دينهم في حرية تامة ، وقد نظـــم ابن حـــزم أبيـــاتا فيها ذكر لقـــرع النواقيس منـــها :

أتينى وهلال الجو مطلع قبيل قرع النصارى للنواقيس [٦٥]

ووصف الشـــاعر أبو عـــامر بن شهيد إحـــدى الكنائس فقـــال : " وقد فرشت بأضعاث آس ، وعرشت بســـرور واستيناس ... وقرع النواقيس يبهج سمعه ، وبرق الحميا يسرح لمعه ، والقس قد بـــرز في عبـــدة المســـيح متوشحا بالزنانير ، أبـــدع توشيحا [٦٦] ، وظل النصارى يتمتعون بحريتهم الدينية حتى حـــد المـرابطون منـــها ، وأخـــذوا يضطهدونهم ،

---

٦٠ - الرسالة الشريفية ص ١٩٩ .

٦١ - ابن عذارى ، البيان المغرب ج ٣ ص ٧١ وما يليها .

٦٢ - Isidro de las Gagigas ios Mozarabes t.I,P.58

٦٣ - ابن القوطية ص ٤ .

٦٤ - Simonet,Historia de los Mozarabes de Eqana P.tgo

٦٥ - ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والألاف نشره ليون برشيه ، الجزائر ١٩٤٩ ص ٣٤٧ .

٦٦ - المقري نفح الطبيب ج ٢ ص ٥٢ .

فقد طـــالب ابن عبدون في كتابه عن آداب الحسبة ، أن يمنع قـــرع النواقيس من الكنائس ، وأن يرتدي المسيحيون واليهـــود ثيابا معينة ، وألا يركب أحد منهم جواداً ، وألا يشتري مسلم رداء ارتداه مسيحي أو يهودي [٦٧] ، ويغلب على الظن أن هـــذا الاضطهـــاد بدأ عقب توسع الحـــركة الاســـترداد المسيحي في قلب إسبـــانيا الإسلامية واتهـــام المسلمـــين لهـــؤلاء المستعربـــين بالتجسس عليهم لمصلحة الدول المسيحية في شمال إسبـــانيا ، وخاصـــة بعد حمـــلة ألفونسو المحـــارب سنة ١١٢٥ م [٦٨] التي اجـــتاح فيـــها بـــلاد الإســـلام حتى أدرك قرطبة وإشبيلية ، وزاد اضطـــهاد الموحدين لهم فنفـــوهم إلى بـــلاد المغـــرب حتى يكـــونوا بعيـــدين عن مـــؤازرة الممـــالك المسيحية في الشمـــال ، واستـــطاع عـــدد كبـــير من المستعربـــين التســـلل من الأنـــدلس إلى هذه الممـــالك الشمـــالية ، وكـــان الخليفة أبو يوسف يعقـــوب المنصـــور أشـــد خـــلفاء الموحدين وطـــأة على أهـــل الذمـــة [٦٩] .

وقد بـــرز من المستعربـــين شخصيات لعبت دورا هـــاما في تـــاريخ الإســـلام ، بالأنـــدلس مثـــل الأسقف ربيـــع بن زيد المعـــروف في المدنـــونات الإسبانية بريسموندو **recemundo** ، ومطـــران طليطـــلة عبيد الله بن قـــاسم ، وأســـقف قـــرطبة أصبـــغ بن عبد الله بن نبيل ، كما نبـــغ منـــهم مترجمون قـــامـــوا بترجمة كثـــير من الكتب القشتالية إلى العـــربية بحكـــم إجادتهم للغـــة العربيـــة واللغـــة اللاتينية الحديثة ، وكانـــوا على هـــذا النحو حلقة الاتصـــال بـــين الثقافة العربية والأوربيـــة ، كذلك لعب المستعربـــون أو العجـــم دورا سيـــاسيا هـــاما بمحالفتـــهم للمولدين ضد العـــرب في عصـــر الأمير عبد الله .

ثالثاً : اليهـــود

عانى اليهـــود كثـــيرا من اضطـــهاد القـــوط والرومـــان لهم ، وقد بـ0020ـلغ هذا الاضطـــهاد مبلغا كبـــيرا إذ قـــرر المجـــمع الطليطلي الثـــامن ضـــرورة تعميدهم وحرمـــوا عليهم إقـــامة شعـــائرهم الدينية ، ثم أرغـــم اليـــهود في عـــهد الملك إرفيج على التنصر ، فبدأ اليـــهود يتآمرون ســـرا ضد القـــوط ، فأســـرف القـــوط في سياسة الاضطهاد واعتبروا القوط جميعا أرقاء يجب توزيعهم على المسيحيين ، وعملوا على فصل أولادهم عنهم وتنصيرهم ، وحاول إخيكا أن يخفف عنهم هذا التعسف ولكنهم عادوا إلى التآمر على القوط بمجرد إحساسهم ببعض الحرية ، وذكروا أنهم اتصـــلوا بيهود المغـــرب وســـألوهم إغراء العـــرب بفتح الأندلس ، وعـــلم الملك بهذه الخـــطة فعـــاد إلى سياسة الاضطـــهاد التي جـــرى عليها أســـلافه ، ولا نستبعد اتصـــال اليهـــود في الاندلس بيـــهود المغرب واستنجادهم بالعرب ، على الرغم من انعـــدام الأدلة التـــاريخية على ذلك ، لأن العـــرب عاملوا اليـــهود أحسن معاملة عند دخـــولهم الأندلس ، وكـــانوا يثقون فيهم ويعـــهدون إليـــهم بحـــراسة المـــدن المفتـــوحة مع العـــرب .

---

٦٧ - ابن عبدون ، آداب الحسبة – ترجمة الأستاذ ليفي بروفنسال تحت عنوان **Le Thaite' de Ifisba** باريس ١٩٤٧ ، والنص العربي نشره في مجلة **Journal . liaigur** عدد أبريل – يونيو ١٩٣٤ ص ١١٢ ، ١١٣ .

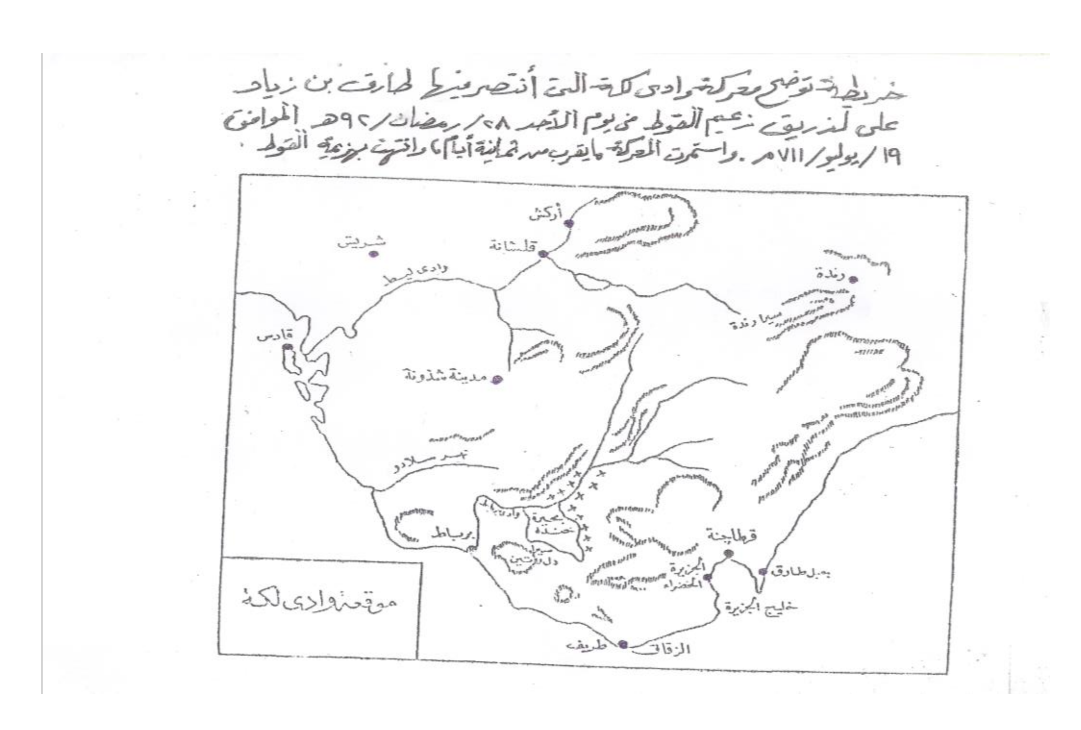
68 - Coera , decadencia y disaparicion de los almoravides en fspana PP.

٦٩ - المركشي ، المعجب ص ٣٠٥ .

وتمتـــع اليهود بتسامح كبـــير من جانب العـــرب ، لمـــؤازرة اليـــهود لهم عـــند الفتح [٧٠] ، وكانت غـــرناطة تزخر بأكـــبر جـــالية يهودية ، فسميت لـــذلك باغرنـــاطة اليـــهود [٧١]، وقد لعب اليـــهود دورا هـــاما في العلـــوم العـــربية في الأنـــدلس ، فـــترجمـــوا الكـــتب العـــربية إلى العـــبرية واللاتينـــية ، ونبـــغ منهم كثـــيرون في الطـــب والفـــلسفة والفـــلك والكيـــمياء أمثـــال حداي بن شـــفروط طبيب عـــبد الرحمن الناصر ، وموسى بن ميمون الفيلسوف وإبراهيم بن سهل الإسرائيلي الشاعر .

وقـــد تجـــاوز نفوذ اليهود في عصـــر ملوك الطـــوائف الحـــد خـــاصة في مملكة غرناطة ، فكان لابن نغريلي الإســـرائيلي كل الســـلطان في غـــرناطة .

وأمـــام هذا الخلـــيط العجيب من الأجـــناس تكتلت العـــناصر العـــربية وألفت نـــوعا من العصبية ، وظـــهرت آثـــار ذلك في صـــراع العـــرب مـــن جـــهة مـــع الـــبربر ، ومـــن جـــهة أخـــرى مـــع المـــولدين .



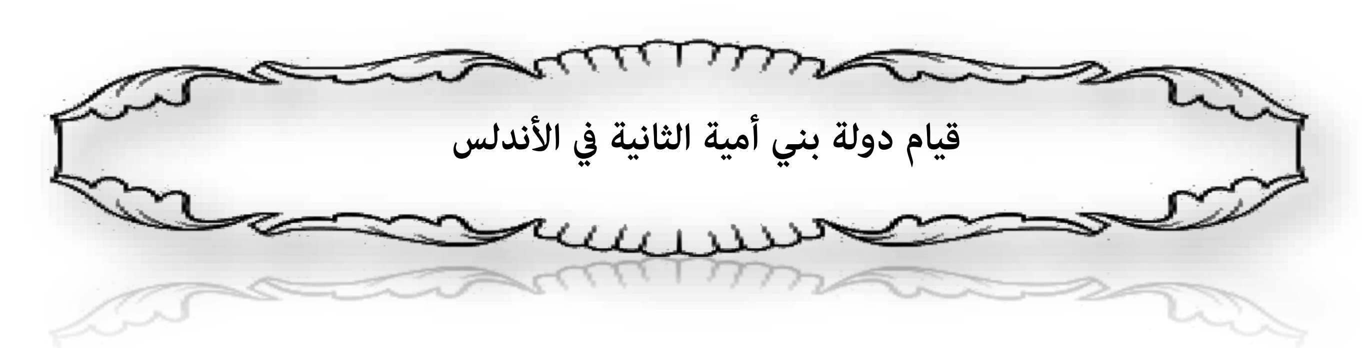
٧٠ - ابن الخطيب ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، القاهرة ١٩٢٨ ص ١٦ – ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ج ١ طبعة القاهرة ١٩٠١ ص ١٧ .

٧١ - الحميري ، الروض المعطار (-) عبد العزيز سالم ، المساجد والقصور بالأندلس ص ١٠٧ ، وكتاب الشعب رقم ٦١ مقال غرناطة ص ٩٢ .

البطل الخامس
عبد الرحمن الداخل

"صقر قريش"

(٥ - رمضان ١١٣ هـ/ ٩- نوفمبر ٧٣١م
١٧٢ هـ/ ٧٨٨ م)



قيام دولة بني أمية الثانية في الأندلس

الأمير المغامر : عبد الرحمن بن معاوية

اعتمد الأمويون على العرب ، واعتبروهم مادة الإسلام ، وتعصبوا لهم على الأجناس الأخرى التي دخلت في الإسلام ، من موالي فرس ، وبربر في المغرب ، ومسالمة ومولدين في الأندلس ، واتبع خلفاء بني أمية مع الموالي سياسة تقوم على الشدة والعسف ، إذ كانوا يرتابون فيهم ، ولا يثقون بهم ، ولذلك كانوا ينظرون إليهم نظرة السيد إلى المسود ، فنحوهم عن المناصب الكبرى ، وأبعدوهم عن أمور السلطان كلها ، واحتقروهم وامتهنوهم ، وأساءوا معاملتهم ، فضاق الموالي بذلك ، وحنقوا على الأمويين ، وأبغضوهم وأضمروا لهم السوء ، لنزعتهم التعصبية ، وابتعادهم عن الروح الإسلامية التي تدعوا إلى المساواة بين المسلمين جميعا ، وقد توسل الموالي بكل الوسائل الممكنة في محاربتهم للأمويين وللعرب ، فاستندوا إلى مبادئ الإسلام التي تدعوا إلى وحدة الجماعة ، وجعلوا هذه المبادئ أساسا لمحاربة نظام الحكم القائم ، انتصارا للحق على الاستبداد والعسف ، وارتموا في أحضان الأحزاب المعارضة للدولة الأموية من خوارج ومرجئة وشيعة ، وهي الأحزاب التي كانت تستنكر كل تمييز للعرب على الموالي المسلمين ، ولما نادى الشيعة بحصر الخلافة في آل بيت الرسول ، اعتنق الموالي هذه الدعوة وتشيعوا لها ، واعتمد عليهم الشيعة اعتمادا كليا في الإطاحة بالدولة الأموية واحتضنوا قضيتهم وتبنوها ، ثم استغل العباسيون الدعوة لآل بيت الرسول لمصلحتهم الشخصية ، وأخذوا يدعون لأمتهم سرا ، وتوالت الأحداث في سرعة مذهلة ، إذ سرعان ما اشتعلت نيران الثورة على بني أمية في خراسان ، وحمل أبو مسلم الخرساني لواءها ، وفشل قواد بني أمية أمثال ابن هبيرة ونصر بن سيار في القضاء على الثورة ، وسجل انتصار العباسيين على مروان بن محمد (١٢٧ هـ - ١٣٢ هـ) في موقعة الزاب في ١١ من جمادي الآخرة سنة ١٣٢ هـ نهاية الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، ويعتبر قيام الدولة العباسية انتصارا للموالي الفرس ، فقد انتصرت لهم الدولة ، واعتمدت عليهم اعتمادا كليا ، لأنها تدين بقيامها لهم ، فكانت دولة أعجمية ، سقطت فيها دواوين العرب ، وغلب عجم خراسان على الأمر ، وعاد الأمر ملكا عضوضا كسرويا [٧٢].

٧٢ - ابن عذاري . نقلا عن أبي محمد بن حزم ، ص ٥٩

وأخـــذ العباسيون يتعقبون أمـــراء بني أمية حيث كانـــوا ، ويقتلونهم أينما وجدوهـــم ، فقد أمـــر السـّـفاح (١٣٢ هـ - ١٣٦ هـ) بقطع يدي أبـــان بن معـــاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ورجليه ، ثـــم طيف به في كـــور الشـــام ، ينادي على رأسه : هـــذا أبـــان بن معـــاوية ، فارس بني أمـــية ، حتى مات ، كذلك قتـــلوا النســـاء والصبيـــان ، فقد ذبحـــوا عبدة بنت هشـــام بن عبد الملك ذبحا ، ولـــذلك تفـــرق بنـــو أمية في أطـــراف البـــلاد للنجـــاة بأرواحـــهم من بطش العباسيـــين بـــهم ، وكـــان فيمن فـــر منـــهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، والغمر بن يزيد ، فعمد بنو العباس إلى التظـــاهر بالأسف والنـــدم على ما اقترفوه من آثام بأمراء البيت الأمـــوي ، وبســـطوا الأمـــانات لأمـــراء بني أمية حتى يجمعـــونهم ، ثم يضـــربوا رقـــابهم جميعـــا ، فيقضـــوا بذلك عليهم أجمعـــين ، ووزعـــوا المنشـــورات في كـــور الشـــام بأن " أمـــير المؤمنـــين قد نـــدم على مـــا كـــان في بني أميـــة وأحب البقـــاء ، وقد أمرني بتـــأمينهم ، فقد أمنتهم فـــلا أعلمـــن أحـــدا يعـــرض لهـــم بمكـــروه " . فاستـــأمن الخـــليفة السفاح بذلك بضعـــا وسبعـــين رجـــلا وقيـــل ثمـــانين منهـــم عبد الواحـــد بن سليمـــان ، والغمـــر بن يزيـــد ، والأصبـــغ بن محمد بن سعيد.

وعلى هذا النحـــو أخذ العباسيـــون كلما أتاهـــم أمـــوي قربـوه وأنزلـــوه معسكر صـــالح بن علي بالقـــرب من نهر أبي فطـــرس ، وأعطـــوه العـــهود والمـــواثيـق ، وتســـامع بذلك أمـــراء بني أمية الفـــارين في أنحـــاء الأرض ، فتداعـــوا من كل فـج أمـــلا في الظفر بأمـــان.

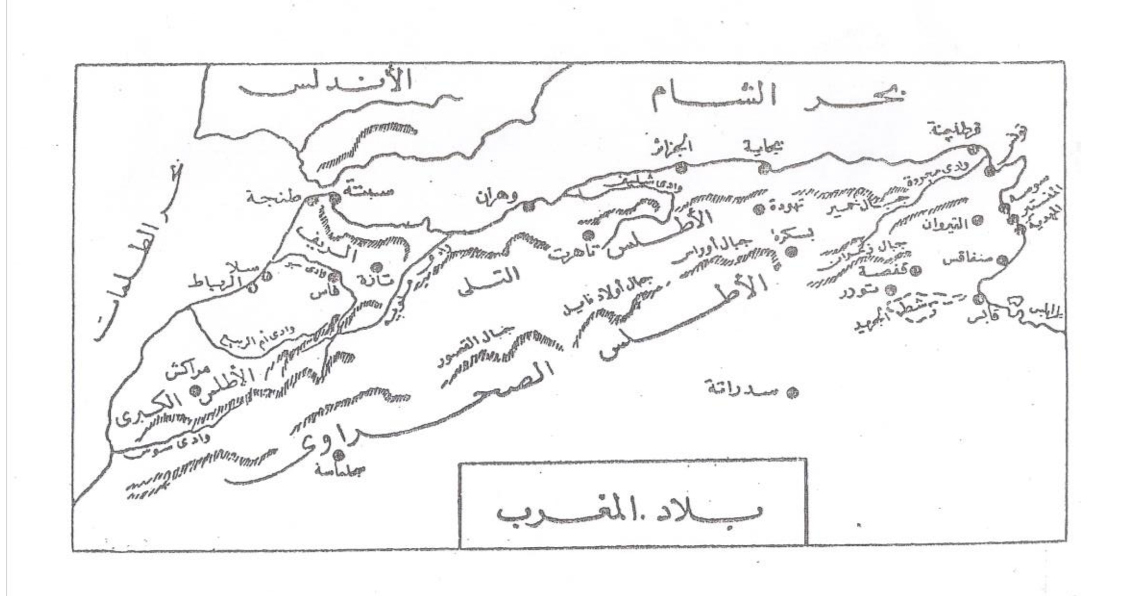
وكان يحيى بن معـــاوية بن هشـــام بن عبـــد الملك بن مـــروان مقيـما بالقـــرب من معسكر صـــالح بن علي ، فلم يضـــطرب مـــع من اضطـــرب في العسكر من بني أمـــية ، ولم يتعجل الذهـــاب طلبا للأمـــان ، كما فعـــل غـــيره من بني أمية ، وآثـــر أن يترقب الأحـــداث من قريتـــه ، حتى إذا ما أتـــم الخـــليفة العبـــاسي الفصـــل في مصـــيرهم ، انضـــم إلى المعسكر لقـــربه من قريته ، ثم أنه بعث رســـولا من قبله للنـــظر في الأمـــر ، فشـــاهد القـــوم يقتلـــون ، فعـــاد مسرعا وأبـــلغ يحيى ، فارتـــبك هـــذا ، ولم يتمكن من الهـــرب إذ أدركه المســـودة وقتلوه ، وكان أخـــوه عبد الرحمن بن معـــاوية غائبـــا يومئـــذ في الصيد ، فلما علم بما حـــدث أســـرع بالفـــرار.

وكـــان ينـــوي الذهـــاب إلـــى إفريقيـــة لتطرفهـــا عـــن مـركـــز الخـــلافـــة العبـــاسية ، واستقـــلال عبـــد الرحمـــن بـــن حبـيب بـــولايتهـــا ولتـــأثره بنبـــؤة [٧٣]

---

٧٣ - يروي الأمـــير عبد الرحمن بن معـــاوية هذه النبؤة فيقول : " وخرجت حتى صرت في قرية على الفرات ذات شبر وغياض وأنا والله ما أريد إلا المغرب ، وكنت قد بلغتني رواية ، كان والدي رحمه الله قد هلك في زمن جدي رحمه الله ، وكنت صبيا إذ هلك ، فأقبل بي وبإخوتي إلى الرصافة ، إلى جدي ، ومسلمة بن عبد الملك رحمه الله لم يمت بعد ، فنحن وقوف ببابه على دوابنا ، إذ سأل مسلمة عنا ، فقيل أيتام معاوية ، فأغرورقت عيناه بالدمع ، ثم دعا بنا الاثنين فالاثنين ، فأقبل يدعو بنا حتى قدمت إليه ، فأخذني وقبلني وقال للقيم : هاته ، فأنزلني عن دابني وجعلني عن أمامه ، وجعل يقبلني ويبكي بكاء شديدا ، فلم يدع بعدي من كان أصغر من إخوتي ، وشغل بي ، فلم يفارقني ، فأنا أمامه على سرجه حتى خرج جدي ، فلما رآه قـــال : ما هذا يا أبا سعيد ، فقال بي لأبي المغيرة رحمه الله ، ثم دنا من جدي فقال له : تداني الأمر هو هذا ، قال أهو ، قال أي والله ، قد عرفت العلامات والإمارات بوجهه وعنقه ، قال ثم دعـــا القيم ، فدفعت إليه وأنا ابن عشر سنين يومئذ ، أو نحوها ، فكـــان جـــدي رحمه

مسلمة بن عبد الملك بن مروان - عمه - لـه وهـو صـبي بـأن دولـة بـني أمـية سـتحي على يـديه ، ولـم يكـن عـبد الرحمن بـن معـاوية أول من فـكر فـي الذهـاب إلى المغـرب ، فقـد سبـقه إلـى إفريقـية ، السفـياني الثـائر ، وأبناء الـوليد بن يزيـد العاصي ، وموسى وحبيب بن عبد الملك بن عمـرو بن الـوليد ، وجـزى بن عبد العزيـز بن مـروان ، وعـبد المـلك بن عـمر بن مـروان ، ويـروي عبد الرحمن قصـة هـربه مـن مذبحـة نـهر أبي فطـرس وذهـابه إلى داره بديـر حنـا من كـورة قنسـرين لجمـع مـا يلزمـه قبل التـوجه إلى إفريقيـة ، فيـقول : " فإني لجـالس في القـرية في دار كـنا فيـها ، ولم يبلغـنا بعد إقبال المسودة ، فكنت في ظـلمة البيت وأنـا رمـد شـديد الرمـد ، ومعي خرقة سوداء أمسح قـذا عيـني ، والصـبي سليـمان يلعب وهـو ابـن أربـع سنين أو نحوها ، إذ دخـل من بـاب البيت ، فترامى في حجـري ، فدفعته لما كـان بي ، ثم ترمى وجعـل يقول ما يقـول الصبيـان عند الفـزع ، قال ، فخرجت ، فإذا أنا برايات مطلة ، فلم ير عني إلا دخول أخي فـلان فقـال : يا أخي ، رأيت المسودة ، وكنت لمـا فعل بي الصبي ما فعـل قد خـرجت فرأيتـهم ".



الله يؤثرني ويتعاهدني بالصلة والبعثة إلي في كل شهر ، ويضيف ابن عذارى المراكشي عن رواية عبد الرحمن بن معـاوية ما يلي **"**حدث عبد الرحمن قـال **:** دخلت الأنـدلس وأنا أضـع حلية مسـلمة بن عبد الملك ، فإنه أتى جدي هشـاما يومـا ، فوجدني عنده صبيا ، فأمـر جدي بتنحيتي عنه ، فقال له مسلمة ، دعه يا أميـر المؤمنـين ، فإنه صـاحب بني أمية ، ومحي دولتهم بعد زوالها**.**

فلـــم أدرك شيـــئا أكثـــر من دنانـــير تناولتها ثـــم خـــرجت أنـــا والصـــبي أخي ، وأعلمت أخـــواتي أم الإصبـــغ وأمـــة الرحمـــن بمتوجهي ، وأمـــرتهما أن يلحقني غـــلامي (يقصـــد مـــولاه بدر) بمـــا يصـــلحني إن سلمـــت ، فخـــرجت حتى اندست في موضـــع نـــاء عن القريـــة ، وأقبلـــوا فأحاطـــوا بالقرية ، ثم بالدار فلم يجدوا أثرا ، ومضينا حتى لحقني بدر ، ثم خرجت حتى أتيت رجلا على شاطئ الفرات ، وأمرته أن يبتاع لي دواب وما يصلحني ، فأنا أرقب ذلك ، إذ خرج عبد له أو مولى ، فـــدل علينا العامل ، فأقبـــل إلينـــا ؛ فـــوالله ما راعنـــا إلا بجلبة الخيـــل إلينا في القريـــة ، فخرجـــتنا نشتـــد على أرجـــلنا ، وأبصـــرتنا الخيـــل ، فدخلنـــا بين أجنـــة على الفـــرات ، واستـــدارت الخيـــل فخرجنا وقد أحـــاطت بالأجنة ، فتبادرنا وسبقناها إلى الفرات ، فترامينا فيه و وأقبلت الخيل ، فصاحوا علينا : ارجعا لا بأس عليكما ، فسبحت وسـبح الغـــلام أخي ، فلما ســـرنا ســـاعة سبقته بالسبـــاحة وقطعـــت قـــدر نصف الفـــرات ، فالتفت لأرفـــق وأصيـــح عليه ليلحقني ، فإذا هـــو والله لمـــا سمع تأمينهم إياه وعجل ، خاف الغـــرق فهـــرب من الغـــرق إلى المـــوت ، فناديته : أقبل يا حبيبي إليّ ، فلم يـــأذن الله بسماعي ، فمضى ، ومضيـــت حتى عـــبرت الفـــرات ، وهـــم بعضهم بالتجرد ليسبح في أثري ، ثم بدا لهم ، وأخذوا الصبي فضربت عنقه وأنا أنظر ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، رحمه الله . قال ثم مضيت " .

نجح الأمير عبد الرحمن بن معاوية في الإفلات من أيدي العباسين ، رغم المحاولات العديدة التي قام بها هؤلاء لاقتناصه ، واستطاع أن يصل سليما إلى كورة فلسطين ، وهناك التقى بغلامه بدر وبسالم أبي شجاع غـــلام شقيقته [٧٤] وكانا يحملان إليه نفقة وشيئا من جوهر ، وانطـــلق معهما من موضع إلى موضع متخفيا حتى وصل إلى مصر

ثم ســـار منها إلى برقة ، فبقى فيها مستترا مدة ثم رحل عنها ، فأوغل في إفريقية ، وقد توافى بها عـــدد مـــن أهـــل بيته ، وكـــان يلي لإفريقية والمغـــرب منذ أيام مروان بن محمد سنة ١٢٩ هـ رجل يعرف بعبد الرحمن بن حبيب الفهري ، من نسل عقبة بن نافع ، ثار بإفريقية أيام ولاية حنظلة بن صفوان ، وأسر جماعة من الأشراف الذي أرسلهم حنظلة إليه لإقناعه بالعدول عن ثورته ، فسار بهم إلى القيروان ، وهدد حنظلة بقتلهم لو هاجمه ، ولم يســـع حنظلة إلا اعتـــزال إمـــارة المغـــرب ، فظفـــر بهـــا عبد الرحمن بن حبيب ، فلما قتـــل مـــروان بن محـــمد وسقطت الـــدولة الأموية ، استقل عبد الرحمـــن بن حبيب بـــولاية إفـــريقية والمغـــرب وخـــرج عن طـــاعة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصـــور.

وكان في بلاد ابن حبيب يهودي عالم بالحدثان ، وقد صحب مسلمة بن عبد الملك ، فذكر لابن حبيب أنه يغلب على الأندلس رجل من أبناء الملوك يقال له عبد الرحمن له ضفيرتان ، فلما قدم ابن معاوية ، وكانت له ضفيرتان ، هم بقتله حتى لا تتحقق النبوءة ،

---

٧٤ - وقيل أدركه أربعة هم بدر مولى أبيه ، وأبو شجاع وزياد وعمرو (انظر نفح الطيب ج ١ ص ٣١٢)

وأغلب الظن أن قصـــة اليهودي هذه قصـــة ملفقة ، والذي لاشـــك فيه أن عبد الرحمن بن حبيب كان يخاف على إمارة إفريقية والمغرب من أمراء بني أمية ، أصحاب الحسب والنسب ، وسادة العرب وأشرافهم ، الذين أخذوا يفدون إلى بلاده لتطرفها عن مركز الخلافة العباسية ، فقتل ابني الوليد بن يزيد ، وصار يقتل كل من يدخل من بني أمية في بلاده ، وخاف من عبد الرحمن بن معاوية بالذات لنشاطه السياسي ، وسطوته ، وعمد إلى مطاردته ، والتخلص منه ، وكان عبد الرحمن في الواقع يهدف إلى تكوين إمارة أموية في بلاد المغرب أو الأندلس تكون استمرارا للدولة الأموية التي أسقطها العباسيون في المشرق ، فقد كان شابا طموحا في العشرين من عمره ، يفيض حماسة وأملا في إحياء هذه الدولة في المغرب ، وكان يدفعهإلى ذلك ويجدد عزمه ما زعموه من نبوءة مسلمة بن عبد الملك له وهو ابن عشر سنوات ، ويبدو أن شيئا من ذلك وصل إلى أسماع عبد الرحمن بن حبيب فعزم على قتله ، وعلم ابن معاوية بما يضمره له عبد الرحمن بن حبيب ، ففر من القيروان إلى موضع يقال له باري ، فنزل في قبيلة مكناسة حيث ناله بعض الضيـــق ، وقيل إنه نـــزل بمغيلة عند شيخ من رؤساء البربر الموالين لعبد العزيز بن مروان يدعى وانسوس ويكنى أبا قرة ، فاستتر عنده وقتا ، ويبدو أن رســـل ابن حبيب وأعـــوانه اهتدوا إلى مخبأة تكفات زوجة أبي قـــرة تحت ثيابها ، وأنقذته من مـــوت أكيد ، ولم ينس ابن معـــاوية هـــذا الصنيع بعد أن أصـــبح أمـــيراً على الأندلس ، فقد قصـــده أبو قـــرة و زوجته فأكرمهما ، واستـــظلا بظـــله في الأندلس [٧٥].

وقاسى هذا الشاب الطريد الشريد مرارة العيش في بلادالمغرب دون كلل ، واحتمل الآلام دون ضعف أو استسلام ، واستقر به المطاف أخيرا عند أخواله من قبيلة نفزة وكانت تقيم قريبا من سبتة [٧٦] معبر الأندلس ، وقيل في طرابلس [٧٧] وقيل بسبرة إذ كانت أمه بربرية من سي نفزة اسمها راح أو رداحا [٧٨].

وكانت الأندلس وقتئذ تموج بالفوضى والاضطراب بسبب الفتن والعصبيات القبلية ، وهنا لاحت لعبد الرحمن بن معاوية بارقة من الأمل ، فلابد له وهو سليل خلفاء بني أمية العظام أن يجد لنفسه وسط هذا الصراع مجالا يجدد فيه دولة أجداده ، وتملكه هذا الأمل تملكا شديد ، وشرع في استغلال هذا الموقف لمصلحته ، فبدأ من جديد محاولاته التي أخفقت في المغرب .

---

٧٥ - المقري ، نفح الطيب ج ١ ص ٣١٣ .

٧٦ - حسين مؤنس ، فجر الأندلس ص ٦٦٤ .

٧٧ - المقري ، نفح الطيب ج ١ ص ٣٠٧ .

٧٨ - ابن عذارى ج ٢ ص ٦١ ، ٧١ .

مفاوضات بدر مع موالي بني أمية لاستقدام عبد الرحمن

أقـــام عبد الرحمن عند أخواله النفزيين ، وبقى معه مولاه بدر ، أما أبو الشجاع سالم فقد عاد إلى مولاته أم الأصبغ بالشام ، ورأى الأمير الشاب أن يبادر بالاتصال بزعماء موالي بني أمية في الأندلس ، فبعث مولاه بدرا رسولا إلى أبي عثمان عبيد الله بن عثمان وأبي عبد الله بن خالد زعيمي حزب موالي بني أمية [٧٩] وأرسل إليهما كتابا " يشكو فيه ما ابتلوا به ويعظم عليهم حقه ، ونزوعه إليهم وما صنع به ابن حبيب وبقومه بإفريقية ، وبعلمهم أنه إن دخل إلى يوسف لم يأمنه ، ويعرض أنه إنما يريد الاعتزاز بهم وأن يمنعوه ، وإن تهيأ لهم ما فيه طلب سلطان الأندلس ، أن يعلموه " .

نـــزل بـــدر بقرية طرش من ســـاحل إلبيرة في آخر سنة ١٣٦ هـ (٧٥٣ م) وقصد أبا عثمان ، فبعث أبو عثمان في صهره عبد الله بن خالد ، فبـــحثا ما عـــرضه عليهما عبد الرحمن ، ثم بعثا إلى يوسف بن بخت ، وكان من رجالهما وأنجادهما ، ويبدو أن هذا الكتاب أحدث تأثيرا عميقا فثي نفوسهم فتناولوا الرأي مع غيرهم من موالي المروانية ، واتضح لهم أن الأمر رغم خطورته جدير بالمحاولة ، فلم يترددوا في الموافقة على تعضيد عبد الرحمن مدفوعين في ذلك بدافع من الإخلاص والوفاء لساداتهم ، وأجمعوا الرأي على إجراء اتصالات مع زعماء اليمينية ، وواتتهم الفرصة ، إذ كان يوسف يتأهب وقتئذ للخروج في غـــزوة ، وكان عليهم أن يخرجـــوا مع يوسف في هذه الغـــزوة ، وتمكنوا في هذه الغزوة من مخـــاطبة سادات العرب اليمينية ، المقيمين في غرب الأندلس مثل أبو الصبـــاح اليحصي ، وعـــلقمة بن غياث اللخمي ، وأبو علافة الجذامي ، وزياد بن عمرو الجذامي .

ثم خـــاطبوا رؤســـاء اليمنية في إلبيرة وجيان مثل جد بني أضحى ، وبني حسان ، وبني عمـــر أصحـــاب وادي آش ، وميـــسرة ، وقحطـــية الطـــائيين بجيـــان ، وخـــاطبوا الحصـــين بن الدجن العقيلي للتباعد الـــذي كـــان بينه وبين الصميل ، فكـــان المضري الوحيـــد الـــذي أيد عبد الرحمن بن معاوية ، فما تـــم ذلك لهم طلـــبوا من بـــدر أن يبلغ عبد الرحمن بأنهـــم أجابوه إلى ملتمسه ، وأنهم ينتظرون مجيئه ، فعاد بـــدر إلى مـــولاه عبد الرحمن في ســـنة ١٣٧ هـ ، ولكن عـــبد الرحمن أجـــابه بقولـــه ، " ليس تطيب نفسي على دخـــول الأندلس إلا أن يكون معي واحد منهم [٨٠] " ، فانصـــرف بدر إليـــهم بجـــوابه .

فلما عاد بدر إلى الأندلس ، وسلم أبا عثمان إجابة ابن معاوية رأي زعماء الموالي ضرورة مشاروة الصميل إلى الأمر ، وكانوا واثقين من كتمانه لموضوع ابن معاوية ، إن لم يجبهم إلى طلبهم ، فكان هذا سببا في خروجهم مع من خرج من القيسية لفك الحصار عن الصميل

٧٩ ـ كانا يتوليان لواء بني أمية بالتعاقب .

٨٠ ـ ابن القوطية ص ٢٣ .

في سرقطة ، ويبدو أن موالي بني أمية أرادوا أن يقدموا بمساهمتهم في فك الحصار عنه يدا عنده فيؤيد قضية ابن معاوية ، وكان عبد الرحمن قد بعث إليهم خاتمه ليكتبوا به عنه إلى كل من رجا نصره ، فكتبوا عنه للصميل يذكرون له أيادي بني أمية عنده ويعدونه ويمنونه [٨١] .

ثم اجتمـــع به الأمـــويون الثلاثة بعد رحيله من سرقسطة ، وكـــان ما يزال متأثرا بجهودهم في إنقاذه ، فأطلعـــه عبيد الله بن عثمان على قصة ابن معاوية ، وأعطاه الكتاب وقال له : " تقدم عليَّ ، لا رضيً ولا سخط إلا برأيك ، فإن ترض أمرا رضيناه ، وإن تسخطه سخطناه"[٨٢]، ولكن الصميل بما عرف عنه من حذر وحيطة ، لم يتعجل الكتابة ، فقد جاء عبيد الله بمسألة ابن معاوية ، والأمر يقتضي منه أن يتروى ويفكر ، ولابد أنه أدرك أن ابن معاوية كان يطمع في السلطان على عكس ما يراه الدكتور مؤنس [٨٣] وإلا لما قال لعبيد الله عندما قابله بعد ذلك في قرطبة " فإن أحب (ابن معاوية) غير السلطان ، فله عندي أن يواسيه يوسف ويزوجه ويحبوه [٨٤] ، وإن كان يعتقد تماما أن مجرد وجود ابن معاوية في الأندلس يعني القضاء على نفوذ الصميل نفسه ، لأن ابن معاوية على حد قول الصميل لأبي عثمان " من قوم لو بال أحدهم في هـــذه الجـــزيرة غـــرقنا نحن وأنتم في بوله [٨٥] لهذا كله تردد في الرد على ابن معاوية ، وطلب من زعماء بني أمية أن يمهلوه فيه .

وما كاد الصميل يجلو عن سرقسطة ، حتى دخلها والحباب بن رواحة واستولى عليها [٨٦] ، أما الصميل فقد عاد إلى قرطبة ، وكان يوسف يزمع الخروج إلى الثغر للغزو ، فبعث إلى زعيمي موالي بني أمية ، أبي عثمان وعبد الله بن خالد ، فقدما عليه ، وطلب منهما أن يساهم الموالي في هذه الغزوة ، فاعتذر له أبو عثمان بقوله : " ليس في القوم نهضة ولا قوة على الخروج ، كل من كان فيه منهض قد نهض إلى أبي جوشن ، فتقطعوا وأهلكهم الله بالشتاء والسفر مع ما نال الناس من الجهد " . فأخرج إليه ألف دينار ، وطلب منه أن يقويهم بهذا القدر من المال ، فاستضأله أبو عثمان وابن خالد ، لخمسمائة من الموالي المدونين ،ولكنهما قبلاه حتى يتقوى به الموالي لغرض آخر هو نصرة ابن معاوية على يوسف ، وودعـــا يوسف في جيان بعد أن وعداه بـــإرسال مـــوالي بني أمية إليه فيدركوه بطليطلة ، فصدقهما يوسف وعادا إلى قرطبة ، وتمكنا من الانفراد بصميل وهو ثمل ، فوعدهما بالمساندة ، وقال لهما : " إني ما أغفلت ذلك ،

---

٨١ - ابن عذارى ج ٢ ص ٤ .

٨٢ - ابن عذارى البيان ج ٢ ص ٦٤ .

٨٣ - فجر الأندلس ص ٦٦٨ .

٨٤ - ابن القوطية ٢٤ – ابن عذارى ص ٦٤ ، ٦٥ .

٨٥ - نفس المرجع – ابن عذارى ص ٦٤ – ٦٥ .

٨٦ - ابن عذارى ، ج ٢ ص ٦٤ .

ولقد رويت فيه واستخرت الله وكتمت الأمر ، فما شاروت فيه قريبا ولا بعيدا وفاء بما جعلته لكما من ستره ، وقد رأيت أنه حقيق بنصري ، حقيق بالأمر ، فاكتبا إليه ... على بركة الله ، فإن هذا الأصلع على أن يتخلى لي من هذا الأمر ، وأزوجه ام موسى ، يريد ابنته (أي ابنة يوسف) – وكانت قد أرملت تلك الأيام من زوجها قطن بن عبد الملك – على أن يكون واحدا منا ؛ فإن فعل قبلنا منه ، وعرفنا حقه ومنته ويده ، وإن كره هان علينا أن نقرع صلعته بسيوفنا [٨٧] ، فقبلا يديه وشكراه ، وانصرفا فرحين وقد ظنا أن الأمر قد تم لابن معاوية . ولكنهما ما كادوا ينصرفان من حضرته حتى عاد إلى صوابه ، وعظم عليه الأمر ، فقد رأى أن نفوذه يتلاشى حتما بدخول ابن معاوية الأندلس ، فما باله لو نصره ، وأيده لنيل الإمارة فأسرع بملاحقتهما وقال لهما : " إني منذ أتبتموني برسول ابن معاوية وكتابه ، فلم أزل في إذارة ، فاستحسنت ما دعوتما إليه ، ثم كان مني إليكما ما كان ، فلما فاركتكما روّيت فيه فوجدته من قوم لو بال أحدهم في هذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بوله ، وهذا رجل (يقصد يوسف الفهري) قد حكمنا عليه مع ما له في أعناقنا ، والله لو بلغتما بيوتكما ثم رأيتما هذا لظننت ألا أقصر حتى أرجع إليكما ، لئلا أغركما ، وأنا أعلمكما أن أول سيف يسل عليه سيفي ، فبارك الله لكما في رأيكما ومولاكما " ثم قال : " فإن أحب غير السلطان فله عندي أن يواسيه يوسف ويزوجه ويحبوه ، وانطلقا راشدين [٨٨] " فانقطع رجاؤهما من مضر وربيعه بأسرها ، وعمدا إلى معاودة إلى الاتصال باليمينة ، وكان اليمينة يتلهفون للثأر من المضربة ، فوجدا منهم ترحيبا بالغا واستعدادا حسنا لاستقبال الأمير الأموي وتعضيده ، لأنهم كانوا قوما " قد وغرت صدورهم ، يتمنون شيئا يجدون به سبيلا إلى طلب ثأرهم ، ورغبوا في عقد لواء بني أمية في الأندلس " .

عـــاد الزعيمـــان الأمويـــان بعد اتصـــالهما باليمنية إلى جندهما ، فابتاع مركبا وجها فيه أحـــد عشـــر رجلا يرافقون بدرا ، منهم تمام بن علقمة الثقفي وأبو فريعة الذي كان له بصر في ركوب البحر [٨٩] وأعطيا بـــدرا خمسمائة دينار للنفقة على ابن معـــاوية ولفدية الـــبربر .

وكان ابن معاوية ما يزال مقيما عند أخواله النفزيين على ساحل سبته ، وكان يمضي نهاره متجولا على الساحل ناظرا البحر ، مرتقبا وصول بدر وأصحابه ، ومضت الأيام متثاقلة وهو على تلك الحال حتى جاء يوم ، وبينما كان يؤدي صلاة المغرب إذ لمح مركبا " مقـــبلا في اللج حتى أرسى وخرج إليه بدر سابحا ، فبشره بما تم له بالأندلس ، وما خلف فيه أبـــا عثـــمان وعبد الله بن خالد وغيرهما مـــن رجـــال الأندلس من الاجتـــماع عليه والرضـــاء به " ثم خرج إليه تمام بن علقمة من الغراب " فقال له عبد الرحمن : ما اسمك ، قـــال : تمام ، قـــال : وما كنيتك؟ قال : أبو غالب ،

---

٨٧ - ابن القوطية ص ٢٣ .

٨٨ - ابن القوطية ص ٢٤ – ابن عذارى ج ٢ ص ٦٤ وما يليها .

٨٩ - ابن القوطية ص ٢٤ .

قال : تم أمرنا وغلبنا عدونا فاستحجبه لذلك ، فلم يزل حاجبا في أيامه حتى مـات " [٩٠] ثم سأل بدرا عن أبي فريعة ، فقال له : هذا مولاك أبو فريعة ، قال : "افتزعنا البلد إن شاء الله [٩١] . ثم ركب عبد الرحمن معهم البحر حتى أرسوا بثغر المنكب Almunecar في آخر ربيع الثاني سنة ١٣٨ هـ (٧٥٥ م) .

دخول عبد الرحمن الأندلس وبداية الصراع مع يوسف الفهري

أقـام يوسف الفهـري في طليـطلة ينتـظر عبثـا قـدوم جنـد بني أميـة إلى هـذه المدينـة ، وظـل كذلك حتى وافـاه الصميـل واضطـر إلى السـير نحـو سـرقسطة ، وافتتحـها وقبـض علـى عـامر القـرشي وابنـه وهـب والحبـاب بـن رواحـة الزهـري ، وكبلـهم بالحـديد وأراد قتـلهم ، فاستشـار فيـهم خيـار القيسـية ، فأشـاروا عليـه بالإبقـاء عليـهم ، وألـح سليمـان بن شهاب في عدم قتلهم ، فاضطـر يـوسف إلى الرضـوخ لإجمـاعهم ، ثـم أوفـد بعثـا إلى البشكـنس ببنبلـونة [٩٢] ، إذ انتقـضوا بنقـض أهـل جليقيـة ، وجـعل على رأس هـذا البعـث سليمـان بن شـهاب وعـددا من رؤسـاء القرشيـين ، وتعمـد يوسف أن يكـون هـذا البعـث هزيـلا ، حتى يتخلص من ابن شـهاب والحصـين بن الدجـن وغـيرهما من ذوي النفـوذ ممن عـارض في قتـل عـامر القرشي ثـم قـرر العـودة إلى قرطبـة ، فمـا كـاد يبـلغ وادي شـرنبة Jaramara حتى أدركه الرسـول بهـزيمة الجيـش الذي أوفـده إلى جليقـية ، وقتـل قـائده وعامـة الجنـد ، والتجـاء قـلة بقيـادة الحصـين بن الدجـن إلى سـرقسطة عنـد واليهـا أبي زيـد عبد الرحمن بن يوسف [٩٣] ، اغتبـط يـوسف لهذا النبـأ ، فقد خـلا لـه الجـو بعد مـوت معارضيه ، وأصبـح حـرا في تصـرفه إزاء خصـومة السجنـاء ، ونصحـه الصميـل بالتخـلص منـهم بضـرب أعنـاقهم ، فدعـا بعـامر القرشـي وابنـه وهـب وبالزهـري وأمر بهم فضـربت أعنـاقهم ، وبذلك قضى الصمـيل على أعـدائه الـذين حاصـروه في سرقسطة زهـاء سبـعة شهـور وكـادوا يفتكـون به ، وأخذ يوهـم يوسـف بأنه ضـمن بقتلهم الاحتـفاظ لنفسه ولابنه من بعـده بولايـة الأنـدلس ، فقـال له : " قد قتل ابن شـهاب ، وقتلت عـامرا والزهـري ، وهي والله لك ولولدك ، إلى الدجـال من هذا ينازعك[٩٤] .

---

٩٠ - ابن القوطية ص ٢٤ .

٩١ - ابن القوطية ص ٢٤ .

٩٢ - ابن عذارى البيان ج ٢ ص ٦٥ .

٩٣ - ابن عذارى البيان ج ٢ ص ٦٥ .

٩٤ - المرجع السابق ص ٧٧ .

وهدأت نفس الصميل بعد مقتل أعدائه ، فانصرف إلى ابنته ليقيل ، وبقى يوسف وحده في خيمته ، " واضطجع مفكرا فيما يصنع ، ووضع رجله اليمنى على اليسرى وهو مستلقي مفكر ، قال المحدث ، فوالله ما أنزل رجله اليمنى عن اليسرى حتى صاح أهل العسكر : رسول ! رسول من قرطبة .

فما راعه إلا رسول من أم عثمان أم ولده ، يحمل إليه رقعة عليها : " ابن معاوية قد دخـــل ، ونزل بطرش [٩٥] عند الفاسق عبيد الله بن عثمان وأصفقت معه بنو أمية ، وإن خليفتك على إلبيرة زحف إليه بمن خف من أهـــل الطاعـــة ليخرجه ، فهـــزم وضـــرب أصحابه ، ولم يقع قتل ، فالرأي رأيك " .

بهت يوسف لهـــذا النبـــأ ، وأحس بعظـــيم ما اجـــترمه ، وأن الله قد أنـــزل نقمته عليه لمـــا سفكه من دمـــاء عـــامر القرشي وابنه الزهـــري فدعـــا الصميل في الحـــال ، فأتـــاه مذعـــورا مـــن نومـــه ، وحـــدثه يوســـف بمـــا جـــاء بـــه الرســـول ، فقـــال لـــه الصميـــل : " خطـــب جليـــل ، والـــرأي أن نقطـــع إليـــه مـــن فـــورنا هـــذا ، بمـــن معنـــا مـــن النـــاس ، فـــإمـــا قتلنـــاه وإمـــا شـــردناه فهـــرب ، فإن هـــرب لم يستقلـــها أبـــدا " .

وانتشـــر الخـــبر فـــي معســـكر يـوســـف ، وكـــان النـــاس قـــد سئمـــوا بـــه وتـــبرمـــوا منـــه لمـــا صنعـــه بالقـــرشيـــين ، فـــأخـــذوا ينفضـــون مـــن حـــولـــه ، ويتفرقـــون إلـــى كـــورهم ، ولـــم يبـــق مـــع يوســـف إلا عـــدد قليـــل مـــن قيـــس ومـــن قبـــائل مضـــر ، قفـــلوا عـــائدين معـــه إلـــى قـــرطـــبة ، أراد يوســـف أن يجمـــع الأجنـــاد لمـــواجـــهة ابـــن معـــاوية ، فـأقـــام بقـــرطـــبة ، فـــلم يـــأتـــه مـــن الأجنـــاد إلا يســـيرا ، إذ أقبـــل النـــاس علـــى ابـــن معـــاوية وأيـــدوه وبـــايعـــوه ، فنصحـــه الصمـــيل بالتوســـل بالخـــديعـــة للإيقـــاع بـــابـــن معـــاوية ، فهـــو شـــاب حـــدث لا خـــبرة لـــه ، ثـــم هـــو قـــريب عهـــد بـــزوال النعـــمة ، ممـــا يســـاعد علـــى ســـهـــولة خداعـــه ، وعندئـــذ يتحكـــم فيـــه يـوســـف وفيـــمن ســـعى لـــه مـــن مـــوالي بـــني أميـــة ، وفيمـــن أيـــده مـــن اليمنية ، أمـــا الطـــريقة الـــتي نصـــحـــه بانتـــهاجها فهـــي أن يزوجـــه يوســـف ابنتـــه ، ويســـكنه فـــي جنـــد دمشـــق أو الأردن ، وتـــؤول إليـــه شئـــون الكـــورتـــين ، فعمـــل يـوســـف بمـــا نصحـــه بـــه الصميـــل وكـــتب إلـــى ابـــن معـــاوية رســـالة مـــن إنشـــاء خـــالد بـــن زيـــد منـــها مـــا يلـــي : " أمـــا بعـــد فقـــد انتـــهى إلينـــا نـــزولك بســـاحل المنـــكب وتـــأبش مـــن تـــأبش إليـــك ، ونـــزع نحـــوك مـــن الســـراق وأهـــــل الخـــــير والغـــــدر ونقـــض الإيمـــــان المـــؤكـــدة الـــتي كـــذبـــوافيـــها ، وكذبونـــا ، وبـــه (عز وجـــل) نستعـــين عليـــهم ، ولقد كانـــوا معنا في ذري كنف ورفـــاهية عيش ، حتى غمصـــوا ذلك ، واستبـــدلوا بالأمـــن خـــوفا ، وجنحـــوا إلى النقض ، والله من ورائهـــم محيـــط ،

٩٥ - هي مدينة **Torrox** الواقعة على ساحل المنكب **Almunecar** .

فـــإن كنت تريـــد المــــال وسعـــة الجنـــاب فـــأنا أولى بك ممـــن لجـــأت إليه ، أكنفك وأصـــل رحمك وأنـــزلك معي إن أردت ، أو بحيث تريـــد ثـــم لك عهـــد الله وذمتـــه بي ألا أعـــذرك ، ولا أمكـــن منـــك ابن عمي صاحب إفريقيـــة ولا غـــيره .. " [٩٦] .

وأمـــر يوسف بتأليف وفـــد مكون من عبيد بن علي ، أحد شيوخ القيسية ، وخالد بن زيد كاتبه ومولاه ، وعيسى بن عبد الرحمن الأموي ، وكان يومئذ على أرزاق الأجناد ، وحشم يوسف عارضـــا وبعث معهم بكسي وفرسين وبغلين ووصيفين وألف دينار ، فسار الرسل حتى بلغوا أرش (بالقرب من لوشة) في أدنى كورة رية ، وهناك اتفق الثلاثة على أن يبقى عيسى بن عبد الرحمن بالأموال والهدايا ، فإذا وجدا من عبد الرحمن بن معاوية تجاوبا ورغبة في الصلح أرسلا إلى عيسى رسولا لتقديم الهدايا ، وإذا لم يجدا شيئا من القبول لدى ابن معاوية ، فإن يوسف الفهري أحق بماله ، فسار عبيد وخالد وبقى عيسى بما معه في أرش ، حتى قدما إلى جماعة بني أمية .

نـــــزل عبد الرحمن بن معاوية في ثغر المنكب في ربيع الآخر من سنة ١٣٨ هـ وقيل في غرة ربيع الأول [٩٧](١٤ أغسطس سنة ٧٥٥ م) ، وهناك استقبـــله أبو عثمان وعبد الله بن خالد ، زعيما المروانية ، استقبـــالا حـــافلا أنســـاه ما عـــاناه من آلام أثنـــاء فـــراره من موضع إلى موضع ثم انتقل إلى المنكب مـــع وفد مستقبليه إلى الفنتين **Alfontin** منـــزل ابن خالد ، ثم مضى منها إلى مديـــنة طرشر **Torrox** بكـورة إلبـــيرة بالقرب من **Iznajar** ، مركز حـــزب المروانية من مـــوالي بني أمية ، منزل أبي الجحاج [٩٨] فجاءه أبو الحجاج يوسف بن بخت ، وأقبلت عليه وفود الأمويين ، وقد أعد للأمير ما يصلحه من المركب والمنزل والملبس ، وأقـــبل إليه الناس من كل مكان بعد أن أخذ يوسف بن بخت البيعة له من جند الأردن ، كما أخذها له كل من عبد الله بن خالد من جـــند حمص ، وتـــمام بن علقـــمة من جنـــد فلسطـــين [٩٩] وفيـــها جـــاءه جداد بن عمرو المذحجي من أهل رية ، فأصبح بعد ذلك قاضيـــة في العسكر ، كـــما جـــاءه عاصـــم بن مسلم الثقفي ، وأبو عبـــدة حســـان فاستوزره ، وجـــاء كـــذلك أبو بكر بن الطفيل ، وأقام عبد الرحمن بن معاوية في طرش بعد الخطة لمواجهة يوسف والصميل وبجمع الأجناد .

وبينما كان معاوية مقيما عند أبي عثمان في طرش بين أنصاره ، إذ قدم عليه عبيد بن علي و خالد بن زيد ، وخاطباه في الألفة وفي مقابل ذلك يصاهره يوسف ويحسن وفوده ، وثم جلسا فأخرج خالد كتاب يوسف وناوله لابن معاوية ،

---

٩٦ - ابن عذارى ج ٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .

٩٧ - ابن عذارى ج ٢ ص ٦٦ .

٩٨ - منزل أبي عثمان وفقا لابن القوطية (انظر تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٤) .

٩٩ - ابن عذارى ج ٢ ص ٦٦ .

فأخـــذه ابن معاوية منه وسلمه إلى أبي عثمان ، فقال اقرأه وأجب فيه بما تعلم من رأينا [100] ، ولقى عــرض يوسف لابن معاوية استحسانا لدى عدد كبــير من موالي بني أمية ، وقالوا : " ما أحسن ما عرضتها وما جاء إلا طالبا لمواريثه [101] " ، ومع ذلك فقد كانت هناك جماعة من العرب والأمويين استنكروا ذلك وأشاروا عليه ألا يقبل ذلك منه إلا أن يعتزل له عن الملك ويبايعه ، وقالوا له : " إنما يمكر بك ولا يفي لك بشئ لأن وزيره ومالك أمره الصميل ، وهو غير مأمون [102] .

ولــكن وقـــع حـــادث غـير المـــوقف تغييرا تـاما ، ففي الـوقت الـــذي أخـــذ أبو عثمان عبيد الله فيه الخطاب وطالعه وتأهب لإملاء الرد ، قال له خالد بن زيد ، مولى يوسف مزهوا ، وكان هو الذي أملى خطاب يوسف إلى ابن معاوية : " يا أبا عثمان لتعرقن إبطاك قبل أن تحبر فيه جوابا " فرفع أبو عثمان يده وضرب بالكتاب وجه خالد " [103] وسبه سبا قبيحا ، ثم أمر به فأخذ وكبل بالأغلال من ساعته ، واعتبر أنصار ابن معاوية ذلك بداية للفتح ، وحاول عبيد الله بن علي أن يقنع أبا عثمان بالإفراج عن خالد فقال لهم : " هو رسول ولا سبــيل له " فقـــالوا له : " أنت الرسول وهـــذا متعدي قد بدأ بالشتيمة والانتقـــاص ابن الخبيثة العلج [104] ثـــم سرحوا عبيدا وحبسوا خالدا وبلغ عيسى بن عبد الرحمن ما حدث وهو بأرش فأسرع بالعودة بكل ما كان معه ، ولم يغتفر له ابن معاوية بعد ذلك ما فعله .

كان ما فعله أبو عثمان بخالد بمثابة إعلان الحرب على يوسف والقيسية ، وكان لابد لابن معاوية من تنظيم صفوفه لمواجهة أعدائه ، فكان لزاما عليه أن يجند الأجناد ويحشد الحشود ، فاجتمع إليه بطرش نحو ثلاثمائة فارس من جماعة الأمويين ، وكان لابد من أن يشهر أمره بين أجناد العرب في كورة رية وشذونة وغيرها .

---

١٠٠ - نفس المرجع ص ٨١ – ابن عذارى ص ٧٦ .

١٠١ - نفس المرجع .

١٠٢ - ابن عذارى البيان ج ٢ ص ٦٨ .

١٠٣ - أخبار مجموعة ص ٨١ .

١٠٤ - كان خالد بن زيد المذكور مولى ليوسف والموالي أصلهم عجم أو علوج دخلوا في الإسلام واصطنعهم العرب فكانوا موالي لهم ، والعلج أي الأعجمي ، وقد اعتبر أبو عثمان عبارة خالد التي وجهها إليه سبا وإهانة من أعجمي لعربي فكان انقلابه عليه .

ويقول تمام بن علقمة : " واجتمعنا إليه ، فأتيناه في ثلاثمائة فارس من جماعة الأمويين ، وممن أقبل إليه من وجوه العرب ، ثم كاتبنا أهل قنسرين وفلسطين فلما أقبلت رسلهم بما أردنا نهضنا إليهم ، وكنا قد وطنا على الموت ، وعزمنا على أن نقتل دونه ، وعقدنا له لــواء ، وأقمنــا معه ستــة أشهر نبرم له أمــوره ، ونكاتب له الناس [١٠٥] ، ثم انتقــل ابن معــاوية من كورة إلبيرة إلى كــورة ريــة ، فدخلــها في ستــمائة فــارس ، وخــرج منــها في ألفي فــارس [١٠٦] ولمــا دخــل أرشــذونه يــوم الفطر ، ودخل معاوية الجامع وأقبل الخطيب ، قام إليه جدار بن عمرو القيسي جــد بني عقيل - وكانت له رياســة العــرب في كــورة ريــة - فقال له : " أخــلع يوسف بن عبد الرحمن ، وأخطــب لعبد الرحمن بن معاوية بن هشــام ، فهو أميرنا وابن أمــيرنا " ثم قــال : " يا أهــل رية ، ما تقولون ؟ " فقالوا : " نقول ما تقول " فخطب له ، وبايعوه عند انقضاء الصلاة [١٠٧] ، وأنزله جدار في منزله ، وعندما وصل خــبر عبد الرحمن بن معــاوية إلى بــني الخليــع موالي يــزيد بن عبد الملك بتاكرنا أقبــلوا في أربعمــائة فــارس [١٠٨] ، ثــم ســار عبد الرحمن بن معاوية من أرشذونة إلى شذونة [١٠٩] فتلقاه جد بني إليــاس في عدد كبــير من الفرســان ، فتضخم بهم جيش ابن معاوية ، وكثر عدده كثرة هــائلة بمن انضــم إليه من أجنــاد العرب شــاميهم وبلديهم ، ووفــد إليه أبو الصباح بن يحيى اليحصبي ، وحيوة بن ملامس ، سيدا غرب الأندلس كله ، قادمين من إشبيلية ، فتلقياه وهو في طريقه إلى إشبيلية حاضرة الغرب وبايعاه [١١٠] ، ونزل بإشبيلية في شوال سنة ١٣٨ هـ (مارس ٧٥٦ م) ، وفيها أتاه أهل الغرب فبايعوه ، " وتم أمره في جميع غرب الأندلس [١١١] .

---

١٠٥ - ابن عذارى ، ج **٢** ، ص **٦٨ .**

١٠٦ - المرجع السابق ج **٢** ص **٦٩ .**

١٠٧ - ابن القوطية ص **٢٥ .**

١٠٨ - نفس المرجع **.**

١٠٩ - يخلط الدكتور حسين مؤنس بين مدينة أرشذونة **Archidona** ومدينة شذونة **Sidonia** والواقع أنها مدينتان لا مدينة واحدة ، فأرشذونة هي حاضرة كورة رية **Reiyo** وكان قد نزلها جند الأردن منذ أيام أبي أخطار ، أما شذونة فهي حاضرة كورة شذونة التي نزلها جند فلسطين **(**انظر فجر الأندلس ص **٦٧٩** وما يليها**).**

١١٠ - ابن القوطية ص **٣٥ .**

١١١ - المرجع السابق **.**

رجع عبيد بن علي إلى قرطبة عقب مقابلته للأمويين ، وأبلغ يوسف والصميل ما فعل هؤلاء بخالد فجن جنونها ، وجعل الصميل يثرب على يوسف في خلافة رأيه ، إذ لم يمض لمحـــاربة ابن معاوية وقـــت أن بلغه خبره ، وهـــم يوسف بالخروج لمحـــاربة ابن معاوية ، ولكن الشتاء كان قد زحف ببرده وثليجه ، فمنعه من الخروج ، فلما انتهى فصل الشتاء ، أراد يوسف أن يزحف بجيشه للقاء ابن معاوية في إشبيلية ، فسار حتى نزل حصن نيبة [112] ، فلما علم ابن معاوية بذلك أعد العدة لملاقاته في قرطبة [113] .

وزحـــف عبد الرحمن بمـــن مـــعه من الأجنـــاد الثـــلاثة : جنـــد فلسطـــين وجـــند الأردن وحـــمص وكـــلها يمـــنتة ، وانضـــم إليـــه مـــن القيســـيين جـــابر بن العلا بن شهاب ، وأبو بكر بن هلال الجدي ، والحصين بن الدجن ، وكانوا ينقمون على يوسف لغدره بابن شهاب ولم يكن لابن معاوية لواء بينما كانت الأجناد قد خرجت بألويتها ، فلما وصل جيش ابن معاوية إلى قرية بلة نوبة البحرين Villanova de los bahries [114] ، من إقليم طشانة Tocina من كـورة إشبيلية ، ويسميـــها صـــاحب أخبـــار مجمـــوعة قـــرية قلنبـــيرة Colornera قـــال شيـــوخ الأجناد : " إمام لا لواء له خـــطأ في الرأي " فعـــزموا على العـــقد له ، فأقبـــل أبو الصباح يحيى اليحصبي بقناة وعمامة ، والعمامة والقناة لرجل من حضرموت ، ودعـــوا رجـــلا مـــن الأنصـــار تفـــاءلـوا باســـمه ونســـبه ، وعقـــدوا اللـــواء لعبد الرحـــمن بن معـــاوية بهذه القـــرية بـــين شجـــرتي زيتـــون ، وشـــهد ذلك أبـــو الفـــتح الصدفوري العـــابد المجـــاهد ، كمـــا شـــهده فرقـــد السرقسطي [115] .

تقدم يوسف فنـــزل بمدور Almodovar ، ثم ســـار بحذاء الوادي الكبير لمقابلة ابن معـــاوية في طشـــانة ، فتناوشا والنهر بينهما ، وكان النهر زائدا في هذا الفصل من السنة ، فمنعهـــما من الاشتبـــاك ، وأرغمهما على انتظـــار نقصه ، ليتمكنا من عبـــوره ، وقيل لابن معـــاوية إن قرطبـــة تزخر بموالي بني أمية ممن يؤيدونه ، فشجعه ذلك على الســـير إليها قبل يوسف ، وعمد إلى دهـــائه ، فـأوقد نـــارا في معسكره حتى يوهـــم يوســـف بأنه بـــاق في موضعه .

" ورحـــل من جـــوف الليل ليسبقه وبينه وبـــين قرطـــبة ٤٥ ميلا ، فلم يســـر ميـــلا واحـــدا حتى أتى يوسف من يعلمه بمـــا أراد من مخالفته إلى قـــرطبة ، فأصبـــحا كفرسي رهـــان والنهـــر بينهما " عندئذ عـــدل ابن معاوية عن خطته ، وتـوقف عن الســـير ، فتـــوقف يوسف كذلك ، ثم ســـار ابن معـــاوية ، فســـار يوسف حتى نـــزل يوســـف بالمصـــارة ونـــزل ابـــن معـــاوية ببـــايش ،

---

١١٢ - ابن القوطية ص ٢٦ .

١١٣ - ابن القوطية ٢٦ .

١١٤ - ابن القوطية ص ٢٦ .

١١٥ - ابن القوطية ص ٢٦ .

وكـــان جنـــد عـــبد الرحـــمن قـــد نفـــذت عنـــهم المـــؤونة حتى أصبحـــوا لا يتقـــوتون إلا بالفـــول الأخضـــر ، بينما كـــان جند يوسف ينعمـــون بأطـــايب الأقـــوات ، ومـــع ذلك فقد انضم إلى ابن معاوية من اليمنية وبني أمية من أهل قرطبة كـــل من استطـــاع اللحـــاق به ، ثـــم نقص النـــهر يـــوم الخميس ٩ ذي الحجة يـــوم عـــرفة ، " فقـــال عبد الرحمن : في أي يـــوم نحن ، فقيل لـــه في الخميس وهـــو يوم عرفة ، فقال : يوم عرفة وغدا الأضحى والجمعة ، وأمري مع فهري ، أرجو أنها أخت يـــوم مرج راهط [١١٦] ، " ويبـــدو أن يوسف الفـــهري خاطب ابن معاوية للصلح حقنا لدماء المسلمين ، فاجتمع عبد الرحمن مع قواد الجيش وقال لهم : " إنا لم نجئ للمقام وقد دعانا هذا الرجل إلى ما علمتم ، وعرض ما سمعتم ، ورأيي لرأيكم تبع ، فإن كان عندكم صبر وجلد وحب للمكافحة فأعلموني ، وإن يكن فيكم جنوح إلى السلم والصلح فأعلموني " ، فأصفقت أجناد اليمنية بأسرها على الحرب وكذلك أجمع موالي بني أمية ، فتظاهر عبد الرحمن برغبته في مفاوضة يوسف ، وانخدع يوسف بهذه الرغبة ، فكتب كتائبه ، وبعث على خيل أهل الشام عبد الرحمن بن نعيم الكلبي ، وعلى مشأة اليمنية بلوهة اللخمي من جند فلسطين ، وعلى رجالة بني أمية ومن جاءهم من البربر عاصم العـــريان [١١٧] وعلى خيـــل بني أمية حبيب بن عـــبد الملك القـــرشي ، وعلى خـــيل من صحبه من البربر إبراهيم بن شجـــرة الأودي ، وانخـــدع يوسف بما أبداه عبد الرحمن بن معـــاوية الذي عـــرف بالـداخـــل لطروقة الأندلس ودخوله لها ، من رغبته في الصلح فلم يتعرض لجيشه وتركه يجتاز النهر ، ويعسكر بجوار معسكر يوسف بالمصارة ، وأقام الفريقان بقية يومهما في هدوء ، والرسل تختلف من قبل يوسف عيشة الخميس ، وسعيا لعقد الصلح .

وعبد الرحمن يتظـاهر بحرصه على الصلح ، وأراد يوسف أن يعبر عن صدق نيته ، فأمـــر بإخراج الغنم والبقر ، فذبحت ، وشـــغل الطباخون بإعداد الطعام لكلا المعسكرين طوال الليل ، وبـــات الناس وكلهم لا يشك في أن الصلح قد تم ، فلما أصبح الصبـاح ، أفصح ابن معـاوية عن نيته في الحـرب ، وأعـلن أنه لا يقبل المفاوضة إلا على أساس اعـتراف يوسف والصميل لـه بالإمـارة ، باعتباره وريثا لبني أمية على الأندلس ، وهكذا اشتبك الطـرفان فاقتتـلا قتالا شديدا ، وكان يرأس خيالة يوسف من أهل الشام ومـضر عبيد بن علي ، وعلى الرجالة كنانة بـن كنانة الكناني ، وجـوشن بـن الصميل ، وعـبد الله بن يوسف الفـهري ، وعلى خـيل غلمانة من الـبربر خـالد سودي ، وكان ابن معـاوية يركب فرسا أشقر ، وبيـده قوسه ، فانتقـده اليمنية ، فقـــال بعضـهم لبعض ، غـلام حـدث فما يؤمنـنا أن يطـير على هـذا الفـرس ، فتمـلك ، فبـلغه ذلك حتى لفظوا به ، فنادى أبـا الصبـاح ، فأقبـل إليه فقـال : ليس في عسكرنا بغـل أوفـق من بغـلك ، وإن هذا الفـرس يقلق تحتي ، فـلا أقـدر على ما أريـد من الرمي من قوسي

---

١١٦ - ابن القوطية ص ٢٦ .

١١٧ - سمى كذلك لتجرده من سراويله في الحرب بين ابن معاوية ويوسف الفهري .

، فخذ فرسي وهات بغلك [118] ، فاطمأنت اليمينية ، بعد أن تم تبادل الدابتين ، وسكت الألسنة ، واشتد القتال ، وانتهى بهزيمة يوسف والصميل هزيمة شنعاء ، وقتل ولداهما وقتل عبيد الله بن علي ، وكنانة بن كنانة ، وغيرهما من وجود القيسية ودخل عبد الرحمن قرطبة دخول الأبطال ، واستقر بقصر مغيث وأصبح أمير الأندلس بلا منازع ، وهنا يبدأ عهد جديد في تاريخ الأندلس .

ثورة يوسف الفهري على ابن معاوية ومقتله هو والصميل

دخل ابن معاوية قصر الإمارة بقرطبة دون مقاومة ، فاستنجدت به زوجة يوسف الفهري وابنتاه وقلن له : " يا ابن عمنا أحسن كما أحسن الله إليك [119] " ، وكانت عساكره قد سبقته إلى القصر ، فأصابت ما مافي مطابخه من أطعمة ، وامتدت أيديهم إلى محتوياته ، فأمرهم عبد الرحمن برد ما سلبوه من أهل القصر ، ثم طردهم منه ، وكسى عري بنات يوسف ، ثم أمر صاحب الصلاة بقرطبة ، هو جد بني سلمان القرائين ، وكان مولى ليوسف الفهري ، بضم النساء إلى داره ولكن تصرف ابن معاوية في نهية اليمينية عن النهب والسلب ، كان سببا في إغضابهم عليه ، وساءهم طرده لهم من القصر ، وحمايته لبنات يوسف الفهري ، إذ كانوا يزمعون فضيحتهن ، وأخذوا يهمسون بالوثوب عليه ، فقالوا " عصب ، وكأن ذلك لم يشتد على أهل العقول منهم ، وأضمروا إن قالوا قد أحسن ، وفي أنفسهم غير ذلك ، وقال بعضهم لبعض : ويحكم قد فزعنا من أعدائنا من مضر ، وهذا ومواليه ، فضع بئا يدا عليهم فيصير لنا فتحان في يوم واحد ، فكره كاره ، ورضى راض ، وأصفقت قضاعة على الكراهة " وذكر ابن القوطية أن أبا الصباح بن يحيى اليحصبي زعيم اليمينية بغرب الأندلس قال لثعلبة بن عبيد الجذامي ، من وجوه جند فلسطين عند انهزام يوسف الفهري ، ودخول عبد الرحمن بن معاوية قصر قرطبة " يا ثعلبة ، هل لك رأي في فتحين في فتح قال له ثعلبة : وكيف ذلك؟ قال أبو الصباح : قد استرحنا من يوسف فاسترح بنا من هذا ، وتكون الأندلس قحطانية [120] فقدم إلى ابن معاوية وأفضى إليه بما أسره إليه أبو الصباح ، فاحتاط عبد الرحمن لذلك ، وولى شرطته يومئذ عبد الرحمن بن نعيم ، وضم مواليه فجعلهم أحراسه ، وانضم إليه موالي بني أمية في قرطبة ، ولما عاين اليمينية من عبد الرحمن احتياطه الشديد وتحرزه منهم ، عدلوا عن خطتهم ، ثم خرج ابن معاوية إلى الجامع ، فصلى بالناس صلاة الجمعة ، وأعلن نفسه أميرا على الأندلس ، ولم يكن عمره وقتئذ يتجاوز السادسة والعشرين عاما [121] .

---

١١٨ أخبار مجموعة ص ٨٩ .

١١٩ - ابن القوطية القرطبي ص ٢٨ .

١٢٠ ابن القوطية ص ٣٠ .

١٢١ أمر عبد الرحمن بلعن المسودة وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور – الخليفة العباسي الثاني – (انظر ابن عذارى ج ٢ ص ٧٣)

وكـان لابد لعبد الرحمن منذ اليوم الذي استقر فيه بدار الإمارة بقرطبة ، أن يقضي على مقـــاومة يوسف الفهـــري والصميل ، فلم تكن هـــزيمتهما في المصارة كافية للقضاء على آمالهما في الظفر بالإمارة ، فمضى يوسف إلى طليطلة ليحشد من بقــايا مضر فيها من خف له منهم ، وقدم إليه وإليها هشـــام بن عـــروة الفهـــري كـــل ضـــروب التسهيلات ، أما الصميل فمضى إلى جيان من أنصـــاره القيسيين جيـــشا يناوئ بــه ابن معاوية واجتمع جيش الفهري مع جيش الصميل ، ثم أقبل يوسف والصميل بهذا الجيش إلى جـــيان ، وأرادا اجتـــذاب ابن معاويةإليهم ، فيـــخرج من قـــرطبة ، وعندئذ يســـير عبد الرحمن بن يوسف الفـــهري إليها ويحتل قصـــر الإمـــارة وكان عبد الرحمن بن معـــاوية قد ولى جابر بن العلا بن شهاب كورة إلبيرة ، فلما زحف جيش الصميل ويوسف إلى إلبيرة ، اضطر جابر إلى الفرار إلى بعض جبالها ، واجتمع أهل إلبـــيرة من القيسية ليوسف ، وبلغ ابن معاوية نزول يوسف والصميل بإلبيرة ، فحشـد أجنـــاده وزحف إليهما بعد أن خلف على قرطبة أبا عثمان في جمـــاعة من يمن قرطبة وموالي بني أمية .

وكـــان يوسف قد اتفق مع ابنه عبد الرحمن أبي زيد الذي كان مقيما في ماردة [١٢٢] أن ينتهز فرصـــة خـــروج ابن معاوية ويحـــتل قصر قرطبة ، وبالفعل ما كاد عبد الرحمن بن معاوية يسير إلى يوسف بإلبيرة حتى أغار أبو زيد على قرطبة ، وحاصر أبا عثمان في صومعة المسجد الجامع ، وكانت برجا من أبراج القصر ، ثم استنزله أبو زيد بعهد ألا يقاتله ، واكتفى بأن كبله بالأغلال وما كاد ابن معاوية يعلم بما حدث حتى قفل عائدا إلى قرطبة ، ففر أبو زيد من القصر بأبي عثمان وجاريتين أصابهما لابن معاوية ، فقال له بعض العقلاء من أصحابه : " صنعت ما لم تسبق إليه ، ظفر (ابن معاوية) بأخواتك وأمهاتك فستر عورتهن وكسا عريهن ، وظفرت بخادمين فأخدتهما " فظهر له سوء تصرفه ، ونـــدم على أخـــذه الجاريتين ، وصمم على تركهـــما في الطـــريق ، فأمر بخباء فضـــرب في قـــلعة تدمـــين بجوفى قرطبة ، على بعد ميـــل من المدينة ، وترك فيه الخـــادمتين بما كـــان لهما من متـــاع ، ومضى بأبي عثمان مكبلا حتى أتي أبـــاه بإلبيرة .

ولما عاد ابن معاوية إلى قرطبة وعاين ما حدث أثناء غيابه ، أرسل في طلب عامر بن علي ، وكانت له سورة وسيادة عند اليمنية ، فاستخلفه في القصر وعاد لمواجهة يوسف بإلبيرة ، فلما بلغ قرية أرملة من قرى إلبيرة ، أرسل إليه يوسف والصميل يدعوانه إلى أن يسلما له الأمر [١٢٣] ، ويعترفا بأمارته على الأندلس بشرط أن يؤمنهما في أموالهما ومنازلهما ، ويؤمن الناس كلهم ، فأجابهما إلى رغبتهما .

واصطلحا في سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) ، وكتب بينهما كتاب صلح ، واتفق الطرفان فيه أن يفرج ابن معاوية عن خالد بن زيد ، فيفرج يوسف عن أبي عثمان ، كما اشترط ابن معاوية على يوسف أن يرتهنه ابنيه عبد الرحمن أبا زيد ، ومحمد أبا الأسود ، على أن يبقيهمـــا معه في قصـــر قـــرطبة حتى تهـــدأ الامـــور ، فإذا هـــدأت ردهمـــا ، ولما اصطـــلح معـــاوية مع خصيمه دعاهما للنـــزول معه بقرطبة ،

---

١٢٢ - ابن القوطية ص ٢٩ .

١٢٣- ذكر ابن عذارى أن ابن معاوية حاصر يوسف الفهري بغرناطة ، فلما تمادى بالفهري الحصار ، سأل الأمال فأعطاه له والصميل (البيان المغرب ج ٢ ص ٧٢) .

فركب يوسف عن يمينه والصميـــل عن يســاره ، فلما دخــلوا قرطبة دخــل ابن معــاوية القصــر ، ونــزل يوسف بمنزله المعروف ببــلاط الحر [١٢٤] ونزل الصميل في داره بالربض [١٢٥] ، وكان الصميل صامتا طــوال مسيره بجــوار ابن معــاوية من إلبــيرة إلى قرطبة ، ما مست ركبته ركــبة ابن معــاوية ولا تقدم رأس بغلته رأس بغله ، ولا استفــهم في حديث ، ولا افتتــح حديثا بغــير أن يســأله عنه ، وأقــام يوسف والصميــل بقرطبة في أحســن حــال .

وكــان يترددان على ابــن معــاوية فيستشيرهما المــرة بعد المرة ، ودخل يوسف الفهري في عسكر الأمير كأحد رجاله ، فأنزله على ماله وأطلق له عياله .

وكانت سياسة التسامح والتصالح التي جرى عليها ابن معاوية ، وعفوه عن خصومه ، وجهوده التي بذلها لمحو الأحقاد ، قد أكسبته محبة أهل الأندلس له ، وقد شجعت هذه السياسة على إقبال كثير من المشارقة إلى الأندلس ، كذلك كان دوي النجاح الذي صادف ابن معاوية في الأندلس قد وصل إلى المغرب والمشرق ، فوفد إلى الأندلس سنة ١٤٠ هـ كثير من بيت أمية ومواليهم ، واستقبلهم الأمير حسن استقبال ، وأنزلهم وأكرمهم ، وأحسن جوائزهم [١٢٦] .

ومن بين من دخل الأندلس من بني أمية عبد الملك بن عمر بن مروان ويقــال له المرواني ، وجــزي بن عبد العــزيز بن مروان ، إذ دخلا ومعهما أولادهما [١٢٧] وشــجع عبد الرحمن بن معاوية على وفود موالي بني أمــية إلى الأندلس ، فبعث القاضي معــاوية بن صــالح الحضرمي فقيه أهــل الشــام [١٢٨] إلى الشــام لاستقدام أختيه ، فلما قــدم عليهما قــالتا له : " إن السفــر لا تؤمن آفته ، وقد أمنــا بحمد الله ، ووسعنا فضل القوم ، وحسبنا أن نكون بعــافية " .

ولم يتــح لهذا العهد السلمي أن يمتد أجله أكثر من عام واحد ، فقد أخذ بعض أنصــار يوسف في قرطبة من موالي بني هاشم وبني فهر وقبائل قريش وغيرهم يدفعونه إلى الثورة على ابن معاوية ، إذ أزال عنهم الأمير الأموي ما كانوا يتمتعون به من رفعة ومنــازل أيــام يوسف الفهري فحنقوا عليه ،

---

١٢٤ - هو بلاط الحر بن عبد الرحمن الثقفي والي الأندلس ، فيقال أن يوسف تجنى على ابن الحر فقتله وأخذ المنزل ويقال أنه اشتراه منه.

١٢٥ - ابن عذارى ، البيان ج **٢** ص **٧٢** .

١٢٦ - ابن عذارى ، البيان ج **٢** ص **٧٣** .

١٢٧ - وكان عبد الملك بن عمر مقيما بمصر منذ أيام الأمير عبد العزيز بن مروان ، فلما دخل المسودة أرض مصر ، خرج عبد الملك يوم الأندلس في عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة **١٤٠** هـ فعقد له على إشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على مورو – **(**انظر المقري ج **١** ص **٣٠٨) .**

١٢٨ - الخشنئ ، تاريخ قضاة قرطبة ص **٣٢** ، وما يليها – ابن القوطية ص **٣٤** .

وأخذوا " يختلفون إلى يوسف ، ويلقون عليه التحريف ، ويندمونه على ما كان ، فلم يزالوا حتى كاتب الناس ، " فلم يجبه أهل الأجناد إلى دعوته لمحاربة ابن معاوية ، إذا ألفوا حياة السلم والاطمئنان بعد حياة الفوضى والحرب الأهلية ، كذلك كـــره الصميل وأنصاره من القيسية ما دعا إليه يوسف ، وقالوا له : " حسبنا قد قضينا الذمام ولا والله نخلعه " ، فلـــما يأس منهم كاتب أهل البلد (وهم العرب والبربر البلديون) وأهل ماردة ولقنت ، حيث كـــانت بناته يعشن هناك مـــع أزواجـــهن وأولادهـــن ، فأجابوه إلى دعوته ، فـــهرب يوسف الفهري من قرطبة سنة ١٤١ هـ ، ناكـــثا بعهده ، ناقضا للإيمان بعد توكيدها ، حتى نـــزل مـــارده ، واجتمعت إليه حشـــود هائلة من الـــبربر والعـــرب البلديـــين ، فلـــما عـــلم ابن معاوية بهربه اتبعه الخيل ، وقبض على ابنيه ، واعتقل الصميل ، إذ اتهمه بأنه هو الذي نصحه بالثورة على ابن معاوية ، فاحتج الصميل بأنه لا ذنب له ، وأنه لو كان قد دبر الأمر مع يوسف لكان قد هرب معه ، ولم يأخذ ابن معاوية باحتجاجه ، فسجنه ، أما يوسف الفهري ، فقد غرته كثرة جموعه ، فزحف إلى لقنت ، حيث انضم إليه حشـــد جـــديد ، ثم أقبـــل إلى إشبيلية ، حيث تأبش إليه من أهـــل نواحيها عدد جـــم ، تضخـــم به عسكره وانتفـــخ حتى تجـــاوز العشرين ألف فزحف إلى عبد الملك بن عمـــر المرواني وإلى إشبيلية من قبل عبد الرحمن بن معاوية ، وكان جيش عبد الملك قليل العدد ، فتحصن داخل سور إشبيلية ، وأهمل يوسف شأنه لقلة من معه من أهل الشام ، وقصد محاربة ابن معاوية بقرطبة ، وزحف ابن معاوية من قرطبة بجيش كثيف حتى نزل بمحلة يقال برج أسامة [١٢٩] ، وكان عبد الملك قد أرســـل ابنه عبد الله عمر بمورو ر يأمره بالقدوم إليه لفك حصار يوسف عنه ، فأقبل عبد الله إلى عمر على رأس حشد كثيف انضم إلى جموع أبيه عبد الملك ، وزحف بها عبد الملك وولده وراء يوسف الفهري وكانت الأخبار قد وصلت إلى ابن معاوية بأن يوسف في طريقه إليه ، فزحف حتى نزل المدور ، فخاف يوسف أن يقع بين جيشي ابن معاوية وعبد الملك ، وآثر أن يتخلص أولا من المرواني وابنه ، ثم يتفرغ بعد ذلك لمقاتلة ابن معاوية فبادر يوسف بمواجهة عبد الملك وبدأت المعركـــة بنزول أحـــد مـــوالي يوسف من الـــبربر ، معـــروف بالشجـــاعة لمبارزة أحـــد أنصار عبد الملك المرواني ، فنـــزل مـــولى حبشي لعبد الله بن عبد الملك يكنى بأبي البصـــري ، وتمكن هذا الحبشي من التغلب على البربري وقطـــع رجليه بسيفه ، " ثم كبر القـــوم وحمـــلوا حملة رجـــل واحد ، فانهزم يوسف من ساعته وتفرق من معه [١٣٠] ".

وفـــر يوسف الفهري إلى قريش ، ومضى منـــها إلى فحص البلوط ، ثم سار في المحجة المؤدية إلى طليطلة ، بقصـــد الاحتماء عند ابن عـــروة وإلى طليطلة ، فأدركه عبد الله بن عمر الأنصاري قبل طليطلة بأربعة أميال ، فقتله سنة ١٤٢ هـ حتى يريح الناس من شره واحتز رأسه وأقبل به إلى عبد الرحمن بن معاوية [١٣١] .

١٢٩ - أخبار مجموعة ص ٩٧ .

١٣٠ - أخبار مجموعة ص ٩٩ .

١٣١ - أخبار مجموعة ص ١٠٠ .

وكان لابد لعبد الرحمن من تغيير سياسة التسامح التي جرى عليها ، بعد أن ثبت له فشلها ، وعمل على تطبيق سياسة جديدة تقوم على الشدة والعنف في مواجهة أعدائه ، لذلك رأى أن يتخلص من أعدائه جملة ، فبادر بعبد الرحمن بن يوسف فأمر بإخراجه من سجنه ، وضرب عنقه لأنه لم ينس دخوله في قصره أثناء غيابه ، وانتهاكه لحرماته ، كذلك عمد إلى التخلص من الصميل ، فأدخل عليه من خنقه [١٣٢] ، وبذلك انتهى عبد الرحمن من أولى مشكلاته .

ثورات عربية ، ومؤامرات إفرنجية

لم يمض عام وأربعة أشهر على مقتل يوسف والصميل ، وشروع عبد الرحمن في توطيد سلطانه ، حتى ثار بمدينة طليطلة أحد زعماء القيسية من اتباع يوسف الفهري ، وهو هشام بن عروة الفهري [١٣٣] وانضم إليه عدد كبير من العرب أمثال حيوة بن الوليد التجيبي ، والعمري من ولد عمر بن الخطاب ، فخرج إليه عبد الرحمن بطليطلة ، وحاصره فيها حصارا شديدا ، أرغم هشام على طلب الصلح ، وبعث ولده إلى عبد الرحمن رهينة ، فانصرف عنه الأمير ، ولكنه نكث عهده ، فغزاه الأمير في العام التالي ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) فنزل به وحاربه ودعاه إلى الرجوع ، فلما يئس منه ، أمر بضرب عنق ابنه ، ثم أمر بقذف الرأس في المنجنيق ، فسقط في المدينة ، ورجع عنه ذلك العام ، لانشغاله بقمع ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي بباحة سنة ١٤٦ هـ ، في الغرب ، ودعوته لأبي جعفر المنصور الذي بعث إليه بسجل ولواء ، فقام العلاء ودعا إلى خلع عبد الرحمن [١٣٤] ، وعلى الأخص جماعات اليمنية التي عقدت العزم على التخلص من ابن معاوية منذ اليوم الذي حال فيه بينهم و بين أعمال القرصنة عقب هزيمة يوسف الفهري ، ويبدو أن العلاء اختار الوقت المناسب للقضاء على دولة عبد الرحمن الفتية ، فقد كانت التوراث تجتاح الأندلس في شماله وجنوبه وعلم الأمير عبد الرحمن بثورة العلاء ، وانضمام الثوار إليه ، فخرج من قرطبة إلى حصن قرمونة ، حيث تحصن بها مع مواليه وثقاب رجاله ، وقدم العلاء ونازله بقرمونة ، وحاصره بها ما يقرب من شهرين حتى ساءت حالته ونفذت مؤونته ، وهبطت روح قواته المعنوية ، كذلك انخذل عن العلاء أكثر أنصاره لطول الحصار ، وأدرك عبد الرحمن أن هذه هي فرصته للانقضاض على عسكر العلاء ، وكان لابد له أن يغامر بكل شئ ، فجمع قواته - وكانوا نحو سبعمائة - وأمر بنار فأوقدت عند باب إشبيلية من أبواب مدينة قرمونة ، ثم أمر بإغماد سيوف أصحابه فطرحت في النار ، وقال لهم : " اخرجوا معي لهذه الجموع خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع [١٣٥] وسل سيفه في المقدمة واندفع من باب المدينة وخلفه كماه رجاله ، وانقضوا على جيش العلاء بن مغيث فمزقوه شر ممزق ، وبلغ عدد القتلى منه نحو سبعة آلاف [١٣٦]

---

١٣٢ - أخبار مجموعة ص ١٠١ .

١٣٣ - ثار قبل هشام بن عروة رجل اسمه رزق بن النعمان الغساني ، فقتله الأمير عبد الرحمن بن معاوية .

١٣٤ - ابن القوطية ص ٣٣ – ابن عذارى ج ٢ ص ٧٧ .

١٣٥ - ابن عذارى ، البيان المغرب ج ٢ ص ٧٧ .

١٣٦ - المقري ، نفح الطيب ج ١ ص ٣١١ .

وكـــان العلاء نفسه من بـــين القتلى وأمـــر عبد الرحمن مبـــالغة منه في السخـــرية من خصـــمه المنصـــور أن يبعث رأس العـــلاء إليه ، فأخذ رأس العـــلاء وصبره ، ولفه في الســـجل واللـــواء ، وأدخـــله في سفط وبعث به مع رجـــل من أهـــل قـــرطبة في جملة الحجـــاج ، وأمره أن يضـــع السفط في مكة أمـــام ســـرادق المنصـــور الـــذي كـــان يحج هـــذا العـــام ، ففعل القـــرطبي ما أمـــره به ابن معـــاوية ، فلما نظر إليه المنصـــور ارتاع وقال : " إنا لله ، عرضنا بهذا المسكين للقتل ، الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان " [١٣٧] .

وقد شهد له أبو جعفر المنصور بقوة الحيلة وشدة البأس وطول المراس ، فذكروا أنه قال يوما لبعض جلساته " أخبروني من صقر قريش من الملوك ؟ قالوا : ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك ، وسكـــن الزلازل ، وأبـــاد الأعـــداء وحســـم الأدواء قـــال : ما قلتم شيئا ، قالوا : فمعاوية ، قـــال : لا ، قـــالوا : فعبد الملك بن مروان ، قال : ما قلتم شيئا ، قـــالوا : يا أمير المؤمنين فمن هو ؟ قال : صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر ، وقطع الفقر ، ودخل بلدا أعجميا منفردا بنفسه ، فمصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، وأقام ملكا عظيما بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته ، إن معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذللا له صعبه ، وعبد الملك ببيعة أبرم عقدها ، وأمير المؤمنين بطلب عترته واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفردا بنفسه ، مؤيدا برأيه ، مستصحب لعزمه ، وطد الخلافة بالأندلس ، وافتتح الثغور ، وقتل المارقين ، وأذل الجبابرة الثائرين ، فقال الجميع صدقت والله يا أمير المؤمنين [١٣٨] .

لما قضى عبد الرحـــمن الداخـــل على ثـــورة العـــلاء بن مغـــيث وجـــه مـــولاه بدرا وتماما في جيش كثيف إلى طليطلة لإخماد ثورة هشـــام بن عـــروة ، فحـــاصراها حصارا طويلا منعا فيه دخول الأقوات إلى المـــدينة حتى مـــل أهلـــها الحصار ، فكـــاتبوا بدرا وتماما وسألوهما الأمان ، على أن يسلـــموا لهما ابن عروة وهشـــام بن حـــمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وحيـــوة بن الـــوليد التجيبي ، وتـــم الأمر على ذلك ، فأخـــذهم تمـــام معه إلى قرطبة وأقـــام بـــدر في طليطلة منتظرا أمر عبد الرحمن ، فلما صار تمام بأوربط Oreto ، التقى بعاصم بن مسلم الثقفي رسولا من الأمـــير يأمره بالعودة إلى طليطلة ، ويقلده أمـــرها ، على أن يسلم الثوار إلى ابن مسلم كما طلب منه أن يعمل على عـــودة بدر إلى قـــرطبة ، ففعل تمام ، ومضى ابن مسلم بالثوار متجها إلى قرطبة وفي قريـــة حلوة أرغم الثـــوار على حلق رؤسهم ولحـــاهم وارتـــداء جبب صوفية وركوب الحمـــير ، ودخـــلوا قرطبة على تلك الحـــال ، وأمر بهم عبد الرحمن فقتلوا وصلبوا [١٣٩] .

---

١٣٧ - ابن القوطية ص ٣٤ – ابن عذارى ، البيان ج ٢ ص ٧٨ .

١٣٨ - ابن عذارى ج ٢ ص ٨٨ – ٨٩

١٣٩ - ابن عذارى ص ٧٩ .

وجاء في فتح الطيب أن أبا جعفر قال لبعض جلسائه : " لا تعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه وقوة أسبابه ، فالشأن في أمر فتى قريش الأحوذي الفذ في جميع شئونه ، وعدمه لأهله ، ونشبه ، وتسلية عن جميع ذلك ببعد مرقى همته ، رمضاء عزيمته حتى قذف نفسه في لجج الممالك لابتناء مجده ، فاقتحم جزيرة شاسعة المحل ، نائية المطمع ، عصبية الجند ، ضرب بين جندها بخصوصيته ، وقمع بعضهم ببعض قوة حيلته ، واستمال قلوب رعيته بقضية سياسته ، حتى انقاد له عصيهم وذل له أبيهم ، فاستولى فيها على أريكته ملكا على قطيعته ، قاهرا لأعدائه ، حاميا لزماره ، مانعا لحوزته ، خالطا الرغبة إليه بالرهبة منه ، إن ذلك لهو الفتى كل الفتى لا يكذب مادحه " المقري ج ١ ص ٣١٠ .

أما المشكلة التالية التي واجهت عبد الرحمن بن معاوية فهي مشكلة اليمنية الذين آزروا عبد الرحمن أول الأمر رغبة في الانتقام من المضرية والتشفي منهم ، فلما أوقفهم عبد الرحمن عن ذلك عند دخوله قرطبة أتمروا له الكيد ، ولكنهم عدلوا عن خطتهم في قتله عندما تبين لهم أنه محتاط لنفسه ، ورأيناهم ينتهزون الفرصة فيؤازرون العلاء بن مغيث في ثورته على ابن معاوية .

ولم يمضي عــامان على مقــتل هشـــام بن عروة وصاحبيه حتى ثار أحد زعـــماء اليمنية ، وهـــو سعيد اليحصبي المطري بمدينة لبلة سنة ١٤٩ هـ (٧٦٦ م) ، فانضـــم إليه عدد كبـــير من اليمنية ، فســـار إلى إشبيلية ، واستولى عليها قسرا ، ثم نـــزل بقلعة رعواق المعروفة بقلعة وادي أيـــرة Guadaira أو قلعة جـــابر ، فتحصـــن فيهـــا ، فســار إليه ابن معـــاوية وحاصـــره حصـــارا شديدا ، فاضطـــر المطـــري إلى الخـــروج في جمـــاعة من أنصـــاره ، فحطت عليهم عســـاكر ابن معـــاوية وقتلـــهم قتـــلا ذريعـــا ، وجئ برأس المطـــري إلى الأمير [١٤٠] .

وفي نفس هذا العـــام ثـــار أبو الصبـــاح بن يحيى اليحصبي ، وكان الأمـــير قـــد ولاه إشبيلية ، ثم عـــزله عنـــها بعد ثورة سعـــيد اليحصبي لشـــكه في أمـــره ، فنقـــم عليه أبو الصباح لذلك ، وألب عليه الأجناد في غـــرب الأندلس ، فتحـــايل الأمـــير على استـــقدامه إلى قرطـــبة بالأمـــان ، فـــقدم في أربعمـــائة رجـــل مـــن أتباعه فعاتبه الأمـــير عـــبد الرحـــمـــن ، فأغلظ له أبـــو الصبـــاح القـــول ، فـــأمر به عـــبد الرحـــمن فقتل ، ولما عـــلم أتباعه بقتله تفرقوا [١٤١] .

ومضت ثـــلاث سنوات على ثـــورة أبي الصبـــاح ثـــم ثـــار رجـــل مـــن بـــربر لجـــدانية Lusitania اســـمه سفـــين بن عـبد الـواحـد سـنة ١٥٢ هـ (٧٦٩ م) ، ادعى أنه من ولـــد الحسن بن علي وأنـــه فاطمي ، فوثب على عامل مـــاردة وقتله وتغلب على ناحية قورية ، فخرج إليه الأمير على رأس جيش ، فهرب سفين إلى الجبال ، واستعصى على عبد الرحمن أمره ، وبينما كان مشغولا بمطاردته ، وصـــله كتاب من مولاه بدر بقرطبة يخبره فيه بثورة حيوة بن مـــلامس الحضرمي ، ومعه عبد الغافر اليحصبي في إشبيلية ، طلبا لثأر أبي الصباح ، فعاد الأمير إلى قرطبة ، ومنها ســـار إلى غـــرب الأندلس ، وهزمهم هزيمة شنعاء قتلهم فيها قتلا ذريعا ، وقتـــل حيـــوة ، وأفلت عـــبد الغـــافر ، فـــركب البحـــر إلى المشـــرق ، ثـــم تفـــرغ عبـــد الرحمـــــن بعد ذلك لمحـــاربة الفـــاطمي ، وامـــتد أمره معه حتى قتـــله سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) .

أمـــا أعـــظم المشـــاكل التي صـــادفته فهي مـــؤامرة كـــبرى دبـــرها له بعـــض ثوار الأندلس من العـــرب المعارضين لدولـــة عـــبد الرحمن بن معـــاوية ، وذلك ســـنة ١٦١ هـ (٧٧٨ م) ومـــا يليها ، بالاتفـــاق مـــع الخليفة العبـــاسي الثـــالث محمد المـــهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ ، ٧٧٥٦ - ٧٨٥ م)

---

١٤٠ - ابن عذارى ج ٢ ص ٨٠ .

١٤١ - ابن عذارى ج ٢ ص ٨٠ .

ومستعينين في ذلك بقـــارلة (شارلمان بن بيبان) ملك الفرنجة الذي كان على علاقة من الصداقة والمودة مع الخليفة العباسي بدافع من المصلحة المشتركة ، ونلاحظ وجود تقارب بين الدولة العبــاسية والدولـــة الإفرنجية بسبب عدائهما المشـــترك للدولـــة الأموية في الأنـــدلس ، وكذلك وجـــود تقـــارب بين الدولـــة الأمويـــة بالأندلس والدولـــة البيزنطية بسبب عدائهما المشـــترك للدولـــة العباسية وبسبب العـــداوة بين البابويـــة والدولة البيزنطية ، وتعضيد الفرنجة للسياسة البابوية .

هــــؤلاء الثـــوار العـــرب هـــم : عـــبد الرحـــمن بن حـــبيب الفـــهري المعـــروف بالصقـــلبي ، أحـــد أصـــهار يوســـف الفـــهري ، وســـمى بالصقـــلبي لأنـــه كـــان طـــويلا أشـــقر ، أزرق ، أمعر[١٤٢] ، وقـــد ثـــار ابـــن حبيـــب بتدمـــير ســـنة ١٦٣ هـ ، كـــذلك ثـــار علـــيه سليـــمان بن يقظـــان الأعـــرابي والـــي برشلـــونة وثـــار مـــعه بســـرقسطة حســـين بـــن يحـــيى الأنصـــاري مـــن ولـــد ســـعد بن عبـــادة ، وأخـــيرا ثـــار عـــليه الـرماحس بن عـــبد العـــزيز الكـــناني ، والي الجـــزيرة الخضـــراء ، ســـنة ١٦٤ هـ .

ولـــم يـــكن قارلة يزهـــد في امتلاك الأندلس ، فقد كـــان قد فـــرغ من حـــروبه في الجـــزء الأعـــظم مـــن أوروبا ، وضـــم إلى مـــلكه لمبـــارديا وسكسونيا وبافيير وبـــلاد الآفاريين وامـــتد ملكه حتى الـــدانوب [١٤٣] .

وكـــان قـــارلة يحلم بطـــرد المسلمـــين من الأنـــدلس [١٤٤] ، ويطـــمع في ضـــم ممـــلكة القـــوط القديمة إلى إمـــبراطوريته ، ويـــبدو أن المـــؤامرة قد دبـــرت بعلم محمد المهدي العبـــاسي ومـــوافقته وليس أدل على ذلك من التجاء الرماحس إليه بعد أن فشلت ثـــورته على ابن معاوية في الجزيرة الخضراء [١٤٥] .

وبدأ عبد الرحمن بن حبيب الفهري الصقلبي بالعبور إلى إفريقية ، ثم عاد بجيش كبير من البربر نزل به في مدينة تدمير ، التي ستصبح فيما بعد مدينة مرسية وكانت مهمة سليمان بن يقظان الأعرابي ، الذهاب إلى سرقسطة وإعلان الثورة مع أحد المغامرين العرب

---

١٤٢ - ابن عذارى ، البيان ج ٢ ص ٨٣ .

143 - Levi Provencal Histoire t.i.p 120

١٤٤ - في رؤيا رآها قارلة ناداه القديس جميس قائلا : " إن جثمانة الذي لا يعرفه المسلمون والمسيحيون يرقد في تلك الارض النائية ، وأمر شارلمان بأن ينهض وأن يستخلص جليقية من يد المسلمين " وتكرر ظهور الرؤيا ثلاث مرات ، ولم يسع قارلة إلا أن يلبي النداء في المرة الرابعة (انظر كارلس ديفز : شارلمان ، ترجمة الدكتور السيد الباز العربي ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٩٨) .

١٤٥ - ذكر صاحب أخبار مجموعة اسم الخليفة أبي جعفر المنصور بدلا من محمد المهدي ، ويبدو أنه خلط بين مؤامرة العلاء بن مغيث وبين مؤامرة الرماحس (ص ١١٢) .

وهو حسين بن يحيى الأنصاري ، وكان على الرماحس أن يعلن الثورة في جنوب الأندلس في نفس الوقت ، وكان لابد لعبد الرحمن بن معاوية أن يحــارب هؤلاء الثوار الواحد بعد الآخر ، فبدأ بأخطرهم وهــو عبد الرحمن بن حبيب الذي هــرب وتعلق بالوعــر ، وتمكن عبد الرحمن من إحــراق سفــن ابن حبيب الـراسية بســاحل البحــر قــرب بلنسية [١٤٦] .

فأرسل ابن حبيب إلى سليمان بن يقظان الأعرابي ببرشــلونة يدعوه إلى الدخول في أمره ويسأله أن يمده بمعــونته ، ولكن ســليمان لم يجــبه إلى طــلبه ، فامتــعض الفهري وغزاه ، ولكنه انهزم وفر إلى تدمير والتجــأ عند رجــل مــن بربر البرانس يقــال له مشــكار الــبربري [١٤٧] فصار مشــكار المذكور من ثقات أصحابه واطمأن إليه ابن حبيب ، فقتله البرنسي في أواخر سنة ١٦٢ هـ (٧٧٨ م) .

ثم وجــه ابن معــاوية هــمه بعد ذلك لمقــاتلة الــرماحس ، فــأرسل إليه وزيره عبد الله بن خــالد على رأس جيش ، ففر الرمــاحس على مركب جــاز به البحر حتى قــدم إلى الخليفة العباسي ، أمــا سليمان الأعــرابي فقد ثــار بسرقسطة وثــار معه حسين بن يحيى الأنصــاري ، فبعث إليهما ابن معــاوية قــائدة ثعلبة بن عبيد الجذامي في جيش ، غــير أن سليمان نجح في هــزيمة هــذا الجيش ، وأســر ثعلبة ، وعــمل على الاستــفادة من أســره فــترك على ســرقسطة زميله حســين بن يحيى الأنصــاري ، ومضى هــو وأســيره إلى إفــرنجة حيث قــابل قــارلة وسلمه ثعلبة ، وحــرضه على غزو شمال الأندلس [١٤٨] .

ووجد قارلة في ذلك فرصة مواتية لغزو الأندلس ، فخرج على رأس جيوشه في ربيع سنة ٧٧٨ م متجها نحو جبال البرتات ، فاجتــازها إلى رنشقالة وهــاجم بنبلونة واستولى عليها ، ثم استمر في زحفه نحو سرقسطة ، وهــو يعتقد أنها ستفتح له أبــوابها ، إذ كان الأعرابي قد مهد السبيل أمامه لدخولها ، ويبدو أن حسين بن يحيى طمع في الانفراد بولاية سرقسطة ، فأغلق أبوابها أمام جيوش قارلة ، وأصــم أذنيه عن توسلات ابن الأعرابي ، وطال حصار قارلة للمدينة عبثا حتى يئس من فتــحها ، وكانت الانبــاء قد وصلته بحدوث اضطرابات في بلاده ، فاضــطر إلى رفــع الحصــار عن المدينة ، وقفبل عائدا إلى بلاده ، وقد أرغــم سليمان على التراجــع معه لعجزه عن تحقيق وعــده لقارلة بإدخــاله سرقسطة .

وانســحب قــارلة بجيشه نحو غــالة (بــلاد الغــال) أو غــالة " كــانت تشــمل فرنسا و بلجيكا ، والجــزء الألمــاني الــواقع غرب نــهر الــراين " ..

---

١٤٦ - ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٨٣ .

١٤٧ - نفس المرجع ص ٨٣ – ابن عذارى ، ج ٢ ص ٨٣ .

١٤٨ - يرى ليقي بروفنسال أنه من المحتمل أن يكون سليمان الأعرابي قد توجه إلى إفرنجة وفي صحبته أحد الخارجين من العرب على عبد الرحمن بن معاوية وهو أبو ثور ، وكان قائدا على إقليم وشقة ويستند في ذلك إلى فقره من الحوليات الملكية لدولة الفرنجة التي تروي أن ملك الفرنجة تلقى سنة ٧٧٨ م من أبي ثور صاحب وشقة وابن الأعرابي صاحب برشلونة وجرندة بعض الرهائن **(ص ١٢٣) .**

وكانت مدينة ليون هي العاصمة المركزية لبلاد الغال و وهي ملتقى نهري السيون والرون فيها ولذا تسمى بمدينة النهرين وتقع مدينة ليون الفرنسية جنوب شرق فرنسا ، على سفح جبل تعلوه كتدرائية نوتردام دي لافورفيير ، وكما هي ملتقى لنهري السون والرون ، كانت ملتقى فرســان المعبد أبــان الحــرب الصليبية ، وسبق للقديس لويس التاسع " أسير المنصورة " إدارة حملته على مصــر من هناك قبل وصوله إلى مصر ليبقى بها أســيرا) ، ولمــا أدرك بنبلونة سحــب حــاميتها الإفــرنجية وهــدم أســوار المــدينة ، ولــكن عبد الرحمن بن معاوية لم يتركه يرحل في سلام ، فقد آثار عليه قبائل البشكنس [149] وكانوا يحقدون على قارلة لتخريبه بنلبونة ، فترصدوا مؤخرة جيشه الكبير وهــو يجتاز أحد دروب شعاب رنسفالة ، وأمطروها وابــلا من الســهام وكــتل الحجــارة ، حتى قضــوا على هذه المؤخرة قضاء مبرما وقتل في رنشقالة عدد كبير من أعاظم قواده ، نخص بالذكر منهم إيجبيهار ، وانسيلم ، كما قتل صفيه وأعظم قواده رولان [150] (رولاند أو " أورلاندو " ابن أخ شارلمان ، بطل الملحمة الفرنسية " أغنية رولاند " حمى مؤخرة شارلمان أثناء الانسحاب من جبال البيرنيية ، وعندما هاجمه العرب أبت عليه كبرياؤه وغروره وحقده على المسلمين " مسلمي الأندلس " النفخ في البوق طلبا النجدة ، ولكنه صرخ عندما كان يحتضر مغموما مقهورا فسمعه شارلمان على بعد ثمانية أميال) .

وفي أثناء المعركة تمكن مطروح وعيشون ولدا سليمان بن الأعرابي من تخليصه ، ورجــعا به إلى سرقسطة ، وهكذا انتصر الأمــير عبد الرحمن على المتآمرين عليه ، واضـــطر قــارلة إلى مهــادنته حتى يتفرغ لمشــاكله الداخلية ، وفي ذلك يقــول المقري : " وخاطب عبد الرحمن قارلة ملك الإفرنج ، وكان من طغاة الإفرنج بعد أن تمرس به مدة فأصابه صلب المكسر ، تام الرجولية ، فمال معه إلى المدارة ، ودعاه إلى المصاهرة والسلم ، فأجابه للسلم ، ولم تتم المصاهرة [151] ويؤيد الأستاذ ليفي بروفنسال ما ذكره المقري مستندا إلى أن قارلة لم يقم بأي مغامرة أخرى في إسبانيا الإسلامية منذ حملته الفاشلة التي قام بها سنة ٧٧٨ م حتى سقوط برشلونة سنة ٨٠١ م [152] .

ولقد أيقن قارلة أنه لن يتمكن من بسط نفوذه في إسبانيا الإسلامية ، طالما لا يرتكن في إسبانيا نفسها على قوى مناوئة للأمير الأموي ، كما وضح لديه استحالة تفوقه على الإسلام في إسبانيا ما لم يؤمن بلاد غالة الإفرنجية والغرب المسيحي .

---

١٤٩ - أشار صاحب أخبار مجموعة إلى خروج الأمير عبد الرحمن إلى بنبلونة في ذلك الوقت (انظر أخبار مجموعة ص ١١٤) .

١٥٠ - ما زال شاهدا قبري ايجبيهار ورولان قائمين ، يحملان تاريخ ١٥ أغسطس سنة ٧٧٨ ..

١٥١ - المقري ، نفح الطيب ح ١ ص ٣١٠ .

152 - Levi Provencal Histoire t.i.p 121

ولذلك عمد في نفس العام الذي عاد فيه إلى بلاده من حملته الفاشلة إلى ضم مملكة أكيتانيا إلى مملكة إفرنجة بقصد مراقبة نشاط أمراء المسلمين الموالين لقرطبة أو الخارجين على طاعتها ، على تخوم البرتات ، أو الحـــد من هذا النشاط ، ومنح قـــارلة هذه الممـــلكة الكارولنجية إلى ابنه لـــويس الذي سمى فيـــما بعد باسم لويس التقي ، وتألفت من هذه المملكة ومملكتي غسقونية وسبتمانيا جبـهة قوية تـــواجه أمـــلاك المسلمين في إسبـــانيا ، وقـــد آتت هـــذه السيـــاسة الواقعية ثمرتها ، إذ أن سكان المدن الإسلامية في إسبانيا ، الواقعة بعيدا عن قرطبة ، مـــركز الإمارة الأندلسية ، وقريبا من الممالك الإفرنجية ، كانوا يتوجهون بالطاعة لهذه الممالك ، فقد حـــدث قبل وفـــاة عبد الرحمن الداخل بثلاث سنوات أن ســـلم أهـــالي جرندة مدينتهم سنة ٧٨٥ م إلى ممثلي الســـلطات الإفرنجية ، وتـبع ضيـــاع جرندة سقوط مدينة برشلونة في أيدي الفرنجة [١٥٣] سنة ٨٠١ م .

وبينـــما كـــان جيـش قـــارلة يـــتراجع عـــن ســـرقسطة كـــان جيـــش عبد الرحمن بن معاوية يتأهب للسير نحو سرقسطة للقضاء على الثوار ، وقـبل أن يصل الأمير عبد الرحمن إلى سرقسطة أو عز حسين بن يحيى الأنصاري إلى أحد أتباعه بقتل الأعرابي في المسجد الجامع سنة ١٦٤ هـ (٧٨٠ م) ، حتى ينفرد بحكم سرقسطة ، أما عيشون بن سليمان فقد فر بعد مصـــرع أبيـــه إلى أربونة ، ثم عـــاد إلى سرقسطة عندما بلغه قدوم الأمـــير عبد الرحمن إليها وافتتاحها ، وتمكن أخـــيرا من اصطياد قاتل أبيه وقتـله ، وانضـــم إلى جيش الأمـــير وساهم في حصـــار حسين بن يحيى ، فلـــما ضاق حسين بهذا الحصـــار ، أرســـل إلى الأمـــير يطلب الصلح ، وأرســـل إليـــه ابنه سعيد رهينة ، فقبل الأمـــير ذلك ، وفـــك الحصار عن سرقسطة ومضى إلى بنبلونة وقلنـــيرة وكر على " البشقنش ثم على بـــلاد الشرطانيس " ولكن سعيدا تمكن من الفـــرار وعـــاد إلى سرقسطة سنة ١٦٥ هـ ، وهـــنا نكث حسين عـــهده مع الأمير ، فســـير إليه عـــبد الرحـــمن قـــائده غـــالب بن تمامه بن علقمة على رأس جيـــش حـــاصر به المـــدينة ، ثم أدركه الأمـــير في العـــام التالي ١٦٦ هـ (٧٨٢ م) وقد عزم عزما صادقا على افتتاح المدينة ، فشدد عليها الحصار ، ونصب عليها ستة وثلاثين منجنيقا من كل جانب ، فترامى القـــوم إليه وأســـلموا إليه حسينا فقتله عـــبد الرحمن ، وانتـــهت بذلك ثـــورة حسين بن يحيى .

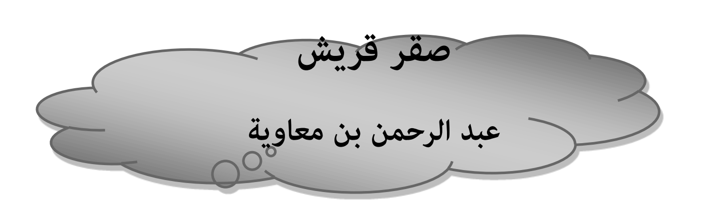
وكـــانت آخـــر حـــلقة من سلسلة هذه المـــؤامرات ، مـــؤامرة دبـــرها ابن أخت الأمير عبد الرحمن الداخل ، واسمه المغيرة بن الوليد بن معاوية سنة ١٦٨ هـ ، وساعده فيها هذيل بن الصميل بن حـــاتم ، وكشف عبد الرحمن المـــؤامرة ، وقبض على المغـــيرة وهذيل واستنطقهما فاعـــترفا ، فأمـــر بقتلهما .

ثـــم كـــانت مـــؤامـــرة محـــمـــد بـــن يوســـف الفـــهـري المعـــروف بـــأبي الأسود ، وإعـــلانه الثـــورة على الأمـــير عـــبد الرحـــمن بمدينة قسـطلونة بشـــرق الأنـــدلس ، وهـــزمه عـــبد الرحـــمن فـــي مخـــاضة الفتـــح فـــي مســـتـــهل ربيـــع الأول ســـنة ١٦٩ هـ ،

---

153 - Levi Provencal Op Cit p. 128

ففــر إلــى قــورية فطــارده الأمــير عبد الرحمن ، وأرغــمه على الفــرار إلى المفاز ، بأقصى شــمال إســبانيا وكــان ذلك آخـــر ما قــام به عــبد الرحمن الــداخل مـــن حـــروب ، إذ مــات فـــي جمادي الأول سنة ١٧٢ هـ (أكتوبر ٧٨٨ م) ، ودفـــن بالروضة من قصـــر الإمـــارة الذي أصـــبح مـنـذ ذلك الحـــين بمثابة ســـان دنيس وقصـــر اللـــوفر .



هـــو أبــو المظفر (أو أبو المطرف أو أبو سليمان) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبو العاص بن أمية بن عبـد شمس بن عبد منـاف " الجد الثالث لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) " بن قصي بن كـلاب بن مـرة بن كعب بن لـؤي بن غالب بـن فـهر " قـريش " بن مـالك بـن قيـس بن كنـانة بـن خـزيمة بـن مدركـة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنـــان .

كانت أمه أمة بربرية أسرت في أفريقيا واسمها " راح " . وقد ولد عبد الرحمن . سنة ١١٣ هـ / ٧٣١ هـ في ديرحينا (أو ديرخنينة) قرب دمشق وكانت له أخته من أمه هي أم الأصبغ ، وكان عبد الرحمن لا يركن إلى الحياة الهادئة الخامله ، بل كانت تسيطر عليه أحلام المجد وهو ابن العشرين ، وكان طويل القامة ، صلب العزيمة ، متحمسا ، سديد التربية ، تهيأ له من المواهب ما قل أن يتوافر مثلها لغيره ، وأوحيت إليه طبيعته أنه خـلق للمجد المؤثل وعملت ذكريـات طفولته على إلهاب روح المخـاطرة والإقـدام التي اشتد عرامها منذ أن عـاش عيشة الفقر والتجـوال ، وكان عبد الرحمن شديد الإيمان بالعقيدة الشائعة بين العرب من أن لكل شخص قدراً مكتوبا على جبينه ، وقد آمن بنبوءة تنبأها له عم أبيه " مسلمة " الذي ذاعت شهرته كعراف ، وطابقت تلك النبوءة أطماعه المتقدة " بقولهم إن عرش الأمويين آيل للإنهيار ، ولكن فرعا من هذه الأسرة البارزة سيعيده في مكان ما " ، والظـاهر أن عبد الرحمن كـان مؤمنا بهذه الفكرة . كانت أمه من قبيـلة " نفرة " البربرية وكانت تسكن قرب سبته " بدولة المغرب حاليا " .

وظـل ينتقل من بلد إلى آخـر بعد هـروبه من العباسيـين ويختفي أحيـانا لمدة خمس سنوات ، دون أن يخطر ببـاله أن يجرب حظه في الأندلس ، بل كانت إفريقيا هي شغله الشـاغل ، لما اقتنع عبد الرحمن بعدم نجـاح مشـاريعه في إفريقيا ، تطـلع إلى الشـاطئ الآخـر من البحر .

- كان عبد الرحمن الداخل قليل الورع بطبعه ، لكنه مواظب على آداء فروضه .

و كان وصوله إلى شاطئ الأندلس ومعه رفقائه وموالاليه في شهر سبتمبر سنة ٧٥٥ م – ربيع الثاني ١٣٨ هـ . وقول آخر أول ربيع سنة ١٣٨ هـ - الموافق ١٤ أغسطس سنة ٧٥٥ م . وكـان ذلك بعد وصـول إثنان من مواليـه من الأندلس بعد أن رتبـا له الأمـور بالاتفـاق مع المـوالي وكـذا اليمنيون .

- حكم عبد الرحمن الداخـل الأندلس اثنين وثلاثين سنة – ٣٢ سنة – .
- كانت الرايات البيضاء شعار الأمويين ، أما العباسيون فكانت الرايات السوداء .
- الخـليفة العبـاسي " الثـاني " أبي جعفر المنصور (١٣٦ هـ - ١٥٨ هـ الموافق ٧٥٤ م – ٧٧٥ م)

سـأل رجـاله ذات يوم : " من صـقر قـريش ؟ " فخالـوه نفسه بذلك اللقب فبـادروا قـائلين لـه : " أمـير المؤمنين الذي راض الملك ، وسـكن الـزلازل ، وحسـم الأدواء وأقـاد بالا " فأجـابهم الخـليفة : "

✸ مــا صنعتم شيئا " فسموا له معــاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مــروان فقال : " لا هــذا ولا هــذا ، إن معــاوية نهض بمركب حمله عليه عمــر وعثمان ، وذللا له صعبــه ، وعبد الملك ببيــعة تقدمت له ، أما صقــر قريش فهــو عبد الرحمن بن معــاوية الــذي تخــلص بكيــده عن ســنن الأســنة وظبــاة السيــوف ، يعــبر القفــر ، يركب البحــر ، حتى دخــل بلدا أعجميا فمصــر الأمصــار ، وجنــد الأجنــاد ، وأقــام ملكا ، بعد انقطاعه بحسن تدبــيره ، وشدة عزمــه .

✸ كان عبد الرحمن الداخل جبار خائن للعهد وقاس محب للثأر ، فظ القلب ، ولم يكن زعيم عربي أو بربري جرؤ على تحديه جهرا ، فقد كان الجميع يلعنونه سرا ولم يكن ثم رجل شريف يرغب في خدمته ، كان يضيق ذراعا بأتفه معارضيه له ، كان يرى قوته فوق القوانين ، وكان نادرا عندما يستشير أحدا . ولم ينج من غضبه أحد ، حتى خادمه بدر - الذي أدى دورا مهما وخطيرا في حياته ومسيرته - فقد صادر عبد الرحمن أملاكه ، ومنعه من مغادرة سكنه ، ثم نفاه أخيرا إلى بلد على الحدود ، وفي آخر أيام عبد الرحمن الداخل الوشائج بينه وبين الرعية ، وحلت الريبة محل المودة ، فقد احتجب عنهم ، ولم يعد يبعد غالبا عن قصره ، فإذا خرج خرج في رهط كثيف من جنده ، وأكثر من شراء العبيد ، فأصبح تحت إمرته على الدوام جيش قوامه أبعون ألف رجل لا يرون طاعة أحد سواه ، وإن لم يكن تعينهم مصلحة البلد .

ومات في جمادي الأولى سنة ١٧٢ هـ الموافق أكتوبر سنة ٧٨٨ م ، ودفن بالروضة من قصر الإمارة الذي أصبح منذ ذلك الحين بمثابة سان دنيس وقصر اللوفر .

✸✸ وقد عاصر عبد الرحمن الداخل من الخلفاء العباسيين الآتي :-

1) أبو العباس السفاح (١٣٢ - ١٣٦ هـ / ٧٤٩ - ٧٥٤ م) .
2) أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م) .
3) المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م) .
4) الهادي (١٦٩ - ١٧٠ هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦ م) .
5) هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٤ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨ م) .

✸✸✸ عبد الرحمن الداخل " صقر قريش " .

- مولده في جمادي الأول سنة ١١٣ هـ / ٧٣١ م .
- ولايته للاندلس في شوال سنة ١٣٨ هـ / مارس ٧٥٦ م .
- وفاته جمادي الأول سنة سنة ١٧٢ هـ / أكتوبر ٧٨٨ م .

حضـــارة الأندلس في عهـــد عبد الرحمـــــن

يعتبر الأمير عبد الرحمن الداخل بحق أول من نثر بذور الحضارة الإسلامية في الأندلس ، فقد عمل منذ قيام دولته في هذه البـــلاد على تجديد ما زال من حضـــارة بني أمية في المشرق ، وما انقرض من آثارها ، وكان ولاة الأندلس السابقون عليه قد أدخلوا بعض النظم الأموية في الإدارة في أرض الأندلس ولكن بنسبة محدودة ، مثل تقسيم البلاد إلى كور ، ويتولى كل منها عامل يقيم في قاعدتها ، ومثل النظام الحربي للدولة ، فلما استقرت أركان دولة عبد الرحمن في الأندلس عمل على توثيق النظم الإدارية المعروفة في المشرق الإسلامي في عهد بني أمية ، وتطبيقها تطبيقا عمليا ، وقد تم ذلك على نحو يثير الإعجاب ، وسرعان ما ارتقت الأندلس من مجرد ولاية تابعة للخلافة إلى مصاف الدول الكبرى المستقلة [١٥٤] ونجح الأمير في إنقاذ الأندلس من الحرب الأهلية ومن المؤامرات والثورات ، حتى أرغم خصمه اللدود أبا جعفر المنصور على أن يعترف له بأمجاده وبطولاته ويسميه " صقر قريش " دون غيره من رجالات العرب .

ويرجـــع الفضـــل فـي نجـــاح سيـــاسة ابن معـــاوية وتوطـــيد ملـكه إلـى أعـــوان لـــه كـــان يخصــــهم بالمجـــالسة وينـــفرد بـــهم للإعـــانة والمشـــاورة هــــم : عبيد الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ، يوسف بن بخت ، وحسان بن مالك ، ومـــولاه بـــدر ومنـــصور فتـــاه ، وتمـــام بن عـــلقمة ، وعبد الكـــريم بن مهـــران ، وعبـــد الحمـــيد بن مغيث ، وكـــانوا بمثـــابة وزراء وحجـــاب له .

واتبـــع الأمـــير سيـــاسة واقعـــية في حكـــمه ، فلـــم يعـــمد إلى تلقيب نفســـه بألقـــاب الخـــلافة خـــوفا من تعـــددها واكتفى بالإمـــارة وسمى نفسه بابن الخلائف واستمر أعقابه يتلقبون من بعـــده بهذا اللـــقب " أبنـــاء الخـــلائف " حتى سنة ٣١٦ هـ عنـــدما تلقب الأمـــير عبد الرحمن بن محمد بلقب الخـــلافة ، وذلك بعد أن تضـــخم ملكه واتسع سلـــطانه ، في الـــوقت الذي ضعفت فيه الخـــلافة العـــباسية ، كـــذلك تلقب الأمـــير في عـــقد معـــاهدة الصـــلح بينه وبين القشتاليين بلقب " الأمـــير الأكـــرم الملك المعـــظم " [١٥٥] .

---

١٥٤ - عبر ابن سعيد المغربي عن ذلك بقوله **: "** كانت سلطنة الأندلس في صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها من سلاطين إفريقية واختلاف الولاة داع إلى الاضطراب وعدم تأثل الأحوال وتربية الضخامة في الدولة ، ولما صارت الأندلس لبني أمية وتوارثوا ممالكها وانقاد إليهم كل أبي وأطاعهم كل عصي عظمت الدولة بالأندلس وكبرت الهمم وترتيب الأحوال **"** المقري **:** نفح الطيب ج ١ ص ١٩٨ **.**

155 - Levi Provencal Histoire t.i.p 121

وعمل الامير عبد الرحمن الداخل على إحاطة نفسه بهالة من فخامة الملوك وأبهة الخلفاء ، فأمهر حاضرته قرطبة التي أخذت تظهر منذ ذلك الحين بمظهر العاصمة ، بروائع المنشآت والمباني ، وقامت في البلاد في عهده حركة معمارية وعمرانية [156] لم يسبق لها مثيل ، منذ وطئت أقدام المسلمين أرض الأندلس ، فأقام منية الرصافة في أول أيام إمارته إلى الشمال الغربي من قرطبة لنزهه ومقامه ، وسماها برصافة جدة هشام التي أقيمت إلى الشمال الشرقي من تدمر ، بين تدمر والفرات سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) ، والتي كان يحن إليها حنينا متواصلا ، إلى حد أنه كان يتردد على رصافة قرطبة كثير ويطيل في قصرها مقامه ، وكانت منية الرصافة جنانا واسعة نقل إليها الامير غرائب الغروس وأركام الشجر من كل ناحية ، وأودعها ما كان استجلبه رسوله إلى الشام من النوى المختارة والحبوب الغريبة ، حتى نمت سريعا بحسن التعهد والرعـاية وأصبحت أشجارا معتمة ، أثمرت بغرائب من الفـواكه ، التي انتشـرت في عهد قصـير إلى سـائر أنحـاء الأنـدلس ، وأقـام الأمـير في هـذه المنيـة قصـرا أبـدع في تشييده وتـأنق في زخرفته وسمـاه قصـر الدمشـق ، وكـان يعـرف أيضـا باسـم منية الرصـافة أي " قصر الرصافة " .

ومـن أشـهر فـواكه هـذه المدينة الرمـان المعرونف بالسـفري ، وينـسب إلى سفـر ابن عبيـد الكلاعي من جنـد الأردن الـذي زرعـه في كـورة ريـة ، " فأثمـر وأينع " فنزع إلى عرقه وأغـرب في حسـنه ، فجـاء بـه عمـا قليـل إلى عبد الرحـمـن ، فـإذا هـو أشـبه شـئ بذلك الرصـافي ، فسـأله الأمـير عـنه ، فعرفه وجـه حيلته [157] فأعجب به الأمير وأجزل صلته ، واشتهر هذا الرمان في الأندلس .

وذكـر الـرازي أن عبد الرحـمـن عندمـا نـزل الرصـافة لأول مـرة شـاهد نخلة أهـاجت شجنه ، فتذكـر وطنـه الشـامي فقـال بديـهة :

تبـدت لنـا بين الرصافـة نخلـة   تناءت بأرض الغـرب عن بلد النخـل

فقلت شبيهي في التغرب والنـوى   وطول ابتعادي عن بني وعن أهلـي

نشـأت بأرض أنت فيهـا غريبـة   فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثـلي

سقاك غوادي المزن من صوبها الذي   يسمح ويستمرى السمـاكين بالـوبـل

وفي قصـر الدمشـق يقـول الفتـح بن خـاقان : " وهو قصـر شيـده بنـوا أميـة بالصفـاح والعمـد ، وجـروا في إتقـانه إلى غـاية وأمـد ،

---

١٥٦ - ذكر المقري إنه : " لما تمهد ملكه شـرع في تعظيم قرطبـة ، فجند معاليها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وابتنى قصر الإمارة والمسجد الجامـع ، ووسـع فنـاءه ، وأصـلح مسـاجد الكـور ، ثم ابتنى مدينـة الرصـافة " المقري ج ٢ ص ٨٤

١٥٧ - المقري ، نفح الطيب ج ٢ ص ١٥ .

وأبــدع بنـــاؤه ، ونمقــت ساحتــه وفنــاؤه ، واتخـــذوه ميـــدان مراحهــم ، ومضمـــارا لانشـــراحهم ، وحكـــوا به قصــرهم بالمشــرق ، وأطلعـــوه كالكوكب الثــاقب المشـــرق [158] " ، ولقد كـان هـــذا القصــر مـــن القصـــور التـــي آثرهـــا أمـــراء بني أميـــة وخلفاؤهـــم ، فزادوا في عمـــارته وانـــبرى وصـــاف الشعـــراء لـــه ،

وفيه قال ابن عمار الشاعر:

كل قصـــر بعد الدمشق يـــذم فيه طاب الجنى ولــذ المشـــم

منظـــــر رائق ومـــاء نميــــر وثــــرى عاطـــر وقصـــر أشـــم

بت فيـــه والليــل والفجر عندي عنبـــر أشهب ومســك أحـــم

وما زال اسم الرصافة Arrizafa يطلق على قرية في سفح جبل قرطبة في الموضع نفسه الذي كانت تقوم فيه منية الرصافة في العصر الأموي ، وهناك نخلة هرمة ، قد قدم عليها العهد حتى تآكلت أجزاء منها ، وتداخلت فيها الحجارة وبقايا الأبنية القديمة ، ويطلق الناس عليها اليوم " نخلة عبد الرحمن " .

ولا شك أن عبد الرحمن كان يحن إلى وطنه ومسقط رأسه ، وقد ظهر هذا الحنين في أشعاره وفي أسماء قصوره وفي عناصرها المعمارية ، فمن شعره قوله :

أيهــا الراكب الميمم أرضــي أقر من بعضي السلام لبعضــي

إن جسمي كمـا تــراه بأرض وفــؤادي ومــالكيـــه بـأرض

قــــدر البين بيننا فافترقنـــا وطوى البين عن جفوني غمض

قد قضـى اللـه بالبعاد علينا فعسى بافتراقنا سوف يقضــى ١٥٩

وجـــامع قرطبـــة الـــذي أعـــاد عبـــد الرحمـــن بنـــاؤه سنـــة ١٦٩ هـ بعـــد أن ضـــم إليه كنيـــسة سنت بنجـــنت متبـــعا في ذلك ما فعـــله الـــوليد بـــن عبـــد الملك " الخليـــفة الأمـــوي الســـادس " (من منتصـــف شـــوال ســـنة ٨٦ هـ إلى منتـــصف جمادي الثاني سنة ٩٦ هـ) عند بنائه لجامع دمشق ، يجـــلو لنا تـــأثيرات فنية ســـورية لا سبيل إلى إنكازها سواء في زخارفه المعمارية أم في بعض عناصر بنائه ، وفي نظـــام عقـــوده ، ووضـــع مئذنته ، وكذلك تذكـرنا أغلب منشـــآت عبد الرحمن المعمارية بنظـــائر لهـــا في الشـــام مثل قصـــر الرصـــافة أو الدمشـــق الـــذي ذكرنـــاه آنـــفا ، ومثل قصر الحير الذي ذكره الوزير ابن القبطرنة بقوله :

---

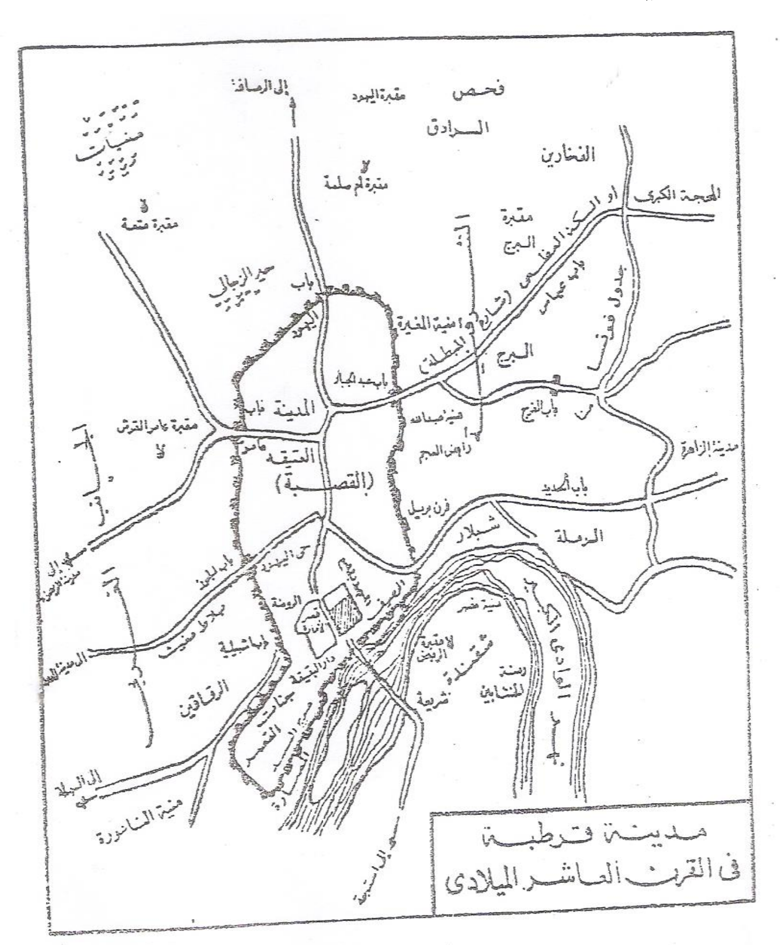
١٥٨ - المقري ، نفح الطيب ج ٢ ص ١٧ ، ١٩ .

١٥٩ - ابن عذارى ج ٢ ص ٨٩ .

بالحيـر ما عبست هناك غمامـة　　إلا تضـاحك إذ خـرا وجليـــلا

وهو حير الزجالي الواقع خارج باب اليهود بقرطبة ، وكـــان صحنه على حد قـــول الفتح بن خاقان " صافي البياض ، يخترقه جدول كالحية النضناض " ، وفي أســـقفه وجدرانه يقـــول : " قد قربصت بالذهب واللازورد سمـــاؤه ، وتـــآزرت بهـــما جوانبـــه وأرجـــاؤه "[١٦٠] كذلك يذكرنا قصـــر الحـــائر من قصـــور الإمـــارة بقرطبة بقصر الحائر الذي أسسه هشـــام بن عـــبد الملك (من ٢٥ شعبان سنة ١٠٥ هـ إلى ٦ ربيـــع الأول سنـــة ١٢٥ هـ) في بـــادية تدمر .

وهكـــذا طعـــم عبـــد الرحمـــن حضـــارة الأنـــدلس بالطـــابع الســـوري ، وإليه يرجـــع الفضـــل في غـــرس بـــذور نهضـــة علميـــة زاهـــرة بقرطبة ، وستنمـــو هذه النهـــضة على مـــر الأيام ، حتى تصبـــح قرطبـــة في عهد أحد أحفـــاده عاصـــمة الدنيا ومركز العـــلم والحضـــارة وهـــو لذلك يعتـــبر أعظم أمـــراء بني أمية في الأندلس ، ولـــولا أن الخليفة عبد الرحمـــن النـــاصر سيقوم بدور مشابه لـــدوره ، لقلنا إنـــه أعظـــم من تولى الأنـــدلس من بني أمية .



مدينة قرطبة
في القرن العاشر الميلادي

١٦٠　المقري ، نفح الطيب ج ٢ ص ١٦١ .

١ . الأمير هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل بعد وفاة أبيه بستة أيام

(١٧٢هـ/٧صفر ١٨٠هـ-

الموافق ٧٨٩م/٧٩٦م)

كان عبد الرحمن قد عقد العهد لابنيه هشام وسليمان ، وكان هشام عند وفاة أبيه بماردة ، بينما كان سليمان بطليطلة ، وذكروا أن عبد الرحمن لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عبد الله المعروف بالبلنسي - وكان موجودا بالقصر وقتئذ - بأن يسلم خاتم الإمارة لمن يسبق من ولديه هشام وسليمان في الوصول إلى قرطبة ، وكان عبد الرحمن الداخل يرى أن كلاهما جدير بالإمارة ، فهشام لأن له " فضل سنة ونجدته وحب الشاميين له " . فلما علم هشام بوفاة أبيه أسرع في العودة إلى قرطبة فوصلها بعد ستة أيام ، قبل وصول أخيه سليمان ، فنزل بالرصافة ، وخاف أن يكون أخوه عبد الله قد تمكن من الإمارة ، ولكن عبد الله نفذ وصية أبيه ، فخرج إلى هشام وسلم عليه بالخلافة ودفع إليه الخاتم وأدخله القصر .

ولا شك أن عبد الرحمن كان يفضل هشاما على سليمان مع أن هذا الأخير كان يكبر هشاما في السن بل كان أكبر أبناء عبد الرحمن ، وكان هشام رجلا فاضلا كريما كما كان عاقلا حسن التدبير ، بينما كان سليمان أهوجاً سيئ التصرف .

٢ . الأمير أبو العاصي الحكم بن هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل (٨ صفر / ١٨٠هـ-٢٠٦هـ

الموافق ٧٩٦م- آخر سنة ٨٢١م)

بويـــع أبـــو العـــاصي الحكـــم بن هشـــام بعد وفـــاة أبوه بليلة واحـــدة يـــوم ٨ من صفر سنة ١٨٠ هـ ، وهو ابن ٢٦ سنة ، وكان أبوه هشام قد عهد إليه بولاية العهد ، دون أكبر أبنائه عبد الملك ، وبدأ الحكم عهده بمحاربة بعض أقربائه الطامعين في الإمارة ، فقد كان عماه سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن الداخل قد نفيا في عهد أبيه بالمغرب ، فأقام سليمان بطنجة بينما كان عبد الله يمضي وقته متجولا في بلاد المغرب ، فزار إبراهيم بن الأغلب بالقيروان ، كما زار الإمام عبد الوهاب بن رستم الإباضي في تاهرت ، وهناك علم بموت أخيه هشام وتولية ابن أخيه الحكم ، فأسرع بالجواز إلى الأندلس ، عله يسبق أخاه سليمان ، فنزل بالثغر الأعلى ، إذ كان يعلم كراهية سكان هذا الثغر للأمير الجديد ، ونزل بسرقسطة عند بهلول بن مرزوق الثائر على الأمير الحكم في ناحية الثغر ، ولكنه لم يجد هناك من يؤيده لعزل الحكم وتولية مكانه ، وباءت جهوده بالفشل ، فرحل مع ولديه عبيد الله وعبد الملك لمقابلة شارلمان في إكس لاشابل ، وهناك قابله وحثه على مهاجمة الأندلس ، أما سليمان ، فقد دخل الأندلس من العدوة سنة ١٨٢ هـ (٧٩٨ م) ، أي في العام الثاني لولاية الحكم ، واستطاع أن يجمع جيشا ليهاجم به قرطبة ،

وفي شوال من السنة نفسها انهزم سليمان بعد معركة شديدة بينه وبين ابن أخيه . ومع ذلك فقد عاود سليمان القتال من جديد ، فاشتبك مع الأمير الحكم في بخبطة ، فانهزم سليمان للمرة الثانية ثم عاد للمرة الثالثة على رأس جيش من البربر لمقاتلة الحكم ، فخرج سنة ١٨٣ هـ إلى ناحية استجة ولكنه انهزم بمن كان معه ، ثم التقيا للمرة الرابعة ، وكان نصيبه هذه المـــرة أيضا مثل المرات السابقة . وفي ســنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) حشد سليمان جيشا من شــرق الأندلس ، فاستولى به على جيـــان ثم ألبيرة .

وانضـــم إليه جمع من أهـــل المدينتين ضد الأمـــير ، فلما التقى جيشه مع جيش الحـــكم ، انهـــزم سليمان هزيمة شنـــعاء وقتل في الموقعة عدد كبـير من أنصاره ، وتمكن سليمان من الفـــرار ، فأرســـل الحكـــم أصبـــغ بن عبد الله بن وانســـوس وراءه للقبض عليه ، فأسره أصبغ وأتى به إلى الحكم على راس رمح ، فأمر بقتله ، وبعث برأسه إلى قرطبة ، حيث طيف به على رأس رمح ، ثم أمـــر الحكم بدفنه في روضـــة القصـــر بالقـــرب من قـــبر عبد الرحمن بن معـــاوية .

أما عبـــد الله بن عبـــد الرحمـــن ، فقد استـــولى على حصـــن وشقـــه بعد عـــودته من إكـــس لا شـــابل ســـنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) ، ولكن بهـــلول بن مـــرزوق لـــم يلبث أن أخرجـــه من ســـرقسطة . فاتجـــه إلى بلنسية ، وهنـــاك وجـــد تأييدا له عنـــد أهـــالي بلنسية ، فأقـــام بهـــا شبـــه مستـقل عن قرطبـــة بعـــد أن عفـــا عنه الحكـــم ، وصـــالحه سنة ١٨٦ هـ مقـــابل بقـــائه طـــول حيـــاته ببلنسية ، حتى إنـــه عـــرف بعبد الله البلنسي ، وهـــو الذي أقـــام ربض الرصـــافة ببلنسية . وقد استقـــدم الحكـــم ولديه فولى أحدهما وهو عبيد الله قيادة جيوشه ، فعرف لعبيد الملك بصاحب الصوائف . ومن غـــزواته غـــزوته إلى قطـــلونية ومهاجته برشلونة التي كانت قد سقطت في أيدي القطلانيين سنة ١٨٥ هـ .

وكان الحكم اميرا شديد الحكم ، ماضي العزيمة ، عظيم الصولة ، حسن التدبير ، وكان أفحل أمراء بني أمية ، وأشدهم إقداما ونجدة وصرامة وأنفة وأبهة وعزة ، وهو أول من جند بالأندلس الأجناد والمرتزقة ، وجمع الأسلحة والعدد ، واستكثر من الحشم والحواشي ، وارتبط الخيول على بابه ، واتخذ المماليك وكان يسميهم الخرس لعجمتهم ، وبلغت عدتهم خمسة آلاف ، وكان يباشر الأمور بنفسه و وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس ، وكان يشبه بالخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور في شدة البأس وتوطيد الدولة وقمع الاعداء ، ومع ذلك كله فقد كان عادلا بين رعيته ، متخيرا لحكامه وعماله ، مثاغرا في سبيل الله ، واستطاع بفضل هذه الصفات جميعا أن يطفئ نيران الفتن بالادنلس ، ويقضي على ثورات المولدين فيها .

٣ . الأمير: عبد الرحمن الأوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل

(٢٦ذي الحجة/٢٠٦هـ-٢٣٨هـ

٢٣ مـــايو/٨٢٢م-٨٥٢م)

هو الأمير أبو المطرف عبد الرحمن ، الابن الأكبر للحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل " صقر قريش " ، ولد بطليطلة في شعبان سنة ١٧٦ هـ (٧٩٢ م) ، وعنى أبوه بتعليمه وتخريجه في العلوم الحديثة والقديمة . وعهد إليه بولاية العهد باعتباره أكبر أولاده ، ثم لأخيه المغيرة من بعده ، فلما توفى الحكم عام ٢٠٦ هـ (٨٢١ م) خلفه ابنه الأمير عبد الرحمن وهو في سن الثلاثين ، وعرف بعبد الرحمن الأوسط لأنه ثاني ثلاثة سموا بهذا الاسم ، وقاموا بأمر الأندلس . واكتسب عبد الرحمن كثيرا من صفات أبيه وجده ، ولكنه كان أكثر منهما لينا ورقة ، فكان وسطا بين العنف واللين ، وقد أثرت نشأته وتربيته الأولى في تكوين شخصيته ، فكان رجلا على مستوى عال من الثقافة والعلم ، وكان عالما متبحرا في علوم الشريعة والفلسفة ، كما كان شاعرا أديبا ذا همة عالية ، وفنانا يقدر الفن ويرفع منزلة أصحابه ، فاحتضن العلماء ورجال الفن والادباء ، ممن ضاق الشرق بمواهبهم فكان يرحب بهم في بلاطة ، ويحسن إليهم ويكرمهم ، ولذا كانت أيامه أيام هدوء وسكن ، وكان عهده عهد سلم ورخاء بعد عهد الفتن والثورات الذي اتسم به عصر عبد الرحمن الداخل " صقر قريش " والحكم الربضي ، وكثرت الأموال لديه فاتخذ القصور والمتنزهات ، وجلب إليها الماء ، وجعل له (أي لقصره) مصنعا اتخذه الناس شريعة ، وزاد في جامع قرطبة راوقيت ، ومات قبل أن يستتمه ، فأتمه ابنه محمد بعده ، وبنى بالأندلس جوامع كثيرة ، ورتب رسوم المملكة واحتجب عن العامة ، وهو الذي أسس مدينة مرسية (ولد بها القطب السكندري الشهير أبو العباس المرسي ، وهو أصله من قبيلة الأنصار الخزرج ، أجداد كاتب هذه السطور ، سليل قبائل عرب الأنصار الخزرج بالمدينة المنورة على سكانها سيدنا هو المفكر الإسلامي / أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى محمد الفرخ) وقد أسسها يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول سنة ٢١٦ هـ - ٨٣١ م - ورتب رسوم المملكة ، واتخذ للوزراء قصرا داخل قصره ، وكان يجتمع بهم متى أراد ذلك ، وعبد الرحمن الاوسط أول من فخم السلطنة بالأندلس ، وأول من جرى سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة ، وكسا الخلافة أبهة الجلالة ، وهو أول من أحدث بقرطبة دار السكة وضرب النقود باسمه ، ولم يكن فيها ذلك منذ افتتحها العرب ، ولذا عرفت أيامه بأيام العروس لكثرة الخيرات ، وهكذا سمت الحياة في الأندلس وتألقت الحضارة ، وأصبحت الأندلس في عداد الدول العظمى في العالم الإسلامي والمسيحي على السواء . وتحول المجتمع الأندلسي الذي كان يقوم على أخلاط بشرية غير منظمة إلى مجتمع منظم مظهره ، مصقولة صورته ، وتأثر هذا المجتمع في عصره بالتقاليد العراقية التي تغزو الأندلس وتمتزج بالتقاليد الشامية ، وتؤلف فيما بعد طابعا أندلسيا أصيلا تميزت به الأندلس منذ خلافة عبد الرحمن الناصر لدين الله حتى سقوط غرناطة .

واستجلب عبد الرحمن إلى الأندلس روائع التحف التي كانت في قصور بغداد عند قتل الخليفة العباسي السادس الأمـين بن هـارون الرشيـد مثـل عقد الشفـاء وأعلاق زبيدة بنت جعفر (أم الخليفة العباسي الامين) .

وقـد تمت بيـعة الأمـير عبد الرحـمن فـي ٢٦ ذي الحجـة سـنة ٢٠٦ هـ - ٢٢ مايو / سـنة ٨٢٢ م ، وخـرج عليـه في أول ولايتـه عـم أبيـه عبد الله البلنسي – وكـان لم ييأس بعد في الظفـر بالإمـارة – وسـار إلى تدمـير ، يريد قرطبة ، فتجهز عبد الرحمن للقائه ولكن عبد الله اضـطر إلى العـودة إلى بلنسية حيث مات سنة ٢٠٨ هـ (٨٢٣ / ٨٢٤ م) . وبمـوته عـادت بلنسية إلى حظـيرة الحكومة المركـزية ، وتولى أمرهـا ، عـامل من قبل الامـير عبد الرحمن .

ولقد تألقت في عصر عبد الرحمن الاوسط عدة شخصيات كان لها أثر كبير في التقدم الحضاري الذي اصابته الأندلس على يديه .

✸ وأولى هذه الشخصيات البارزة شخصية الفقيه المحدث يحيى بن يحيى الليثي ، وأصله من بربر مصمودة ، وكان يحيى يروي الموطأ بقرطبة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمـي المعـروف بشبطـون ، كما سمـع من يحيى بن مضـر القيسي الاندلسي ، ثم رحـل إلى المشـرق وهـو في الثـامنة والعشـرين من عمره ، وتوجـه إلى الحجـاز رأسـا ، فسـمع من مـالك بـن أنس ، وأعجـب بـه مـالك وسمـاه عـاقل الأنـدلس ولـذلك قيـل : " إن يحيى هـذا عـاقل الأنـدلس ، وعيسى بـن دينـار فقيـها ، وعبـد الملك بـن حبيب عـالمها " .

ولم يكتف يحيى بذلك ، بل سمع بمكة من سفيان بن عيينية ، وتفقه بالمدنيين ، كعبد الله بن وهب ، وعبد الله بن نافع ، ثم نزل بمصر عند عودته إلى الأندلس ، فسمع من الليث بن سعد . وتفقه بفقهه ، ولما عاد إلى قرطبة ، انتهت إليه الرئاسة في الفقه والقضاء ، وروى عنه عدد كبير من الفقهاء والمحدثين ، ونال يحيى مكانة سامية عند الأمير عبد الرحمن ، وأصبح بيده تعيين القضاة في مدن الأندلس .

وكان الأمير عبد الرحمن الأوسط يجله ويأخذه بفتواه . ومن الأمثلة التي تدل على ذلك أن الأمير عبد الرحمن وقـع على جـارية يحبها في شهـر رمضـان المبارك ، ثم ندم على ذلك أشد الندم فاستدعى الفقهاء في قصره وسألهم عن التوبة و الكفارة ، فقال يحيى : " تكفر بصوم شهرين متتابعين " فلما بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتى خرجوا ، فقال بعضهم له : " لم تفت بمذهب مالك بالتخيير ؟ فقال : لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يـوم ويعتق رقبة ، ولـكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود " . وتوفى يحيى في رجب سنة ٢٣٤ هـ - ٨٤٨ م .

✸ وتلى شخصية يحيى بن يحيى من حيث المكانة شخصية أخرى معروفة ، هي شخصية المغني الشهير الحسن بن علي بن نافع المعروف بزرياب ، وكان من أعظم شخصيات هذا العصـر وأجلها قدرا . قـدم إلى الأندلس سـنة ٢٠٦ هـ - المـوافق ٨٢١ م من العراق ، وركب الأمير عبد الرحمن بنفسه لاستقباله وتلقيه . وبالغ في إكرامه وكان زرياب مولى للمهدي الخليفة العباسي الثالث (١٥٨ – ١٦٩ هـ / ٧٧٥ – ٧٨٥ م) ،

كما كان تلميذا للمغني والموسيقي العظيم إسحق الموصلي ، رئيس الموسيقيين في بلاط هارون الرشيد الخليفة العباسي الخامس (١٧٠ - ١٩٤ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨ م). وقد نبغ زرياب في فن الألحان على يد أستاذه إسحق الموصلي ، وتميز بفهم هذا الفن وصدق العقل مع طيب الصوت ، فتفــوق على استــاذه إسحــق دون أن يدري هذا إلى أي درجــة من الإجــادة وصــل تلميذه . وأثبتت الظــروف لإسحــق تبرز تلميــذه ، فثارت به الغيرة والحسد ، فخلا بزرياب ، وهدده بالموت أو مغادرة البلاد على الفور ، فآثر زرياب أن يفر بنفسه وأولاده ، ورحل إلى المغرب . ثم كتب إلى الأمير فرحب بمقدمه وخرج بنفسه لاستقباله ، وأكرم وفادته وأنزله في دار من أعظم الدور بقرطبة ، وحمل إليها جميع ما يحتاج إليه ، وأجزل له العطاء ، ورتب له ولأفراد أسرته الرواتب والإقطاعات . وبدأ بمجالسته على النبيذ وسماع غنائه ، فما إن سمعه حتى كره كل غناء سواه ، وقدمه على جميــع المغنيــين في بلاطــة ، وأدنى منزلتــه ، وفتــح له باباً خاصــا في قصــره يستدعيه منه متى شــاء . وأسس زريــاب مدرســة في الغنــاء والموسيــقى ، ووضــع الأســس الراسخــة التي قــام عليها هذا الفــن في الأندلس . ولم يكن زريــاب صاحب ثورة في تاريخ الموسيقى الأندلسية فحسب بل كان مجددا اجتماعيا ، كما كان شاعراً أدبيا ، فأجاد فنون الآداب كما أجاد آداب المجالسة والمحــادثة ، وأقــام زرياب معهده العالمي في قرطبــة بالأندلس في القــرن العاشــر.

✸ والشخصية الثالثة التي كان لها أثر كبير في عصر عبد الرحمن الاوسط هي شخصية طروب جارية الأمير ، وأم ولده عبد الله " السابع من خلفاء بني امية في دولة الأندلس " ، الذي ولى الإمارة بعد المنذر " السادس من خلفاء بني أمية في دولة الأندلس . وكلف بها عبد الرحمن وأحبها حبا ملك عليه نفسه . وطروب هذه واحدة من جاريات شماليات كثيرات أحبهن عبد الرحمن إذ كثير الميل للنساء مثل مدثر والشفاء وفلة . وكانت طروب تطمع في ولاية ابنها عبد الله الإمارة بعد أبيه بدلا من ولي عهده محمد ، وكانت من اجل ذلك تسعى إلى المال حتى تستميل الناس إليها . أما الأمير عبد الرحمن فكــان يعمل على إرضــائها وإكــرامها ، ولكنها كــانت تهجــره وتصده عنها ، بل لم تــتردد في تدبير مؤامرة لقتله ، مستعينة في ذلك بفتاه نصــر الصقلبي ، وانكشفت المؤامرة سنة ٢٣٦ هـ وقتل فيها نصر . . . ومع معرفة الامير بما كانت تضمره له طروب من غدر ، فقد ظل يهيم بها وجدا ولا يتحمل أن تغيب عنه .

✸ " وردت تفاصيــل هــذه المؤامرة في كتاب تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية (انظر ابن القوطية ص ٧٦ - ٧٧) ابن خلدون ج ٤ ص ١٣٠ " .

٤ . الأمير : محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل

(٤/ ربيع الآخر /٢٣٨هـ-٢٨/صفر /٢٧٣هـ

الموافق ٨٥٢م- ٤/ أغسطس/٨٨٦م)

تولى الحكم ما يقرب من خمس وثلاثين سنة . وكان محبا للعلم ، مؤثرا لأهل الحديث ، عارفا حسن السيرة ، وكان قد فوض أمور دولته لهاشم بن عبد العزيز أعظم وزرائه ، وكان هاشم هذا مغرورا بنفسه ، حقودا لجوجا ، أفسد الدولة ، وكان الأمير محمد يقدمه على جيوشه .

وعلى الرغم من التمزق السياسي الذي أصاب الأندلس على عهده ، فقد كان الأمير أحسن الناس تمييزا ، وأبصرهم بوجه الرأي ، وكان محبوبا في جميع البلدان .

٥ . الأمير: المنذر بن محمد بن عبد الرحمن" الأوسط" بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل

(صفر /٢٧٣هـ- ١٥/ صفر /٢٧٥هـ

الموافق ٨٨٦م-٨٨٨م)

وبموت الأمير محمد زال ستر الحرمة ، وخرقت هيبة الإمارة ، واستقبل ابنه الأمير المنذر نيران الفتنة ، فأصلته مدى حياته ، ودامت في عهد عبد الله " أخيه الأمير اللاحق " حتى خمدت على يدي الأمير عبد الرحمن بن محمد " عبد الرحمن الناصر (الثالث) " ، وما كاد الأمير المنذر يتولى زمام السلطة حتى قبض على وزير أبيه هاشم بن عبد العزيز ، وزج به في السجن ، وأثقله بالحديد ، وذكره بذنوبه وآثامه ، ثم ضرب عنقه ، وقيل انه حمل عليه لأنه قال عند مواراة الأمير محمد في قبره البيتين الآتيين :

أعزي يا محمـد عنك نفسي   أميـن اللـه ذا المنن الجسام

فهلا مـات قـدم لم يموتوا   ودوفع عنك لي كـأس الحمام

فظن المنذر أنه يقصده عند قوله (فـهلا مات قـوم لم يموتوا) ، ثم قبض عليه وسجنه هو وخاصته ، ثم أمر بقتله في جمادي الأولى سنة ٢٧٣ هـ ، وأشفى نفسه بالانتقام منه . وذكروا في اسباب تحامل المنذر على هاشم ، أن هاشم كان يحسده الناس لمكانته عند الامير ، فسعوا به عند المنذر .

٦ . الأمير : عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن " الأوسط " بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل " صقر قريش "

(١٥/ صفر /٢٧٥هـ-٣٠٠هـ-
الموافق أغسطس٨٨٦م-٩١٢م)

تولى الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط بعد وفاة أخيه في اليوم الذي مات فيه أخوه المنذر في المعسكر الإسلامي الضارب على ببشتر ، وكانت الأندلس عندما ولى الإمارة قد مزقها الشقاق ، وتحفيها النكث ، واستولت عليها الفتنة . ولم يدر عبد الله إلى أين يصرف وجهه ؟

ولقد أجمع مؤرخو العرب باستثناء ابن حزم على أن الأمير عبد الله كان تقيا ورعا ، كثير الصلاة ، كثير الصدقات ، محبا للخير ، شديد التواضع .

✸ ذكر ابن حزم أنه كان قاتلا تهون عليه الدماء مع ما كان يظهره من عفة ومع كثرة إقباله على الخيرات وترك المنكرات ، فإنه احتال على أخيه المنذر على إيثاره له ، وواطأ عليه حجامه بأن سم له المبضع الذي قصده به ، وهو نازل بمعسكره ، ثم قتل ولديه معاً بالسيف واحدا بعد واحد ، قتل محمد والد الناصر لدين الله ، وقتل أخاه المطرف ، ثم قتل أخوين له معا أيضا . قتل هشاماً سماً بالسيف والقاسم بالسم (انظر ابن القوطية ص ١٠٢) . أما صاحب أخبار مجموعة فيذكر أنه لما توفى أخوه وكان الجند قد سئموا من طول المقام ، تفرقوا عن الأمير فانتقل خائفا على نفسه من عدوه ، وقدم أخاه بين يديه وأبى أن يدفنه إلا مع آبائه في قصر قرطبة . (انظر الرسم)

كان الأمير عبد الله من أصلح خلفاء بني أمية في الأندلس ، وأمثلهم طريقة ، وأتمهم معرفة ، وأمتنهم ديانة ، كان يتهجد بالليل ويقوم ليالي شهر رمضان بالإشفاع مع الأئمة المرتبين لها بالمسجد الجامع بقرطبة . . . وكان قد خص قعوده للعامة بيوم الجمعة ، لايخل به ، رتب قعوده فيه لهم بمجلس له عند الباب الذي فتحه عند ركن القصر وسماه باب العدل ، وهو باب قبلي رسمه بأن لا يأتيه منه إلا متظلم أو رافع كتاب بظلامه ، لا يصل حاجبه أحدا عنه ، نظرا للناس ، وتسهيلا لسبيل إنصافهم – ابن حيان : المقتبس في تاريخ رجال الأندلس .

٧ . أمير المؤمنين: عبد الرحمن الناصر "الثالث" بن محمد "حفيد عبد الله" الأمير السابع من ابنه محمد دون أعمامه وأعمام أبيه

فهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن "الأوسط" بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل "صقر قريش"

(٣٠٠هـ/٣٥٠هـ)

الموافق ٩١٢م/٩٦٢م)

لما مات الأمير عبد الله سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ظفر حفيده عبد الرحمن بن محمد بالإمارة دون أعمامه وأعمام أبيه ، وكانوا أحق منه بالإمارة شرعا ، ولكنهم تخلوا عنها زاهدين فيها لما يحيط بها من أخطار ، وكان اعتلاء الإمارة بقرطبة يعني التعرض لهذه المكاره والأخطار ، وكان الظن أن مصيرها يؤول حتما إلى الزوال ، فزهد فيها من هم أحق بها من البيت الأموي ، وتعلقت آمال الناس بهذا الشاب اليتيم - عبد الرحمن بن محمد - (كان أبوه محمد ابن الأمير عبد الله محبوبا لدى أبيه ، فرشحه لولاية عهده باعتباره أكبر بنيه سنا ، وآثره على أخيه المطرف ، فعظم الأمر على المطرف ، وبدأ الخلاف يدب بين الأخوين لهذا السبب ، وأخذ الواحد منها يقابل الآخر بالصد والإعراض ، وحدث أن اعتدى محمد على أحد فرسان المطرف ، فأغرى المطرف أباه به فزج بمحمد في السجن وأوثقه ، واتصل أثناء وجوده بالسجن ببعض الأشرار والمفسدين ، فأغروه بالذهاب إلى عمر بن حفصون - مات عمر بن حفصون في عام ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م ، وكان من الثوار المتمردين على بني أمية وقد استفحل آمره في عهد الأمير عبد الله ، وزعموا أنه مات على الدين المسيحي ، إذ أن قبره نبش عند ببشتر سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م فوجد أنه كان يتجه بوجهه - نحو الشرق وذراعه موضوعة على صدره على الطريقة المسيحية ، وفيما قضى الأمير عبد الرحمن على أبناء عمر بن حفصون المتمردون مثل أبيهم وهم جعفر ، سليمان ، حفص - فأقام لديه . ثم خاطبه الأمير محمد بالأمان ، فاستجاب إليه ، وعاد إلى قرطبة ، ولم يزل المطرف يغري أباه عبد الله ويضمر السوء والحقد إلى أخيه محمد ويزعم أنه على اتصال بابن حفصون وأنه يعمل على الثورة على أبيه ، حتى اقتنع عبد الله بهذه الوشايات وأمـــر بمحمد فسـجن في دار البقيقة ، ريثما يتحقق من الأمـر . فلما اتضحت له براءته ، عزم على إطـلاق ســراحه ، فدخل عليه أخـــوه المطرف وأجهز عليه ، وتركه متخبطا في دمه ، ملقى على يده وفمه ، وكان ذلك سنة ٢٧٧ هـ ، وهو نفس العام الذي ولد فيه عبد الرحمن بن محمد ، إذ ولد قبل قتل أبيه بواحد وعشرين يوما وقد نال المطرف جزاء جريمته إذ قتله أبوه عبد الله ، واحتضن عبد الرحمن بن محمد ، وخصه بمحبته ورعايته ، ويبدو أن الأمـــير عبد الله كـــان يستشعر النـــدم لتسببه في قتل ابنه محمد ، فأراد أن يكفر عن إثمه ، فكرس حياته لتنشئة حفيده اليتيم ، فكان يحظيه دون بنيه ، ويومئ إليه ويرشحه لأمره ، الذي يتوقد شبابا وعزما ، ويتحرق شـــوقا لتوطيد دولـــة الإســـلام في الأندلس . وهكذا تهيأت لهذا الفتى الإمـــارة من حيث لا يدري ، وأصبـــح أمير قرطبة بلا منازع ، في الوقت الذي كانت الأندلس فيه جمـــرة تحتدم ونـــارا تضطـــرم .

وقد استطاع عبد الرحمن الناصر أن يقضي على أعداء الوحدة في داخل إسبانيا ، فاجتمع المسلمين تحت لوائه ، وأصبحوا يؤلفون قوة كبرى كان لها أكبر الأثر في بث الرعب والهلع في نفوس نصارى إسبانيا المسيحية .

✸ أمـــا الخطر الثاني الذي كـــان يهدد دولة بني أمية بالأندلس فهو خطر الفاطميين المقيمين ببلاد المغرب . والواقع أن الفـاطميين مـنذ تأسيسهم للدولة الفاطمية (على يد عبيد الله المهدي ٢٩٧ / ٣٢٢ هـ) ، كانوا يهدفون إلى غزو الأندلس لجعل المغرب الإسلامي كله خاضعا للتشييع الفاطمي ، وبهذا ينقسم العالم الإسلامي إلى قسمين : قسم شرقي تابع للخلافة العباسية السنية ، وقسم غربي تابع للخلافة الفاطمية الشيعية . فأرسل خلفاؤهم العيون إلى الأندلس لكشف عوراتها والتجسس على أحوالها أمثال أبو اليسر الرياضي ، وابن هارون البغدادي ، وابن حوقل النصيبي . وقد لعب هؤلاء الجواسيس المشارقة في الأندلس دورا هاما في الدعاية للفاطميين في الأندلس ، في نفس الوقت الذي أفادوا فيه خلفاء الفاطميين بمعلوماتهم عن أوضاع الأندلس الاجتماعية والسيـاسية والاقتصـادية ، ولقد دخل هؤلاء الجواسيس الأندلس متسـترين ، إما بغرض العـلم كابن هـارون أو بالتجـارة كـابن حوقـل . . . ونجـح الفاطميون في اجتذاب أنصـار لهم مـن الأندلس أمثـال ابن أبي المنصـور قاضي المنصـور إسمـاعيل أبو طاهـر (٣٣٤ / ٣٤١ هـ) ، ثالـث أئمـة الفاطميـين ، وابن هانئ [١٦١] الشاعر الذي التحق بخدمة المعـز لدين الله معد بن تميم (٣٤١ / ٣٦٥ هـ) ، والـذي كـان فيمـا بعـد أول خلفـاء الدولـة الفاطميـة بمصر . لذلك عمـد عبد الرحمن بن محمد إلى محـاربة الفاطميين بالطـرق الآتيـة :

١ . تلقب بألقاب الخلافة في ٢٨ ذي القعدة سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م .

٢ . بث بذور الفتنة بين قبائل البربر في بلاد المغرب .

واستـولى عبد الرحمـن الناصـر على معبري الأندلس سبتة ٩٣١ م ، وطنجة سنة ٩٢٧ م ، ومليلة في هذه السنة نفسها ، واستطاع بذلك السيطرة على الملاحة في مضيق جبل طارق ، وعمل الناصر على توطيد علاقته ببعض الدويـلات المغـربية حتى ما كان يخالفها في الناحيـة المذهبية .

٣ . أنشـأ عبد الرحمن الناصـر "الثالث" أسطـولا قويـا نازع به سلطان الفاطميين في البحر المتـوسط ، كما قصد به الدفـاع عن سـواحل الأنـدلس ضـد أي هجـوم يقـوم به أعـداؤه الفاطميـون .

٤ . وطـد الناصر علاقته بأعـداء الفـاطميين ، فتحـالف مـع مـلك إيطـاليا Hugues de provencc الذي كان يحنق على الفاطميين لتدميرهم ميناء جنوة ، كما تحالف مع إمبراطور بيزنطة الذي كان يهدف إلى استرجاع صقلية من أيدي الفاطميين ، ثم وطد علاقته بالأخشيديين في مصـر ، وعـمل على إرسال الفقهاء المالكية من الأندلس إلى مصـر لمحاربة المـذهب الشيعي ، مـن أمثـال هؤلاء أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن القرطبي .

---

١٦١ ـ وقد مدح ابن هانئ الأندلسي المعز لدين الله الفاطمي في قصائد رنانة ، غالى فيها في مدح المعز حتى انحدر إلى درجة الكفر ، وكان يزمع الرحيل إلى مصر ، في أثر المعز ، بعد رحيله من بلاد المغرب ، ولكنه توفى في الطريق ، فحزن عليه المعز كثيراً .

وهكـــذا أدت سيـــاسة الخـــليفة عبد الرحمن الناصـــر "الثالــث" إلى انصـــراف الفاطميين عن فتـــح الأندلس إلى فتــح مصـــر .

ولم تكن الجزيرة الأندلسية هي المجاز الوحيد بين القارة الأوربية والحضارة العربية ، لأن القوافل التي تنقل البضائع من آسيا الغربية إلى أوربا الشرقية لم تنقطع كل الانقطاع في عصر من العصور ، ولأن الأوربيـــين قد عرفـــوا الشئ الكثير عن الشرق في إبان الحروب الصليبية ، ولكن الجزيرة الأندلسية هي القطر الوحيد الذي يقـــال فيه على التحقيق إنه لم يعرف له عصـــراً ذهبياً في تاريخـــه كله غير العصـــر الذهبي الذي رآه في أيام الدولة العربية الزاهرة ، ولا استثناء في ذلك لعهد فيليب الثاني وما كان فيه من مظاهر الأبهة والرخاء ، لأنه كان رخاء مستعاراً من الخيرات التي تدفقت على إسبانيا من مستعمراتها الأمريكية بعد كشف العـــالم الجديد ، ولم يكن رخـــاء محمـــولا على حضـــارة تزدهر فيها المعـــارف الإنسانية وتتفتق فيـــها عقـــول الأمـــة عن فتح مبتكر ينسب إلى أهـــل البـــلاد .

ففي عصر الأندلس الذهبي كانت المدن الأندلسية أعمر المدن في القارة الأوربية من أقصاها إلى أقصاها ، وكان في قرطبة وحدها دكان نسخ واحد يستخدم مائة وسبعين جارية في نقل المؤلفات لطلاب الكتب النادرة ، وكان في قصر الخليفة أربعمائة ألف كتاب ، وكان سادات أوربا يفاخرون بما يقتنونه من منسوجاتها أو مصوغاتها المعدنية أو آنية الفخار التي لا يعرف لها نظير في بلد آخر ، وكان عدد سكانها نحو ألف ألف يسكنون نحو مائتين وخمسين ألف بيت ، ولم تكن مدينة في أوربا تأوي إليها أكثر من ثلاثين ألفا أو خمسين ألفا على أكبر تقدير .

وإلى قرطبة وزميلاتها غرناطة وإشبيلية وطليطلة ومرسية ومالقة كانت تتجه وفود العواهل الأوربيين في طلب الأدوية أو التحف أو أدوات الترف والزينة وفرق الموسيقى والغناء ، وأجمل بعض هذا المؤرخ الإنجليزي استانلي لاين بول Estanly line pool فقال : " إن حكم عبد الرحمن الثالث الذي قارب خمسين سنة دخل على أحوال إسبانيا تجديدا لا يلم الخيال – على أجمح ما يكون – بحقيقة فحواه " . . .

ولا نعرف شهادة لهذا العصر الذهبي أعظم ولا أصدق من ذلك الحنين الذي يذكره به غلاة الوطنين الإسبان وكبار كتابهم حين يلتفتون إلى ماضي بلادهم ويتمنون لها حاضرا كماضيها في أيام الدولة العربية ، فلم تنجب إسبانيا في عصرها الحديث وطنيا غيوراً ولا كاتبا مبرزا أشهر من بلاسكوا أبانيز Blascko abanise الذي توفى في منتصف القرن التاســع عشـــر الميلادي ، ولكنك لا تقرأ لعربي ولا شـــرقي كـــلاما في الإشـــادة الحماسية بمجد العـــرب الأندلسيين كـــالذي تقـــرأه لهذا الكـــاتب النـــابه في أهم مصنفـــاته وهي " ظـــلال الكنيسة " .



نص الكتاب الذي تلقب فيه عبد الرحمن بن محمد بألقاب الخلافة

من كتاب : Unacronica Anonima de Abd Al-Rahman lll al Nasir

Ed . Par Levi – Provencaly Emilio Garcia Gomez , Madrid – Granada 1950 , P. 79 .

" بسم الله الرحمن الرحيم – صلى الله على نبيــه محمد الكريم . أمـــا بعــد: فإن أحـــق من استـــوفى حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله تعـــالى ما ألبسه ، فنحن ، للذي فضلنا الله به ، وأظهر أثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا إليه ، ويسر على أيدينا دركه ، وسهل بدولتنا مرامه ، وللذي أساد في الآفاق من ذكرنا ، وأعلى في البـــلاد من أمرنا ، وأعلـــق من رجـــاء العــــالمين بنا ، وأعـــاد من انحرافهم إلينـــا ، واستبشارهم بما أظلهم من دولتنا – إن شاء الله ، فالحمد لله ، وليّ الإنعام بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه – وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأميـــر المؤمنين ، وخـروج الكتب عنا وورودها علينا كذلك ، إذ كل مدعو بهذا الاســـم غيـــرنا منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتســـم بما لا يستحقه منه ، وعلمنـا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق لنا أضعناه ، واسم ثابت أسقطناه ، فمر الخطيب بموضعك أن يقول به ، واجـــر مخـــاطبتك لنا عليـــه ، إن شـــاء الله " .

٨ . الحكـم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر " الثالث" ابن محمـد بن عبـد الله بن محمد بن عبد الرحمن " الأوسط" بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل " الأول" "صقر قريش"

(٣٥٠هـ/٣٦٦هـ

الموافق٩٦٢م/٩٧٧م)

كان الناصر قد توفى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦٢ م وخلفه ابنه الحكم المستنصر بالله الذي تابع سياسة أبيه إزاء نصارى الشمال فعمل على الوقوف أمام سياستهم التوسعية .

وارسل الحكم قواده لمحاربة نصارى الشمال وانتصر عليهم . وهكذا كان للتفوق الحربي لجيش الحكم المستنصر بالله أثره الكبير في إعادة الأمن إلى ثغور الأندلس ، وحالفه الحظ بوفاة شابخه سنة ٩٦٦ م المعروف بسانشو السمين " كان ملكا غادرا لا يحسن الجميل والمعروف الذي فعله معه وأكرمه وأعاده إلى عرشه بعد أن عزله نبلاء ليون وقشتالة ، عن عرش نبره وليون ولوا مكانه " أردون الرابع " ، إذ سمه أحد نبلاء جليقية واسمه القومس جنثالو ، فخلفه ابنه ردميره الثالث (٩٦٦ – ٩٨٢ م) ، وكان لا يتجاوز من العمر خمس سنوات ، فتولت عمته ألبيرة الوصاية عليه ، وكان لتولية هذا الملك الصغير العرش سببا في انتشار الفوضى ، وخروج كثير من الأمراء عليه . وانقسمت مملكة ليون إلى إمارات صغيرة ، وأخذ كل أمير من أمرائها يتوجه إلى قرطبة للاستعانة بخليفتها ضد خصومه ، وتوالت السفـــارات المسيحية على بلاط الأمير الحكم بن عبد الرحمن الناصر منذ عام ٩٦٦ م .

وكان عصر عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم عصر ازدهار في جميع نواحي الحضارة الإسلامية في الأندلس ، وكانت مدينة قرطبة – كما أسلفا – هي المركز الذي تتركز فيه حضارة الأندلس باعتبارها أم المدن ومقر الفنون والآداب .

٩ .هشام "المؤيد بالله" ابن الحكم بن عبد الرحمن الناصر " الثالث" ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن " الأوسط" بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل " الأول" "صقر قريش"

(٣٦٦هـ/٤٠٣هـ

الموافق٩٧٧م/١٠١٣م)

لما توفى الحكم المستنصر بالله في ٤ / صفر / ٣٦٦ هـ ، بويع ابنه وولي عهده هشام بالخلافة ، وتلقب بالمؤيد بالله ، وكان هشام صبيا لا يتجاوز عمره عشر سنوات فتمت مبايعته بقرطبة بفضل تدبير وزير أبيه محمد بن أبي عامر " سيكون له وأولاده دورا في مقاليد الدولة بعد ذلك " والحاجب جعفر بن عثمان المصحفى ، وغالب مولى الحكم وصاحب مدينة سالم ، فقد قام هؤلاء بقتل المغيرة أخى الحكم المستنصر والمرشح للخلافة من بعده وتفضيل ذلك أنه لما مات الحكم بعد طول مرضه بالفالج ، أخفى خادماه وفتياه فائق المعروف بالنظامي صاحب البرد والطراز ، وجؤذر صاحب الصاغة والبيازرة ،

خبر وفاته على وزيره جعفر وسائر أهل الدولة ، واستظهرا بكتمان ذلك ، وعزما على رد الأمر للمغيرة بن عبد الرحمن " الثالث " أخى الحكم ومبايعته خشية أن تؤول الخلافة لهشام بن الحكم لصغر سنه وإنكار الناس لتقديمه على أن يقر المغيرة ابن أخيه هشاما على العهد من بعده ، وبذلك يضمن هذان الفتيان بقاء السلطة في أيديهما باعتبارهما أكبر فتيان القصر ومدبري هذه الخطة ، وكان جؤذر يرى ضرورة قتل الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى حتى يتم تنصيب المغيرة ، بينما كان فائق لا يرى هذا الرأي ، لأنه لم يرض أن يفتتح عهد المغيرة بسفك الدماء . فأرسلا يستقدمان جعفر بن عثمان ، فقدم ، ونعيا إليه الحكم ، وعرضا عليه ما أجمعا عليه من الرأي ، فوافقهما عليه ، وخرج عنهما ، واجتمع بأصحابه من أنصار هشام ، مثل زياد بن أفلح مولى الحكم ، وقاسم بن محمد ، ومحمد بن أبي عامر ، واستدعى بني برزال إذ كانوا بطانته من سائر الجند ، واستحضر سائر قواد الأجناد الأحرار ، فاجتمع له من هذه الطوائف ما شد أزره وقوي أمره ، فنعى لهم الخليفة وأبلغهم ما دبره الصقالبة من نكث بيعة هشام وتنصيب المغيرة ، ثم اتفق معهم على قتل المغيرة ، ولكنهم جبنوا على ذلك ، فتطوع ابن أبي عامر بقتل المغيرة ، فركب محمد بن أبي عامر إلى المغيرة من ساعته . وركب معه بدر القائد مولى الناصر ، في مائة غلام من غلمان السلطان . ووقف بهم خارج باب دار المغيرة ، وأحاط سواه من أصحاب محمد بجهاتها ، واقتحم محمد بن أبي عامر عليه ، وقتله خنقا في مجلسه ، وعلق أصحابه جسد المغيرة في مخدع يتصل بمجلسه ، كهيئة المنتحر وأشاعوا أنه خنق نفسه لما أكرهوه على الركوب لابن أخيه .

وهكذا استقر الأمر لهشام وتولى الحاجب محمد بن أبي عامر الوصاية عليه بعد أن تألق نجمه وتفوق على زميله جعفر .

◎ يذكر ابن الخطيب ، كتاب أعمال الأعلام ص ٥٨ ، وذكر ابن بسام أن الحكم تخطى ثلاثة رجال هم إخوته عبد العزيز والأصبغ والمغيرة ، وكلهم أقوياء ، وآثرت أن يولى عهده إلى ابنه هشام وكان طفلا لم يبلغ الحلم بعد ، وذكروا أن السبب في ذلك أن رجلا يتكلم في الحدثان قال : " لا يزال ملك بني أمية بالأندلس في إقبال ودوام ما توارثه الأبناء عن الآباء فإذا انتقل إلى الأخوة وتوارثوه بينهم فقد أدبر وانصرف " ابن بسام مجلد ١ ص ٤٠ ◎ .

وبعد أن تخلص المنصور ابن أبي عامر من منافسيه ، أصبح سيد البلاد ، وأمر بالدعاء له (عقب الدعاء للخليفة) على المنابر ، وجلس على سرير الملك ، ومحا رسوم الخلافة ، ولم يبق للخليفة هشام المؤيد من هذه الرسوم الخلافية سوى الدعاء على المنابر ، وكتب اسمه في السكة والطرز . وأراد ابن أبي عامر في الوقت نفسه أن يقضى على الشائعات التي روجها أعداؤه ، وأن يسترد محبة الشعب له ، فقام بالزيادة في جامع قرطبة سنة ٣٧٧ هـ - ٩٨٧ م .

ورغم انتصاراته على ملوك المسيحية ، وعلو شأنه ومكانته ، فإنه لم يطمع في الخلافة رغم ما بلغه من سلطان ، وقد خالفه في ذلك ابنه عبد الرحمن الملقب بشنجول ، وادعى ما ليس له فتلقب بالخلافة وكانت النتيجة قيام الفتنة واشتعال الثورة .

ومـات المنصــور فــي ٢٧ / رمضــان / ســنة ٣٩٢ هـ المــوافق ســنة ١٠٠٢ م ودفــن في صحن قصــره بمدينة ســالم .

وبموت المنصور تنفس ملوك إسبانيا المسيحية الصعداء ، وغمرتهم موجة من الفرح والاغتباط فلقد دمر المنصور بلادهم ، واكتسح سهــولهم ، وهــدم حصونهم ومعاقلهم ، ونثــر الذعــر والهــلع في قــلوبهم ، وشــرد جيــوشهم ، وأنــال سيــادتهم ، وأذلهم بانتصــاراته العديدة ، وغــزواته المتــكررة ، فلمـا مــات كتب مــؤرخ لاتيني في حوليــاته : " مات المنصور سنة ١٠٠٢ ، ودفن في النار " .

ولما علم الخليفة هشام المؤيد بموت المنصور ابن أبي عامر استقدم أبا مروان عبد الملك بن المنصور ، وأمره بقمع حركة الفتيان الصقالبة الذين استغلوا هذه الفرصة لاسترجاع نفوذهم القديم ، وحذره الخليفة مواقعة الدماء ، وخلع عليه ، وأخرج معه كتابه بولاية الحجابة مكان أبيه ، وهكذا قام عبد الملك بالحجابة ، وتلقب بالمظفر سيف الدولة في ٣ / رمضان / ٣٩٢ هـ . وكان عبد الملك قد ورث كثيرا من صفات أبيه ، فاستوسق له الأمر واجتمع الناس على حبه لعدله وإنسانيته وحمايته للشرع .

ومات عبد الملك وهو في طريق عودته إلى قرطبة بعد أن اشتدت به العلة . وأحصى ابن الخطيب غزواته فذكر أنه غزا سبع غزوات وأنه ما رئى في أمراء الجيش أبسط يدا في الحركات الجهادية ولا أرغد معونة من المظفر عبد الملك بن المنصور .

وكــان أعتــل أثنــاء عــودته مــن صــائفته إلى قلــونية Clunia مــن بــلاد شــانجة بــن غرســية Sancho Garcia ســنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م ، وزاد بــه مــرض الذبحــة الصــدرية ، وتــوفى فــي ديــر أرمــلاط Guadamellato من أحــواز قرطبــة في ١٦ / صفر / ســنة ٣٩٩ هـ - ٢٠ / أكتوبر / ١٠٠٨ م .

لما مــات عبد الملك المظفر خلفه أخــوه أبو المطــرف عبد الرحمن بن المنصــور الملقب بشنجول ، وشنجــول تصغير لشانجة ، وقد لقب عبد الرحمن بهذا اللقب بسبب أمه عبدة بنت شانجة النصراني ملك بنبلونة Sancho Garces Abarca . فقد كان هذا الملك قد أهدى ابنته للمنصــور فتزوجها وحسن إسلامها ، وكانت من خــيرات نســائه دينــا متينــا ، وحسبــا أصيــلا ، وأولــد منها ولــده عبد الرحمن . وذكر ابن عذارى أن أمه كانت تدعــوه في صغره بشنجــول Sanchuelo تذكراً منها لاســم أبيها شانجة خاصة وأنه كــان أشــبه الناس به .

ركب شنجول إلى قصر الخلافة غداة وفاة المظفر (أخيه) ، فعزاه الخليفة في أخيه وخلع عليه خلعا سلطانيا ، وقلده الحجابة ، وأصدر له بخطة تسميته بالمأمون ، فتلقب للحين بالناصر ، ثم بالمأمون ، فكان يدعى بالحاجب الأعلى ، المأمون ، ناصر الدولة .

وكان شنجول مغرورا بنفسه فساء تصرفه ، وأنفق الأموال في غير وجهها ، ونسبت إليه أباطيل من القول والفعل ، حتى كرهه الناس ، ثم أنه سلك خلاف مسلك أبيه المنصور وأخيه المظفر في مداخلة الخليفة والوقوف في أمره عند ضرورة السياسة .

ابن الخطيب ص ١٠٤ ذكر إبراهيم بن القاسم أن شنجول افتتح عهده بالخلاعة والمجانة فكان يخرج من منية إلى منية ومن منتزه إلى منتزه مع الخياليين والمغنيين والمضحكين ، مجاهرا بالفتك وشرب الخمر (انظر ابن عذارى ص ٣٩) وذكر ابن سعيد المغربي : أنــه كــان " نحســا على نفســه وعلى أهــل الأنــدلس فمنــه انفتــح باب الفتنة العظمى وفسد الناموس " المغربي ص ٢٠٨ .

والواقع أن سياسته الهوجاء وغروره وادعاءه كان سببا في القضاء على الدولة العامرية وسببا في الفتنة العظمى التي تبعث هذه الأحداث ، فقد سولت له نفسه أن يلتمس ولاية العهد من الخليفة هشام المؤيد ويقوم بأمر المسلمين من بعده ، وتفرق جنده عنه من البربــر ، وظل سائرا حائرا في البلاد بعد ذلك في صحبة حرمــه حتى شــارف منــزل أرمــلاط الأدنى **Guadamellato** إلى قرطبــة ، فلم يجد معه أحــدا من رجاله ، وهنــاك قبض عليه الحــاجب ابن ذري مــولى الحكــم هــو وصــاحبه ابن غــومس وقتلهما ، ◎ كان هذا النصــراني يتقرب إلى عبد الرحمن المتوسلــين إليه بقربى أمه من عمــومة الملك شانجة غرسية ◎ وسمرت رأســاهما على خشــبة طويلة على بــاب السدة في قصر قرطبة .

وكان ذلك في آخر جمادي الثانية سنة ٣٩٩ هـ الموافق فبراير / ١٠٠٩ م . وبذلك انتهت وسقطت بنو عامر وهيمنتهم على خلافة بني أمية في الأندلس .

✸ وذكرت جمهــرة من مؤرخي العرب أن محمد بن سليمان المستعين أغتال الخليفة هشام المؤيد خنقا في ٥ / ذي القعدة / سنة ٤٠٤ هـ . وأشاع أنه فر لوجهه . وعمل سقاء بالمرية .. وقال آخرون إن ابن عباد استحضر شيخا مأفونا حجبه عن الناس . وزعم أنه هشام المؤيد حتى يستميل قلوب الناس إليه ، ويكتسب بذلك سندا شرعيا .

وأبلغ سليمان المستعين بنبأ تحالف على بن حمود العلوي الذي عينه من قبل سليمان والي على سبتة وخيران العامري عليه ، وعلم بمسير جيوشهما إليه ، فعظم عليه الأمر ، وخرج بمن تبقى من رجاله للقاء جيوش ابن حمود وخيران مجتمعة ، واشتبك الفريقان في محرم سنة ٤٠٧ هـ ، ولكنهم هزموه ، وقبضوا عليه وعلى أخيه ، ودخل علي بن حمود قصر قرطبة في ٢٢ / محرم / سنة ٤٠٧ هـ الموافق سنة ١٠١٦ م . تظاهر علي بعدم معرفته موت الخليفة الأموي هشام المؤيد حتى يبرر عدوانه على سليمان المستعين ، وذكر ابن عذارى أنه طمع أن يجد هشاما المؤيد بالله حيا ، فلم يوجد ، وذكر له أنه قتل ، وعرض عليه قبره ، فأخرجه وتعرف على جثته ، ثم أعاد دفنه ، وأمر بإحضار سليمان المستعين ، فضرب عنقه بيده ، ثم ضرب عنق أخيه عبد الرحمن ، ثم عنق أبيهما الشيخ ، وجعل رؤوس ثلاثتهم في طست ، وأخرجت من القصر إلى المحلة ينادي عليها : هذا جزاء من قتل هشاما المؤيد . وبذلك سقطت الخلافة الأموية في الأندلس بمقتل هشام المؤيد ، وبدأت الفتن ، وأقامت الدويلات .. كانت من أسباب سقوط هذه الدولــة بعد أن مكث المسلمون فيها ثمانية قــرون .. رحــم الله القادة والجنود العظماء الذي فتحــوها .. وسمحنــا أيها القــائد الأعلى للأمــة الإســلامية على ذلك سيــدنا ونبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) بن عبد الله بن عبد المطلب " شيبة " بن هاشم " عمرو " بن عبد مناف " المغــيرة " بن قصي " زيد " بن كلاب " حكيم " وسمى كلابا لأنه كــان يبيع التمر - أي تاجر التمر - " بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر " قريش " بن مــالك بن قيس " النضر " بن كنانة بن خــزيمة بن مدركــة " عامر " بن إلياس بن مضــر بن نــزار بن معــد بن عدنان .

وكـــذا أهـــله والصحـــابة الكـــرام وأمهات المؤمنين الكـــاملات المكملات ولا سيمـــا الحبيبة الأولى .. أمـــي وحبيبـتي .. أم الإســـــلام والمسلمـــين ، السيدة الفضلى ، سيـــدة نسـاء العـــالمين .. ســـت الكـــل وعـــود الفـــل ،

السيدة / خـديجة بـنت خـويــلـد رضي الله عنها وأرضـــاها .. وكذلك من كاتب هـــذه السطور .. سليل قبـــائل عرب الأنصار .. الأنصاري الخزرجي / أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى محمد الفرخ .

عـــــوامل سقـــــوط الخـــلافة

كـــان أهـــل الأندلس يؤلفون أخـــلاطا متنافرة من السكان بعضــهم عرب ، وبعضـــهم بـــربر ، وبعضـــهم صقـــالبة ، وبعضـــهم مـــولدون ، وبعضـــهم مستعـــربون أو يهود . وكانت كل من هذه العناصر البشرية تميل إلى التكتل في بؤرات عمرانية خاصة بها ، فنرى أن العنصر الغالب على قرطبة من العرب ، والعنصر الغالب على إشبيـــلية وطليطلة مـــن المـــولدين ، والعنصر الغـــالب على غرناطة وقرمونة ومالقة من البـــربر . وكان لهذا أثره الكبير في ميل أهل الأندلس إلى الاستقلال ، والخروج عن السلطة المركزية ، مما كان يقضي باستعمال القوة كوسيلة لازمة للوحدة السياسية . ويرى الدكتور / حسين مؤنس أن أهل الأندلس كانت تعوزهم روح الترابط والوحـــدة بسبب تفرقهم في شـــبه الجزيرة وأن هذا قد أدى إلى سهولة تمزيق البلاد انظـــر (P. 169 La Chute du Caiifat Umayyade) والحقيقة أن تفرق السكان في شبه الجزيرة لا دخل له بالوحدة السياسية التي تتوقف عادة على قوة الحكومة المركزية أو ضعفها ، وكل ما في الأمر أن امتداد سلاسل الجبال من الشرق أو الشمال الشرقي إلى الغرب أو الجنوب الغربي قد ألف حواجز ودروبا من الصعب اجتيازها في تلك العصور . وقسم الاندلس بذلك إلى أقليم تكاد تكون منفصلة . وقد ساعد هذا الانقسام بطبيعة الحال إلى ميل أهل البلاد إلى النزعة الانفصالية .

ولا شك أن سياسة التغلب على البلاد بقوة السيف كانت تكفل خضوع الرعية واستكانتهم طوال عهد الحاكم الذي يصطنع هذه السياسة ، ولكنها كانت تدفعهم إلى الثـــورة من بعده ، وعلى هـــذا النحـــو نجـــد أن الحـــاكم النـــاجح هـــو من اتبـــع سيـــاسة الترغيب والترهيب في آن واحـــد .

فعبـــد الرحمـــــــن الـــداخـــــل (صقـــــر قـــــريش) بشـــــهادة عـــــدوه أبـــي جعفر المنصور (١٣٦ هـ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ – ٧٧٥ م) استـــمال قـــلوب رعيته في الأندلس " بقضية سياسته ، حتى انقاد له عصيهم ، وذل له أبيهم ، فاستولى فيـــها على أريكته ، ملـــكا على قطيعته ، قـــاهرا لأعـــدائه ، حـــاميا لذماره ، مـــانعا لحـــوزته ، خـــالطا الـــرغبة إليه بالرهبـــة منه ، إن ذلك لـــهو الفتى كـــل الفتى لا يـــكذب مـــادحه " – نفح الطيب ج ١ ص ٣١٠ – ولذلك نجح عبد الرحمن في تأسيس دولة قوية الاركان . وكذلك اتبع عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ هـ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ – ٩٦٢ م) سياسة تقوم على الإرخاء والجذب ، والشـــدة واللين ، وأتت هذه السياسة الحازمة الحكيمة ثمرتها ، فكان عهده من أزهى عهـــود الإســـلام في الأندلس . وبذلك أثبتت سياسة الاعتدال جدواها في تاريخ بني أمية في الأندلس .

وقد التـــزم بهذه السيـــاسة من أمراء بني أمية وخـــلفائهم عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ – ٨٥٢ م) والحكم المستنصر (٣٥٠ هـ – ٣٦٦ هـ / ٩٦٢ – ٩٧٧ م) ولذلك ســـادت الطمـــأنينة والرخـــاء في أيـــامهما والـــواقع أن الإفـــراط والتفريط في كل صـــفة من صـــفات صـــاحب السياسة أمران مذمومان . ويرى ابن خلدون (في مقدمته كتبها ١٣٧٧ م) أن المحمود هو التوسط كما في الكرم مع التبذير والبخل ، وكما في الشجاعة مع الهوج والجبن وغير ذلك من الصفات الإنسانية .

والواقع أن سياسة الرفق بالرعية هي أصلح سياسة لدوام الملك واستمالة الرعية ، وقد ذكر ابن خلدون (هو : عبد الرحمن بن محمد (١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي الأشهر وصاحب المقدمة والتي أودعها فكرا عبقريا جاء ثمرة لمنهج علمي متقدم ودقيق) أن حسن الإمارة يعود إلى الرفق " فإن الملك إذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات منقبا عن عورات الناس ، وتعديد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ، ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة ، فتخلقوا بها ، وفسدت بصائرهم وأخلاقهم ، وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النيات ، وربما أجمعوا على قتله لذلك ، فتفسد الدولة ويخرب السياج ، وإن دام أمـــره عليهم وقهـــره فســـدت العصبية لما قلناه أولا وفسد السياج من أصله بالعجـــز عن الحمـــاية ، وإذا كـــان رفيقـــا بهم متجـــاوزا عن سيئـــاتهم ، استناموا إليه ، ولاذوا به ، وأشــــربوا محبته ، واستمـــاتوا دونه في محـــاسبة أعدائه ، فاستقام الأمر من كل جانب " .

وعلى هذا فإن انحراف الخلفاء الأمويين عن هذا المبدأ ، مبدأ التوسط والاعتدال سواء بالتفريط أو الإفراط ، يعتبر العامل الأساسي الذي أدى إلى سقوط الخلافة بقرطبة .

ويتبع هذا العامل الأساسي عامل آخر لا يقل عنه في الأهمية وهو سياسة الخلفاء الأمويين منذ عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ الموافق ٩١٢ - ٩٦٢ م) نحو إضعاف العصبية العربية . لقد نجح الناصر في إعادة وحدة الأندلس بعد تفككها ، وذلك باستنزاله الثوار والمنتهزين في الأندلس بالعنف حينا وبالسلم أحيانا ، ولكنه وجد أن جيشه بنظامه القائم لا يمكن الاعتماد عليه لأن العنصر العربي كان العنصر المتفوق فيه ، وكانت العساكر المجندة في جيشه من سائر الكور والأقاليم توزع فيه وفقا وقبائلهم وأقاليمهم ، ولذلك كانت هذه الأجناد لا تخلص للأمير بقدر إخلاصها لولاتها في الأقاليم ، لأنها كانت تتعصب لهؤلاء الولاة ، لذلك عمد الخليفة إلى إضعاف العصبية العربية في جيشه وتطعيم الجيش بعناصر جديدة ، فاستكثر من الصقالبة ، واصطنعهم في جيشه وحكومته واعتمد عليهم في سائر شئون الدولة - يذكر ابن عذارى أن عدد الفتيان الصقالبة الذين سكنوا مدينة الزهراء أيام الناصر بلغ ٣٧٥٠ - فتى - وقيل أكثر من ذلك . وعلى هذا النحو ضعفت العصبية العربية خاصة بعد هزيمة الناصر في موقعة شانت مانكش المعروفة بالخندق سنة ٣٢٧ هـ (يقول صاحب أخبار مجموعة في خبر هذه الواقعة : " ولكنه عفا الله عنه مال إلى اللهو ، واستولى عليه العجب ، فولى للهوى لا للغناء ، واستمد بغير الكفاءة ، وأغاظ الأحرار بإقامة الأنذال كنجدة الخيرى وأصحابه الأوغاد فقلده عسكره ، وفوض إليه جليل أموره ، وألجأ أكابر الأجناد وجوه القواد والوزراء من العرب وغيرهم إلى الخضوع له والوقوف عند أمره ونهيه ، وحال نجده حال مثله في غيه واستخفافه وركاكة عقله ، فتواطأ أهل الحفاظ من رجاله ووجوه أجناده على ماكان من انهزامهم في الغزوة التي غزاها عام ٣٢٦ هـ وسماها غزاة القدرة ، لاحتفاله فيها وعظيم مشهدها ، فهزم فيها أقبح هـــزيمة ، وأتبعهم العدو أياما يأسرونهم ويقتـــلونهم في كل محلة ، فلم يكد ينجو منهم إلا قـــوم جمـــعوا أصحـــابهم على ألـــويتهم وتخلصـــوا إلى بلـــدانهم ... " انظر أخبار مجموعة ص ١٥٥ - ١٦٥ . ويؤيد ذلك ما ذكره المسعودي (توفى ٣٤٦ هـ) في مروج الذهب من أن عبد الرحمن الناصر خرج لمحاربة الجلالقة سنة ٣٢٧ هـ ولكنه هزم وقتل من رجاله نحو ٥٠ ألفا منهم (مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ٧٦، ١٠٨٣ هـ مصر) ،

وذكـــر ابن الخطيب أن طـــائفة مـــن جنـــد النـــاصر لديـــن الله حســـدته مـــا هيـــأ الله له مـــن الصـــنع ولـــم تنـــاصحه الحـــرب حـــق النصح ، فجـــالت ثـــانية للأعـــنة واختل مصاف القتال فانهزم الناصر . وقد قبض الناصر على ما يناهز ٣٠٠ مـــن فرســـانه فصلبهم ونادى في قرطبة : هذا جـــزاء من غش الإســـلام وكاد أهـله وأخل بمصاف الجـهاد (ص ٤٢) ويؤيد هـــذا الـــرأي من مؤرخي الأندلس المحدثين جنثالث بلنسية (Gonzalez Palencia) فيذكر أن أشراف قواد الناصر ثأروا منه بأن تركوه يهزم أمام قواد ردميرة وطوطة .(انظر Gonzalez Palencia , historia P. 45) : وينكر الدكـــتور حسـين مـؤنس مـــا ينسبه صـــاحب أخبار مجموعة إلى الناصر ، ويرى أن العـــلاقة بين الناصر وجوة رجاله لم تكن سوى علاقة مودة وتقدير) انظر

Hussain Mones : Essai Sur la Chite du Califat Umayyade de Cordoue en 1009 , le Caire , 1943, P. 198).

وكادت هذه العصبية تتلاشى في عهد الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦ - ٤٠٣ هـ) المـــوافق (٩٧٧ - ١٠١٣ م) على يـــدي حـــاجبه المنصـــور محمـــد بن ابي عامر (المتوفى في ٢٧ / رمضان / ٣٩٢ هـ الموافق سنة ١٠٠٢ م) . إذ اعتمد في جيشه على عنصرين هما البربر والصقالبة ، ونظم الجيش إلى فرق تتمثل القبائل في كل منها ، وكان يرمي من وراء لك إلى إزالة العصبية الجنسية فيه ، ثم قضى على النظام الإقطاعي للجند وبدله بنظام المرتبات - يقول المقري : " وكان عرب الأندلس متميزين بالعمائر والقبائل والبطون والأفخاذ ، إلى أن قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الأندلس به " . " ولم تكن تشغله أمور الدولة عن الجهاد فكانت له في كل غزوة من غزواته التي تزيد على الخمسين مفخرة من المفاخر الإسلامية . وكان لا يعود من غزوة إلا واستعد لأخرى ، ولم تهزم له قط راية مع كثرة غزواته شاتية وصائفة " ، غير أن الخطأ الذي وقع فيه ابن أبي عامر هو استكثاره من البربر ، وقد جلب إلى قرطبة من بربر العدوة وإفريقية عددا كبيرا ضاقت بهم قرطبة وأرباضها وكان في ديوانه ثلاثة آلاف فارس ، يضاف إليهم ألفا راجل من الرقاصة السودان ، وكان شأنهم في تلك الدولة الأموية كبيرا وهو ينوء بثقل كلفتهم الباهظة .

واعتـــمد المنصـــور في جيشه على هـــذين العنصـــرين : البربري والصقلبي ، وأهمـــل رجـــال العرب . وقد أفسح هذا مجـــالا للأحقاد في نفوس العرب ، وظلت هذه الأحقـــاد كامنة في حياته وحياة ابنه المظفر (المتوفى في ١٦ / صفر / سنة ٣٩٩ هـ الموافق ٢٠ / أكتوبر / ١٠٠٨ م) ولكنها ظهـــرت بعـــد ذلك ظـــهورا مـــدمرا في عـــهد ابنه عبد الرحمن شنجول (المتوفى آخر جمادي الثانية سنة ٣٩٩ هـ الموافق فبراير ١٠٠٩م) ، فكانت سببا في اشتعال نار الفتنة بين أهل قرطبة والبربر ، وهي الفتنة التي أفضت إلى سقـــوط الخـــلافة الأمـــوية ، وانفـــراط عقـــدها .

فالمغالبة والممانعة لا تستند على حد قول ابن خلدون إلا على النعرة والعصبية ، فمتى فسدت العصبية انهارت السلطة المركزية ، وعلى هذا كان فساد العصبية العربية وانقراضها بعد زوال الدولة العامرية (٣٧٢ هـ - ٣٩٩ هـ الموافق ٩٨٢ - ١٠٠٩ م) سببا في الإطاحة بالخلافة الأموية ، وقيام دويلات الطوائف .

وفي ذلك يقول ابن خلدون في المقدمة : " وكذا دولة بني أمية بالأندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك الطوائف على أمرها ، واقتسموا خطتها ، وتنافسوا بينهم ، وتوزعوا مالك الدولة ، وانتزى كل واحد منهم على ما كان في ولايته ، وشمخ بأنفه ، وبلغهم شأن العجم مع الدولة العباسية ، فتلقبوا بألقاب الملك ، ولبسوا شارته ... فاستظهروا مع أمرهم بالموالي والمصطنعين والطراء على الأندلس من أهل العدوة من قبائل البربر وزنانة وغيرهم اقتداء بالدولة في آخر أمرها في الاستظهار بهم حين ضعفت عصبية العرب واستبد ابن أبي عامر بالدولة ، فكان لهم دول عظيمة استبدت كل واحدة منها بجانب من الأندلس " . المقدمة من ص ١٥٥ – ١٥٦ .

ولم يقتصر الفساد على تطاحن العناصر البشرية في الأندلس فيما بينها فحسب ، بل تجاوز ذلك إلى الاستعانة بخصوم الإسلام في الأندلس ونعني بهم نصارى الشمال ، فقد أخذ كل فريق يستعين على جاره المسلم بالنصارى نظير إعطائهم بعض الحصون ، وكان ذلك كله على حساب دولة الإسلام العظمى وعلى الدين الإسلامي .



✸ ذكــرت جمهــرة مــؤرخي العــرب أن محمــد بن سليمان المستعين اغتال الخليفة هشام المؤيد خنــقا في ٥ / ذي القــعدة / سنة ٤٠٤ هـ ، وأشــاع أنه فــر لوجهه - ابن عــذارى ج ٣ ص ١١٣ ، ابن سعــيد المغربي : المغــرب في حلي المغــرب ص ١٨٩ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ١٤٠ ، نفح الطيب : ج ١ ص ٤٠٤ .

✸ محمــد بن عبــد الجــبار الــذي تلقب بعــد ذلك " بمحــمد المهدي " قتل هشام " الرشيد " بن سليمان بن عبد الرحمــن الذي حــاول أن يقضي على دولــة محمــد المهدي ، ولكنه منى بهزيمة نكراء وقبض عليه المهدي وقتله .

✸ قتل محمد بن عبد الجبــار " محمد المهــدي " بسبب استغراقه في الفسق والجور ، ودبر حاجبه واضح قتله ، ولعل السبب في هذا يرجع إلى طمعه في أن يقوم بدور المنصور بن أبي عــامر بالنســبة للخليفة هشــام المــؤيد الضعيف ، فأوعــز إلى طائفة العبيــد العــامرية بالقبض عليه ، وقتله في ٨ / ذي الحجة / سنة ٤٠٠ هـ الموافق ٢٣ / يوليو / سنة ١٠١٠ م . وأعــاد الخــلافة إلى هشــام المؤيد ، وبعث برأس ابن عبد الجبار إلى سليمان المستعين إرضاء له ولحلفائه البربر ، وكتب إليهم يدعوهم إلى الدخــول في طــاعة الخليفة المــؤيد باعتباره الخليفة الشرعي . ولــكن ذلك لــم يجد نفعا ، إذ تــألم سليمــان المستعــين وأصحــابه البربر للمصــير التعس الذي لقيه ابن عبد الجبــار " محمــد المــهدي " مــن أتبــاعه الخونة ، وسخــطوا على واضح لغــدره وخيانته ... وبعد فترة تم القبض على واضح ، فاحتز ابن وداعة القرطبي رأسه في ١٥ / ربيع الثاني / سنة ٤٠٢ هـ الموافق ١٦ / أكتوبر / سنة ١٠١١ م .

✸ انتقل سليمان المستعين مع جملة جيشه البربري إلى مدينة الزهراء ، بينما أقام بنو حمود العلويون في شقندة . ثم قسم بعض كور الأندلس بين رؤساء القبائل البربرية إرضاء لهم : وبذلك غلب العنصر البربري على دولة سليمان المستعين ، مما حمل الفتيان العامريين على الهرب إلى شــرق الأندلس ، خــوفا على أنفسهم من البربر ، حيث أقاموا لــهم دول . وأخــذوا يكيدون لســليمان المستعين ، ويدبرون له المــؤامرات . ويـذكر ابن الخطـيب أن بعض العــامريين المــوالي والصنــائع الهــاشميين أرســلوا إلــى علي بن حمود أمير ســبتة وثيــقة منســوبة إلى هشام المؤيد وبخطه عهد فيها بالأمر بعده إلى علي بن حمود (ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ١٤١ .. بينما يذكر ابن عذارى أن هشاما المؤيد " عنــدما رأى من اضطــراب أمــره ، وتيــقن من انصــراف دولتــه ، صير إلى علي بن حمود ولاية عهده ، وأوصى إليه بالخلافة من بعده ، وأرســله إلى سبتة بذلك ســرا ، وولاه طلب دمه ، واستكتمه الســر فيه إلى أوانــه وبــلوغ زمـانه " - انظر ابن عذارى ص ١١٤ وابن بسام الذخيرة القسم الأول ص ٢٦ - غير أن هذه الرواية تبدو غــير منطقية لأن سليــمان المستعين تخلص من هشــام المــؤيد عقب دخوله قصر قرطبة في ٢٧ / شوال / سنة ٤٠٣ هـ ... ثم إنه لم يقيم علي بن حمود على سبتة إلا بعد أن استوسق له الأمر بعد فراغه من أمر هشام .

ويغلب الظــن أن علي بن حمــود وهــو في سبتة كــان يزمع الخــروج على سليمان المستعين ، وإن كان يعد لذلك العــدة ســرا بدليل استبــداده بالأمــر فيــها ، واستقــلاله بها ســنة ٤٠٤ هـ ، وبدليل آخر أنه قتــل محمداً بن عيسى قاضي سبتة والفقيه ابن يربوع وكــلاهما من أنصار سليمان المستعين . ثم إنه خاطب أخاه القاسم ولي ولاية طنجة وأصيلا باحتلال الجزيرة الخضراء ، وتعلل في خروجه على طاعة المستعين أظهر كتابا نسبه إلى هشــام المؤيد يقــول فيه : " أنقــذني من أسر البربر ، والمستعين وأنت ولي عهدي " ووجــه إلى حبــوس الصنهاجي وإلى ولايــة البيرة وإلى خــيران العمري ، فنصحاه بالنهـوض إلى مالقة والاستيـلاء عليها (انظر ابن عذارى ص ١١٦ ، ابن الخطيب ص ١٤١) .

ثم أنهم تعهدوا له بتذليل الصــعاب ، وهونوا له أمــر الاستيلاء على الخــلافة ، وأشار عليه حبوس الصنهاجي صاحب البيرة ، وخيران العامري صاحب المرية : بالتوجه إلى مــالقة والاستيــلاء عليها : ولم يتــوان علي عن المجــاز إلى الأندلس بحجة الإفراج عن هشام المؤيد في الظاهر ، مع أنه كان يعلم تماما أن هشاما قد مات مقتولا ، أما غرضه الأساسي الذي كان يضمره في الباطن هو تفويض خلافة سليمان المستعين والظفر بها لنفسه ، ثم اتجه إلى المرية حيث اجتمع مع خيران العامري وغيره من الفتيان العامريين ، ومن هناك زحفت جيوشهما نحو قرطبة ، بينما تأهب أخوه القاسم لتقديم المساعدات إليه عند الضرورة (ابن بسام الذخيرة .. القسم الأول ص ٢٨) .

وبلغ سليمــان المستعين تحالف علي بن حمود وخيران العامري عليه ، وعلم بمسير جيوشهما إليه ، فعظــم عليه الأمر ، وخرج بمن تبقى من رجاله للقاء جيوش ابن حمود وخيران مجتمعة ، واشتبك الفريقان في محرم / سنة ٤٠٧ هـ ، ولكنهم هزموه ، وقبضوا عليه وعلى أخيه : ودخل علي بن حمود قصر قرطبة في ٢٢ / محرم / سنة ٤٠٧ هـ الموافق يوليو / سنة ١٠١٦ ميلادية . تظــاهر علي بن حمود بعدم معرفته بموت الخليفة الأمــوي هشــام المؤيــد بالله حيا حتى يــبرر عــدوانه على سليمان المستعــين : وذكــر ابن عــذارى أنه طمــع أن يجــد هشــاما المــؤيد بالله حيــاً ، فلم يوجــد ، وذكــر لــه أنه قتــل ، وعــرض عليه قــبره ، فأخرجــه وتعــرف على جثتــه ، ثــم أعــاد دفنــه : وأمــر بإحضــار سليمــان المستعــين ، فضــرب عنقــه بيــده ، ثم ضــرب عنــق أخيــه عبد الرحمن ، ثــم عنق أبيهمــا الشيخ ، وجعــل رؤوس ثــلاثتهم في طســت ، وأخرجت مـن القصــر إلى المحــلة ينــادى عليــها : هــذا جــزاء مــن قتــل هشــاما المــؤيد - ابــن بســام الذخــيرة قســم أول ص ٢٩ - ابن عــذارى ج ٣ ص ١٠٧ .

✸ بــويع لعلي بــن حمــود في بــاب الســدة مــن قصــر قــرطبة وذلك في ٢٣ / محرم / سنة ٤٠٧ هـ . وتلقب بالناصر لدين الله : ولكن سرعان ما كره أهل قرطبة لما عاينوه من سرعة تحوله عنهم ، وانصرافه إلى حزبه البربري ، وتفضيله عليهم ، ويرجع السبب في هذا التقلب إلى قيام المرتضى عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر سنة ٤٠٧ هـ : بشرق الأندلس بإيعاز من خيران العامري ، وميل أهل قرطبة إلى هذا الخليفة الجديد : فألزمهم المغــارم وصب عليهم كل ضروب نكالة ، فاشتد سخط النــاس عليه وتبرم به خدمه وفتيانه من صقالبة بني مروان ، فوثب عليهم منهم ثلاثة هم : منجح ولبيب وعجيب ، وقتلوه في حمام قصره في غرة ذي القعدة / سنة ٤٠٨ هـ .

وخلفه أخوه القاسم بن حمود في ٤ / ذي القعدة / سنة ٤٠٨ هـ وبدأ عهده بداية طيبة إذ اهتم بنشر الأمن في البلاد ، وحاكم قتلة أخيه ، غير أن هذا الاطمئنان لم يطل أمده ، فسرعان ما وقع القاسم تحت سيطرة البربر والفتيان العامرية القائمين بشرق الأندلس ، وكرهه أهل قرطبة لذلك ، وندموا على خذلانهم لآل مروان .

وكان أمراء شرق الأندلس قد بايعوا المرتضى بالخلافة ، وأعدوا له جيشا كثيفا لفتح قرطبة ، وإعادة الخلافة لأصحابها الشرعيين من المروانيين .

وعرج هذا الجيش على غرناطة لمحاربة بني زيري الصنهاجيين ، فلما اشتبك الفريقان سنة ٤٠٩ هـ ، أجمع أمراء شرق الأندلس على خذل المرتضى والغدر به ، لما رأوه من صرامته وحدة نفسه ، وخافوا من عاقبة تمكنه من البربر (عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٥٠) فانهزموا عنه رغم كثافة عددهم ، ووفرة عدتهم ، ولما وجد المرتضى نفسه وحيداً فر بنفسه ، ولكنه قتل بالقرب من وادي آش .

أحدث انهزام المرتضى وقتله صدى أليما في نفس أهل الأندلس ، لأنه سجل تفوق العنصر البربري عليهم ، وازداد نفوذ البربر بعد قضائهم على المرتضى ، وتسطلوا على دولة القاسم بن حمود ، ولم يطل به العهد في قرطبة ، إذ خلعه أهلها بسبب تسلط البربر على شئون دولته ، واستبدادهم بالسلطان فثاروا عليه ، وأجمعوا على خلعه في ٢١ / جمادي الآخرة / سنة ٤١٤ هـ .

✸ أما أهل قرطبة فقد كانت نفوسهم قد ضاقت بالبربر ، وندموا على ما فعلوه ببني مروان ، وأجمعوا على رد الخلافة إليهم ، فاختاروا من أمراء المروانية ثلاثة هم :

١) سليمان بن المرتضى .
٢) محمد بن العراقي .
٣) عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار .

واجتمع الناس في جامع قرطبة في ٤ / رمضان / سنة ٤١٤ هـ على اختلاف طبقاتهم لانتخاب واحد منهم ومبايعته ، وعقدت البيعة بادئ ذي بدء لسليمان بن المرتضى ، ولكن قدوم عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار في شرذمة من رجاله ، شاهرين سيوفهم ، حال دون إتمامها ، فبويع لعبد الرحمن ، وكشط شيوخ قرطبة الذي كانوا يسعون لخلافة سليمان اسم سليمان من الخلافة ، وكتبوا مكانه اسم عبد الرحمن بن هشام ، بعد أن استأمنوه على أنفسهم : فلما تم له الأمر وتلقب بالمستظهر بالله ، نكث عهده : وسجنهم في المطبق (السجن) بقرطبة ، فسعوا عليه من المطبق ، وكاتبوا صاحب المدينة ، فاستجاب لدعوتهم هو وطائفة من اهل قرطبة ، وهاجموا المطبق وأفرجوا عنهم : وتركز سخطهم على المستظهر ، فهاجموا القصر : وقيل إن أهل قرطبة ثاروا عليه لإكرامة وفدا من البربر قدموا عليهم ، فصاح الناس : " عاد شر البرابر جدعا ، وهاج الناس وماجوا ، وقتلوا الضيوف البربر ، وحاصروا القصر - ابن بسام : القسم الأول ص ٣٧ ، ابن عذارى ص ٣٧ ، ابن الخطيب ص ١٥٧ - .

وتســلق الثــوار ســـور القصــر ودخــلوا على المستـــظهر ، فتخلى عـــنه وزراؤه وتـــركوه وحيـــدا أمـــام سيــل جــارف : فتــجرد مـــن ثيـــابه " حتى بقــى في قميـــصه ، واستخفى فـــي أبزن الحـــمام " ، وفي هـــذه الأثــناء أجــلس النــاس محــمداً بن عبــد الرحـــمــن بن عبيـــد الله الناصر مجلس الخلافة ، وبايعـــوه في ٣ / ذي القعـــدة / سنة ٤١٤ هـ ، ثم عثر على المستظهر فيما بعد ، وحمل إلى محمد بن عبد الرحمن الذي تلقب بالمستكفي بالله وقتل أمامه .

وهكذا افتتـــح المستكفي بالله خــلافته بجـريمة شنعاء ، وواصـــل اجــترامه بقتـل ابن عمه محـمــد بن العـــراقي خنـقا سنة ٤١٥ هـ - ابن عـــذارى ج ٣ ص ١٤٢ ، ابـــن الخطـــيب ص ١٥٨ : وأعـــلن ولايـــة العـــهد مـــن بعـــده لابـــن عـــمه سليـــمان بن هشام بن عبيد الله : وكان المستكفي بالله على نقيض المستظهر بالله سيئ الخلق ، عاهرا ، عاطلا من الخصال والفضائل ، ويشبهونه بالمستكفى بالله الخليفة العباسي ، وترتيبه في الخلفاء العباسيين رقم ٢٢ لاشتراكهما في التوثب في الفتنة واستظهارهما بالفقه ، واعتــداء كل واحد منهما على ابن عمه " كان الخليفة العباسي الثاني والعشرين " في ترتيب الخلفاء العباسيين ، كان قد تأمر على ابن عمه الخــليفة العباسي " الراضي " ترتيبه رقـــم عشـــرون في الدولـــة العبــاسية ، ونفـــاه إلى مدينة قوص / بمحـــافظة الأقصـــر / بجمهــورية مصـــر العربية ، وكـــافة أفــراد أســـرته ومات ودفن فيـها مؤقتـا .

ومن العجب أنهمــا اتـــفقا في الأخـــلاق والعهر واللعب ، وأن كــل واحـــد منهما عاش اثنين وخمسون ســـنة ، وكل واحـــد منهما ملك سنة ونحو خمسة أشهر ، وكل واحد منهما تركه أبـوه صغيرا ، وتوافقــا في اللقب : وبالجملة فهمــا رذلى قومهمــا - اقــرأ للمؤلف - الدولــة العباسية - .

وفي ٢٥ / ربيع الأول / سنة ٤١٦ هـ ، دخل عليه وزراؤه وأمروه بأن يخرج معهم لمقاتلة يحيى بن علي بن حمود الذي زحف من مالقة يقصد الاستيلاء على قرطبة . فتظاهر بالقبول ، وهو يضمر في قرارة نفسه النجاة بحياته ، فتسلل من قصره بقرطبة في زي غانية بن امرأتين لم يميز منهما ، وخرج من قرطبة مع بعض رجاله ، ويبدو أنه اختلف معهم على مال أثناء الطريق ، فقتلوه في بلدة أقليج .

واستعاد يحيى بن علي بن حمـود دولتـه بقرطبـة في ١٦ / رمضـــان / سنة ٤١٦ هـ . ورحـــل إلى مالقة بعد ذلك . وآثر البقـــاء في مالقـــة . وظـــل بها حتى قتـــل خــارج أبواب قرمـونة في محـرم سنة ٤٢٧ هـ .

أما خيران ومجاهد العرمايان ، فقد أقاما بقرطبة ما يقرب من شهر ، ثم شجر بينهما خلاف ، وأخذ كل منهما يشــك في نيـــة الآخر ويخاف منه ، فانسحب خيران من قرطبة في أواخر ربيع الآخر سنة ٤١٧ هـ ، بينـــما بقى مجـــاهد بهـا فـترة من الوقت ، ثم غادرها إلى دانية - ابن عذارى ص ١٤٥ - .

✸ أجـــمع أهـــل قرطـــبة بعد رحـــيل الفتيين العـــامريين على مبـــايعة هشام بن محمد بن عبد الملك أخى المرتضى ، الذي غدر به العامريون وقتلوه في وادي آش . فبـــايعوه وهـــو بحصن البنت (كــان هشـــام بن محمد قد نفر بنفسه بعد هزيمة أخيه المرتضى بالقرب من غرناطة وأقـــام عند صـــاحبه عبد الله بن قاسم الفهري صـــاحب حصـــن البنت - انظـــر ابن سعيد ص ٥٥) . في ربيع الآخر سنة ٤١٨ هـ ، وتلقب بالمعتد بالله . وظـــلوا يخطبون باســـمه عـــامين وسبعة أشهر حتى قدم إليهم سنة ٤٢٠ هـ .

ولم يطل عهده بقرطبة إذ استوزر رجلا يعرف بحكم بن سعيد القزاز ، ويكنى بأبي العاص ، كان يكرهه أهل قرطبة لاستبـداده برأيه وتعسفه ، ومخالفته لآراء الوزراء السابقين ، وإكرامه للبربر وإجزاله لهم العطاء ، فبطشوا به وقتلوه.

✸ انتهز أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان ، أحد أمراء بني مروان ، فرصة مقتل الوزير المذكور سابقا ، ليحرض العامة على المعتد سعيا لإسقاطه . واعتلاء كرسي الخلافة مكانه . وثار أهل قرطبة وراء أمية في ١٢ / ذي الحجة / سنة ٤٢٢ هـ ، وحاصـر العـامة قصـر الخـلافة ، وأخـرج هشام من قصره هو ونساؤه وولده ، وأنزل إلى ساباط المسجد الجامع المؤدى إلى المقصورة ، وظل هناك أسيرا ذليلا ، يتوقع الموت في كل لحظة (ذكـر ابن عذارى أن أول مـا طلبه من السـدنة الداخلـين عليه إحضـار كسيرة خبـز يسد بها جـوع طفـلة له كان قد احتضنها ساترا لها بكمة من قر ليلته - وذكـر المراكشي أنه لحق ومن معه بالثغور وأقام عند ابن هود في لاردة حتى مات سنة ٤٢٧ هـ ... المعجب ص ٥٨ -) .

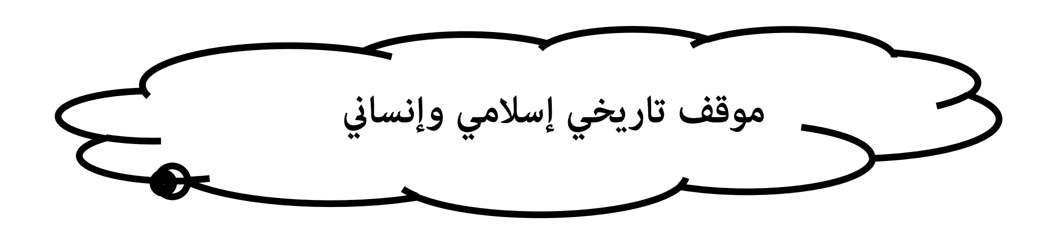
وفي هـذه الأثنـاء اجتمع شيـوخ قرطـبة والـوزراء برئاسة أبي الحزم بن جهور ، واتفقـوا على خـلع المعـتد بالله ، وإبطـال رسـم الخـلافة جمـلة ، ولكن أمية بن عبد الرحمن بن هشـام بن سليـمان بن عبـد الرحمن الناصـر بن محـمد بن عبـد الله بن محـمـد بن عبـد الرحـمـن " الأوسـط " بن الحـكم بن هشـام بن عبد الرحمن الداخل " صقر قريش " بن معـاوية بن هشـام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبو العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ... كان حريصا كل الحرص على الظفر بها (ذكر ابن عـذارى ص ١٥٠ ، ١٥١ ... أن أهـل قرطبة نصحوه بعدم التطـلع إلى الخلافة خشية أن يقتله الناس لا نقـلا بهما على بني أمية .. فقال لهم أمية : " بايعـوني أنتـم اليـوم واقتـلوني غـداً " .

ولم يخطر بباله أن تنتهي الأمور كذلك ونودي في الأسواق والأرباض ألا يبقى بقرطبة أحد من بني أمية وألا يكنفهم أحد من أهل المدينة . وانتهى بذلك أمر بني أمية في الأندلس وزالت خلافتهم وانقطعت الدعوة لهم .

عنـدما سقطت غـرناطة في ربيـع الأول سنة ٨٩٧ هـ الموافق يناير سنة ١٤٩٢ م ، وهي آخـر معـاقل المسلمـين وبذلك سقـطت الخـلافة الإسـلامية في الأنـدلس بعد ثمانية قـرون من إقامتـها .

معـذرة في ذلك يا رسـول الله ولا نعـرف كيـف نلـقاك يوم القيـامة ؟ وأنت لنـا سئـلاً ... !!!

وعنـدما لغيت الخـلافة و أخـرج المسـلمون ، وقـامت محاكم التفتيش المشهورة سنة ١٢٢٧ م ، حتى أن مـلكي إسبـانيا الصـليبيين فرديناند Fridand (١٤٧٩ - ١٥١٦ م) و إيزابيلا Isbella (١٤٧٤ - ١٥٠٤ م) اللذين اقتلعا الإسلام من الأندلس ، واجتثا جذوره بالقتل والحرق والتنصير .



قد حاصر والي قرطبة في سنة ١١٣٩ م ، مدينة طليطلة التي كانت بيد النصارى ، فأرسلت إليه الملكة بيرانخير التي كانت فيها ، رسولا يبلغه أنه ليس من مروءة فارس كريم رقيق الشمائل مسلم أن يحارب امرأة ، فارتد القــائد العربي المسلم من فوره ، ولم يطلب مقابل ذلك سوى أن يشــرف بتحية الملكة ... هذه فروســية الإسلام والعرب بسجلات إسبــانيا المسيحية وهي حــافلة بمثل هذه النوادر التي تبين كيف كانت أخلاق الفروسية هذه ذائعة بينهم - هكذا علمهم معلم الفروسية الأول .. سيدنا وقائدنا الأعلى على مر العصور محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)- وقــارن بما فعلوه مع المسلمين من وحشية وخسة ونذالة وحرق وتعذيب في محاكم التفتيش لإجبار المسلمين على الرحيل عن الأندلس أو تغير ملتهم !!! .

- وكذا كيف يعامل المسلمون الآن في أوربا وأمريكا ؟؟؟!!
- وللقارئ الرأي والتعليق ....

وحتى لا يرجع المسلمون مرة أخرى إلى الأندلس ، تفتق ذهن القساوسة والرهبان والحاقدين على الإسلام من الصليبية العالمية السوداء بتقسيم بلاد غالة (حاليا إسبانيا كلها والبرتغال ونصف فرنسا وجزءاً من ألمانيا وجزءاً من بلجيكا) إلى دول .

وليــس ذلك فحســـب بــل تغـير اســـمها مـــن الأنـــدلس إلــى إسبـــانيا ومعــناها بالــلاتينية القــديمة العودة إلى الزمن الماضي القديم ... !!!



جـــاء في كتـــاب " الحضـــارة الأوروبيـــة سياسية واجتمـــاعية وثقافيـــة " لمؤلفيه أســاتذة الفلسفة جيمس James وستفال توسون Steval Toson وفرانكلن شارلزبام Frankln sharlzbam وفان نوستراند Van Nostrand :

" في خلال قرنين نقل إلى العربية كل ما خلق الإغريق من التراث العلمي على التقريب ، وأصبحت بغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة مراكز لامعة لدراسة العلم وتلقينه ... وأخذت المعرفة بهذه الثقافة الإغريقية العربية تتسرب إلى أوروبا الغربية في أواخر القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر الميلادي .

ولـــم يكن تســـر بهـــا من أثر الغـــزوات الصليبية كـــما يسبـــق إلى الخـــاطر ، ولكـــنه جـــاء من طريق صقلية إلى إيطـــاليا ومن إسبـــانيا المحمـــدية " صلى الله عليك يا أستاذ الإنسانية والبشرية " إلى إسبانيا المسيحية ثم إلى فرنسا " فتحت الأنـــدلس المحمدية العـــربية المسلمة على يد الأسطـــورة العسكـــرية البطـــل المســـلم / العربي طـــارق بن زيـــد يوم الأحـــد ٢٨ / رمضـــان / ٩٢ هـ المـــوافق ١٩ / يوليو / ٧١١ م " ، وتسابق الرجال من ذوي العقول اليقظة إلى بلارمة وطليطلة لتعلم اللغـــة العربيـــة ودراســـة العـــلوم العربية ، والعجيب أن معـــظم هؤلاء الرجـــال كـــانوا من الإنجليـــز مثل أديـــلارد أوف بات Edelard Off Bat ، ودانيال أوف مورلي Danial Off Morly، ورجر أوف هيرفورد Wrgar Off her Ford، وإسكندر فكوام Eskander Fokam .

وكانت رسالة أديلارد أوف بات Edelard Off Bat في المســـائل الطبيعية أول مـــؤلف علمي أنتجته أوربـــا الغـــربية في القـــرون الوسطى (القـــرون الوســـطى هي القـــرون المظلمة التي تمـــتد من ســـنة ٤٧٦ إلى ســـنة ١٥٠٠ ميـــلادية) وقضـــى بعض الطـــلاب سنين عـــدة في إسبانيا ثم قضـــوا أعمـــارهم كلـــها في هذا العـــمل المقصـــور على ترجـــمة الكـــتب العلمية العـــربية إلى اللـــغة اللاتينية ... وتـــرجم جيرارد أوف كـــريمودا Girard Off Krimoda المتـــوفي سنة ١١٨٧ ميلادية في الثالثة والسبعين من عمره واحـــدا وسبعين كتابا مختلفـا من هـذه الكتب ، وقـاربه في وفـرة الإنتـــاج أفلاطون أوف تيفـــولي Aflaton Off Yovly ، وعلى هذا النحو كانت أوربا قد استولت في مستهل القرن الثالث عشر على محصول العلم الإغريقي والعربي بحذافيره ، وأصبح تدريس العلم في الجامعات الحـــديثة من الأمور المقررة المتفق عليها ، وكـــان أعظم علمـــاء ذلك العصر الإنجليزي الفرنيسكاني روجر باكون Ragar Bakon (١٢١٤ - ١٢٩٢ م) هـــو لا يقصر في عظمته عن شأن البرتس الكبير Great Albert، وكلاهما قد تولى التدريس في جامعة باريس ، ولم ينتصف القرن الثالث عشر الميلادي حتى ظهرت مجموعة هذه المعـــــارف في سفـــر ضخـــم من تصنيــــف فنسنت أوف بوفيس Venist Off Boffis سماه مرآة الطبيعة وحوى فيه كل ما وسعته المعرفـــة البشريـــة في ذلك الجيل من طب وظواهر كونية وفلك وجغرافية وظواهر جوية ، وكلام عن طبقات الأرض والمعادن والنبات والأحياء والتشريح . . . إلخ .

على أن الجانب المهم من أثر هذه الموسوعات الثقافية في أوربا لا يتوقف على تعديد المعلومات كم " معلومة " بلغت وكم معلومة أخذها العرب أو أخذها منهم الأوربيون ، وإنما المهم أن الأوربيين تناولوا مشعل العلم من أيدي العرب المسلمين فاستضاءوا به بعد ظلمة وبلغوا به بعد ذلك ما بلغوه من هذا الضياء العميم العلمي الإسلامي الذي انكشفت به أحدث العلوم ، ولو لم يحمل العرب ذلك المشعل شرقا وغربا لكان من أعسر الأمور أن يقدح الأوربيون نوره من جديد ، وإذا أفلحوا في قدحه فقصاراه في ثلاثة قرون أن يقف دون الشأن والذي انتهى إليه جهد الإنسان في عشرات القرون .

ففي كتب التراجم والسير – ولا سيما أخبار الحكماء للقفطي – خلاصات طيبة عن كثير من الفلاسفة والحكماء ممن لم يرزقوا الشهرة في صدر الإسلام ، وقد اشتهر مع هذا رجال كالكندي ومحمد بن إبراهيم الفزاري وأبناء موسى بن شاكر الثلاثة محمد وأحمد والحسن في العهد الذي برزت فيه أسماء العلماء من الغرباء عن السلالة العربية ، وهؤلاء الأبناء هم أصحاب كتاب " الحيل " الذي يعد أصلا من أصول " الميكانيكا " قبل تطورها الأخير في عصر الآلات .

وهنـــاك أيضـــا الحســـن بن أحمد الهمـداني (المتـــوفى ســـنة ٣٣٤ هـ) صـاحب كتاب ســـرائر الحكمة وأنســـاب حمير وهـــو محيط بمباحث الفلسفة عن أصـــل العـــالم وقـــواعد المنطق والكـــلام .

وترجم كتاب " القانون " لابن سينا في القرن الثاني عشر الميلادي وهو موسوعة جمعت ما وصل إليه الطب عند العرب والإغريق والهنود والسريان والأنباط ، وترجم كتاب " الحاوي " للرازي سنة ١٢٧٩ ميلادية وهو أكبر من القانون وأوسع منه في المادة والموضوع ، وقد أكمله تلاميذ الرازي بعد موته لأنه عمل لا يضطلع به الأفراد .

وترجم كذلك كتب الحسن بن الهيثم (ت ٣٤٠ هـ / ١٠٣٨ / ١٠٣٩ م) في ذلك العصر فكان عليها معول الأوربيين اللاحقين جميعا في علم البصريات .

وظهر من برامج جامعة لوفان Lovanne المحفوظـــة أن كـــتب الـــرازي (٢٥١هـ - ٣١٣هـ) وابن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٦ م) كانت هي المرجع المعول عليه عند أساتذة تلك الجامعة إلى أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، وجاء المدد من الأندلس العربية الإسلامية فأمد أوربا بمرجعها الأكبر في الجراحة وتجبير العظام ، وهو كتاب " التعريف لمن عجز عن التصريف " لأبي القاسم خلف بن العباس ، وقد طبع باللغة اللاتينية في القرن الخامس عشر الميلادي ، وكان قبل طبعه دروسا متداولة بين أبناء الصناعة يعتمدون عليها في الأعمال الجراحيـــة ولا سيمـــا فتح المثانة وإخراج الحصاة ، وقال العالم الطبيعي الكبير هاللر (Heller) في رواية جستاف لـوبون (Gostaf Lobone) أن كتب أبي القاسم كانت مرجع الجراحين جميعا بعد القرن الرابع عشر للميلاد ، وقد ترك كتيبا صغيرا عن الآلات الجراحية التي تستخدم في العمليات على اختلافها مع توضيحها بالأشكال وطرائق الاستخدام .

القلويات معروفة في مصطلحات الكيمياء الحديثة باسمها العربي **Alkali** وماء الفضة وهو من أهم الحوامض المستخدمة في التجارب الكيميائية لم يظهر وصفه في كتاب قبل كتب جابر بن حيان ، وهو صاحب الفضل فيما عـــرفه الأوربيـــون عن ملح النوشادر وماء الذهب والبوتاس وزيت الزاج وبعض السموم ، وقد ترجم له كتابه السبعين وكتاب تركيب الكيمياء إلى اللغة اللاتينية في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي وظلت كتبه عمدة في هذا العلم بين الأوربيين إلى أواخر القرن السابع عشر للميلاد فترجم كتابه الاستتمام إلى اللغة الفرنسية سنة ١٦٧٢ م .

وسبقوا الإفرنج إلى وصف الجذام وشرح مرضى الجدري والحصبة ، وعلاج أمراض العين ، وحاموا حول مذهب فرويد (**S. Frioud**) في الطب النفساني وعلاقته بالمسائل الجنسية على نحو تجريبي خليق بأن يحتذى في تقرير المعارف والمشاهدات ، فمن ذلك أن حظية هارون الرشيد الخليفة العباسي الخامس (١٧٠ - ١٩٤ هـ الموافق ٧٨٦ - ٨٠٨ م) تمطت في بعض الأيام ورفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها وعولجت بالمتريخ والدهن فلم تنتفع بهما ، فلما سئل جبرائيل بن يختيشوع قال للرشيد : " إن لم يسخط علي أمير المؤمنين فلها عندي حيلة ، قال له الرشيد : ما هي ؟ قال : تخرج الجارية إلى ههنا بحضرة الجميع حتى أعمل ما أريده وتمهّل عليّ ولا تعجل بالسخط ، فأمر الرشيد بإحضار الجارية فخرجت فأسرع إليها جبرائيل ونكس رأسه وأمسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها فانزعجت الجارية وبسطت يدها إلى أسفل وأمسكت ذيلها " . . . فقال جبرائيل قد برأت يا أمير المؤمنين ، ولما سئل في تعليل ذلك قال : " هذه الجارية انصب إلى أعضائها وقت المجامعة خلط رقيق بالحركة وانتشار الحرارة ولأجل أن سكون حركة الجماع يكون بغتة جمدت الفضلة في بطون الأعصاب وما كان يحلها إلا حركة مثلها ، فاحتلت حتى انبسطت حرارتها وحلت الفضلة فبرأت " .

كذلك هناك ضياء الدين المالقي المعروف بابن البيطار ، فقد ولد بمالقة وسام في أنحاء العالم الإسلامي ووصل إلى أقصى بلاد الروم للبحث عن الأعشاب وأصناف النبات ، وعينه السلطان الكامل الأيوبي رئيسا للعشابين بالديار المصرية وهم يقابلون في عصرنا هذا علماء النبات وعلماء الصيدلة في وقت واحد ، وألف كتاب " الأدوية المفردة " فاستوعب فيه صفوة المعلومات التي أدركها علم زمانه في هذه البحوث . . هناك شارع شهير يحمل اسمه خلف جامع الأزهر الشريف بمدينة القاهرة .

واخترع ابن يونس المصري (٢٨١ - ٣٤٧ هـ / ٨٩٤ - ٩٥٨ م) في القرن التاسع للميلاد الرقاص ثم توالى بعده من ضبط حركاته وانتظام ذبذباته .

ولما أراد روجر الثاني (**Rogar"nd"**) ملك صقلية النورماني في القرن الثاني عشر للميلاد أن يستوفي معلومات عصره الجغرافية لم يجد من يعتمد عليه في ذلك غير الشريف الإدريسي الذي ولد في سبتة ودرس في قرطبة وتطايرت شهرته في بلاد الحضارة الإسلامية ، فوضع كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " ، وصنع له الملك كرة فضية - تمثل كرة الأرض - زنتها أربعمائة رطل رومي ليتخذها مثالاً لما يثبته من معالم الكرة الأرضية ولا يعرف أن أحداً سبق الإدريسي إلى بيان الحقيقة عن منابع النيل العليا كما حفظت في الخرائط التي بقيت في بعض المتاحف الأوربية ، ومنها خريطة محفوظة بمتحف سان مرتين (**San Marten**) الفرنسي ترسم النيل آتيا من بحيرات إلى جنوب خط الاستواء ، بعد أن تخبط الجغرافيون في وصف منابعه وتعليل فيضانه منذ أيام هيرو[وت (**Herodot**) الملقب بأبي التاريخ .

ومن الخرائط المرسومة والآراء النظرية التي نقلت عن العرب تلقى كولمبس (Cristphoe Coloumbs – ١٤٥١ – ١٥٠٦ م) صورته عن الكرة الأرضية ، وتخيل أن الأرض كمثرة الكمثرى المستطيلة ترتفع قمتها في الهند وترتفع لها قمة أخرى مقابلة لها في مكان آخر يشبه إقليم الهند بمناخه وثمراته ومحصول أرضه ومائه ، وكانت الخريطة التي أوحت إليه هذه الفكرة مباشرة خريطة الكردينال بطرس الإيلي (Botros El-eilly) التي سماها صورة الدنيا Lmaso mundi واعتمد فيها على المصادر العربية ونشرها في أوائل القرن الخامس عشر للميلاد قبل رحلة كريستوفر كولمبس بنحو ثمانين سنة وهو فضل يحسب للعرب في كشف العالم الجديد .

ولقــد كـــانت آراء البـــيروني ومرويــــاته في علمي الجغرافيـــا والفـــلك شائعة بـــين الأوربيين المهذبـــين .

ولو بقى الرأي الغالب على أهل أوربا عن تسطيح الأرض كما كان قبل شيوع كتب الجغرافيين من العرب المسلمين – مع إنكار الكنيسة للقول باستدارتها ودورانها – لكان من المتعذر جدا أن يسنح في ذهن كولمبس خاطر السفر إلى الغرب للوصول إلى الأقطار الآسيوية ، ولكن العرب المسلمين أشاعوا هذه الحقيقة في أهم الكتب الجغرافية التي ألفوها ، فكتب ابن خرداذبة المتوفى سنة ٨٥٥ للميلاد " أن الأرض مدورة كتدوير الكرة موضوعة في جـــوف الفلك كالمحة في جـــوف البيضة " ، وقـــال ابن رستة المتوفى سنة ٩٠٣ " إن الله ﷻ وضع الفلك مستديرا كاستدارة الكرة أجوف دواراً والأرض مستديرة أيضاً كالكرة مصمتة في جوف الفلك " وأتى بالبراهين على ذلك فقال : " والدليل على ذلك أن الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعها ولا غروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد ، بل يرى طلوعها على المواضع المشرقية قبل غيبوتها عن المغربية . . . إلخ " .

كانت السياحة (Toures) فيما بين القرن العاشر والقرن السادس عشر فناً إسلامياً ، قبل الإنجليزي الشهير في العالم ومؤسس السياحة في العصر الحديث توماس كوك (Tomas Cook) (١٨٠٨ – ١٨٩٢ م) ، " أسس بعد ذلك شركة باسمه في مصر بموافقة الخديوي إسماعيل عام ١٨٧٠ م " من فنون أهل المغرب وهم قدوة الأوربيين " في هذه الشئون "، " وبمناسبة أهل المغرب فهي بها مراكش الحمراء ، مدينة الشمس والنخيل ، عاصمة دول المرابطين والموحدين والسعديين ، بناها السلطان " يوسف بن تاشفين " عام ٤٥٤ هـ (الموافق ١٠٦٢ م) ، كعربون محبة لزوجته زينب النفزاوية – انظر أيها القارئ لرقة العربي المسلم نحو زوجته وماذا فعل لها . . وقـــارن بين ما يقال عن العرب ومعاملتهم القـــاسية تجـــاه المـــرأة ومايقـــال غير ذلك من افـــتراءات في الغـــرب الأسود على العـــربي المســـلم ومحـــاولات تشويش هـــذا التـــاريخ الناصع بالمعـــاملات الإســـلامية الرفيعة . . . وللقارئ الرأي والتعليق .

ومن سياح المسلمين المشهورين أبو عبيد الله البكري الذي ولد في مرسيه " بالأندلس " وألف كتابي " معجم ما استعجم والمسالك والممالك " وتوفى في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد ، ومنهم أيضا الشريف الإدريسي ، ومنهم محمد بن عبد الرحيم المازني الذي ولد في غرناطة ، وألف نخبة " الأذهان في عجائب البلدان " وتوفى في القرن الثاني عشر ، ومنهم ابن جبير الذي ولد في بلنسيه قبل منتصف القرن الثاني عشر وكتب رحلته المتداولة بين قراء العربية ، ومنهم ابن بطوطة صاحب " تحفة النظار في غرائب الأمصار " أكبر الرحالين في القرن الرابع عشر على الإطلاق .

وهؤلاء غير الرحالين الشرقيين أمثــال المسعــودي (ت ٣٤٦ هـ) وابن حوقــل وياقوت الحمــوي والبيروني وعشرات آخرين لم يشتهروا هذه الشهرة ولم يتركوا بعدهم من المطــولات مثل ما ترك هــؤلاء .

ويدل على أثر المسلمين في الملاحة تلك الكلمات التي لا تزال محفوظة في لغات الأوربيين أثناء تواجدهم في الأندلس المسلمة العربية بما يشبه حروفها العربية مثل Tare من طرح السفينة ، و Felougue من الفلك ، و Calfata من القلفطة ، و Amiral من أمير البحر ، و Arsenal من دار الصناعة ، و Risk بمعنى المغامرة في المعاش من كلمة رزق ، و avala من كلمة حوالة ، و avaare من كلمة عوار ، و wissil الألمانية كلمة وصــل ، و Caliber من كلمة قــالب ، وغير ذلك كثــير ولا سيما في كلام أهــل الأندلس والبرتغــال .

ولا حاجة إلى استقساء طويل في علم الفلك عامة لإقرار فضل العرب المسلمين فيه على الأمم الأوربية ، فإن الأسماء العربية باقية بلفظها في المعجمات الفلكية الأوربية سواء في أسماء الكواكب والنجوم أو أسماء المدارات والمصطلحات ، ومن مئات المفردات نكتفي بالقليل للدلالة على الكثير كالطرف Altaref ، وكرسي الجوزاء Cursa ، و الكف Caph ، والأرنب Arnab ، والعرقوب arkrabi ، والسمت Azimuth ، وأدحى النعام Azha ، والبطين Botein ، وزبانتي العقرب Zuben HYakrabi ، والوزن Wczn ، والنسر الواقع Wege ، والساهور Saros ، والسيف Saif ، وصدر الدجاجة Sadr ، وسعد السعود Sadalsud ، ورجل الجبار Rigel ، والزورق Zaurek ، وقرن الثور Taure ، والراعي Errai ، والذنب Denob . . . وأمثال هذه الأسماء المحفــوظة بألفــاظها كثيرة غير ما ترجموه بالمعاني دون الألفاظ .

كذلك فإن علم الجبر يعربف باسمه العربي في جميع اللغات الأوربية لأن الإغريق وقفوا به عند القواعد الأولى التي أثبتها ديوفانتس Diophantus الإغريقي السكندري في القرن الثالث للميلاد .

وليس بالشرقيين غلو في القول إذا ارتفعوا ببعض الرياضيين الإسلاميين إلى الذروة العليا في علــوم الرياضــة جمعاء ، فإن الأستاذ كارل ساخاو Ckarl Sakhawe الذي كــان أستــاذا للغات الســامية في جامعــة فينيا يقــول عن البــيروني إنه أعظم العقــول التي ظهرت في العالــم .

والأستاذ لالاند (Laland) الفرنسي الفلكي المشهور في القرن الثامن عشر يقول عن البتاني إنه واحد من عشرين رياضيا ظهروا في العالم القديم والعالم الحديث .

وقد اقترن الأدب القديم ببعض البلاد الأوربية وغيرها من البلاد التي قامت فيها دول المسلمين وانتشر فيها المتكلمون باللغة العربية .

ففي سنة ١٣٤٩ ميــلادية كتب الإيطالي بوكاشيــو Boccaccio حكاياته التي سمــاها " الصبــاحات العشرة " وحــذا فيها حــذو " الليالي العربية " أو ألف ليلة وليلة التي كانت يومئذ في دور النشــر والإضــافة بين مصــر والشــام ، وقد ضمنها مائة حكاية من طراز حكايات ألف ليلة وأسندها إلى سبع من السيدات وثلاثة من الرجال اعتزلوا المدينة في بعض الضواحي فراراً من الطاعون وفرضوا على كل منهم حكاية يقصــها على أصحابه في كــل صبــاح تزجية للفــراغ ، وقد ملأت هذه الحكايات أقطــار أوربــا واقتبس منه شكسبير (Shakespeare) موضــوع مســرحيته " العبــرة بــالخواتيــم Allis well that ends well " كــما اقتبس منها لسنغ الالمــاني (Lasangh) مسرحيته " ناثان الحكيم " .

وكـــان " شوسر" (Shousar) إمـــام الشعـــر الحديث في اللغة الإنجليزية أكبر المقتبسين منه في زمانه ، لأنه لقيه حين زار إيطاليا ونظم بعد ذلك قصصه المشهورة باسم " قصص كانتربري " وأدرهـــا على محـــور يشبـــه المحور الذي اختـــاره بوكاشيو (Boccaccio) لقصص الديكامـــيرون ، ومنـــها قصـــة السيد التي اقتبس فيها إحدى قصص ألف ليـلة وليلة واستسهلها بالكـلام على بلاط خان من خـــانات التتر أو المغول ، ولم يـــزل الشعـــراء الغربيون ينسجـــون على هذا المنـــوال في نظـــم القصـــص إلـى عهـــد لـــونجفـلو Longfellow صـاحب الديـــوان الـــذي سمـــاه " قصص خان بمنعطف الطريق " .

وربما كانت صلة " دانتي اليجييري Danti Elegiry مؤلف الكوميديا الإلهية (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) كتب مـــؤلفه في عـــام ١٣٠٠ ميـــلادية في الخامسة والثلاثين من عمـــره ، بالثقـــافة العربية أوضـــح من صـــلة "بوكاشيو " و " شوســـر " لأنـــه أقـــام في صقلـــية على عهد المـــلك فردريك الثـــاني الذي كـــان يدمن دراسة الثـــقافة الإســـلامية في مصـــادرها العربية .

ودارت بينـــه وبين هـــذا الملك مساجلات في مـــذهب أرسطـــو كان بعضها مستمدا من الأصل العربي ولا تزال نسخته المخطوطة محفوظة في مكتبة السيرتوماس بودلي بأكسفورد (Sir Tomas Bodly) وقد لاحظ غير واحد من المستشرقين أن الشبه قريب جدا بين أوصاف الجنة في كلام محيي الدين بن عربي وأوصـــاف دانتي Danti Elegiry لهـــا فـــي الكوميديـــا الإلهيـــة ، وقـــد كـــان دانتي Danti Elegiry يعرف شيئا غير قليل من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم[١٦٢] فاطلع على الأرجح من هـــذا البـــاب على قصـــة المعراج ووصـــف الإســـراء ومراتب السماء ، ولعله اطـــلع على رســـالة الغفـــران لأبي العـــلا المعـــرى (٣٦٣ - ٤٤٨ هـ المـــوافق ٩٧٣ - ١٠٥٧ م) واقتبس منها هـــذه المراجع كلها رحلته إلى العالم الآخر كما وصفها في القصة الإلهية ، وأكـــبر القائلين بالاقتباس على هذا النحو هو عالم من أمة الإسبان انقطع للدراسات العربية : وهو الأستاذ آسين بالسيوسي Asin Palacios .

وعاش بترارك في عصر الثقافة العربية بإيطاليا وفرنسا وحضر العلم بجامعتي مونبلية وباريس وكلتاهما قامتا على تلاميذ العرب في الجامعات الأندلسية الإسلامية العربية ، أما " سرفانتس " فقد عاش في الجزائر بضع سنوات وألف كتابه " دون كيشوت " بأســـلوب لا يشك من يقرأه في إطـــلاع كاتبه على العبـــارات العربية والأمثـــال التي لا تزال شـــائعة بين العـــرب حتى هذه الأيـــام ، وقد جـــزم برسكوت Prescott صـــاحب الإطـــلاع الواســـع على تـــاريخ الإسبـــان بأن فكـــاهة " دون كيشوت " كلها أندلسية في اللباب .

١٦٢ - ولد بمكة ، يوم الاثنين ٩ / ربيع الأول / سنة ٥٣ ق.هـ الموافق ٢٠/ إبريل / ٥٧١ م .
- وفي يوم الاحد ١٢ / ربيع الأول / سنة ١١ هـ المـــوافق ٧ / يونيو / ٦٣٢ م صـــعدت روحـــه إلى الرفيـــق الأعـــلى ، بعـــد عمر بلغ – بالتقـــويم القمري – ٦٣ عـــاما وثـــلاثة أيـــام – وبالتقـــويم الشمسي – ٦١ عاما وثمانية وأربعين يوما .
- اقرأ للمؤلف كلمة حق " إنصافا لرسول الإنسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والرد على الغرب دار الحرم للتراث / القاهرة / خلف جامع الأزهر الشريف / جمهورية مصر العربية.

✸ " اليـــوم العـــالمي للكتـــاب " . . . يوم ٢٣ أبريل من كل عام بدأ كاحتفال سنوي عالمي دعا إليه اليونسكو Elyounsko في عام ١٩٩٥ م وذلك احتفـــاءاً بالكـتب والكتاب والمؤلفين وتشجيعـــا وتحفيــــزا للقــــراءة ، وفـــي هذا اليــوم (٢٣ أبريل) هو يوم الذكرى السنوية لوفاة الكاتب الإسبــاني ميجيل سرفانتس (١٥٤٧ - ١٦١٦ م) (" مؤلف دون كيشوت ") ، وأيضا يوم وفاة الكاتب الإنجليزي الشهير ويليام شكسبير (William Shakespeare).

✸✸ والكاتب الإسباني ميجل سرفانتس هو الأب الروحي للرواية في العصر الحديث وفقا لأراء أكبر كواكبة من النقاد والأوربيين بالرغم من أنه كان معاصرا لشكسبير (Shakespeare) إلا أن روايته الخالدة غيرت مسار الرواية في العالم أجمع وتأثر بها قمم هذا الفن وأشادوا بتأثـــيرها على أعمــــالهم واستلهامهم لها في بعض أعمـــالهم والقـــائمة تضـــم : شاتو بريــــان وفيكتور هوجــــو وستندال وفلوبير وتولستوي ودوستوفسكي وتشارلز ديكنزولافونيتن الذي كان يقارن بينها وبين الأوديسة ، والمصلح الاجتماعي الشهير أوجست كونت .

ومن أبــــرز أقــــواله المأثـــورة في هـــذه الروايـــة : " وجـــود الكثـــير من التعقل قد يكون جنــــونا و الأكثـــر جنـــونا من ذلك كله هـــو رؤية الحيـــاة كما هي لا كـــما ينبغي أن تكـــون " .

✸✸✸ ولا ننسى أن هناك مسرحية شهيرة باسم " الزفاف الدامي " للشاعر الإسباني لوركا كانت تعرض منذ عام ١٩٥٣ م لأكثر من عشرين سنة منتظمة على مسارح باريس الشهيرة بدون انقطاع . . لأن مؤلفها لوركا مؤلف المسرحية كان يفتخر بأن جذوره عربية ، لكنه قتل في الحرب الاهلية أيام الجنرال فرانكو - وفرانكو هذا توفى سنة ١٩٧٥ م عن ٨٣ عاما وكان ديكتاتور ظالما وحكم إسبانيا لمدة ٣٦ عاما.

فقد كان شيوع التعليم بالعربية سببا لإهمال " اللاتينية و الإغريقية " وخطوة لابد منها لإحياء اللغات الشعبية وتداول الشعر والبلاغة والعلم من طريق غير طريق القسوس والرهبان المنقطعين للمباحث الدينية ، ويرى لنا دوزي في كتابه عن " الإسلام الأندلسي " رسالة ذلك الكاتب الإسباني - الفارو Elfarouw - الذي كان يأسى أشد الأسى لإهمال لغة اللاتين والإغريق والإقبال على لغة المسلمين فيقول : " إن أرباب الفطنة والتـــذوق سحرهم رنين الأدب العــربي فاحتقـــروا اللاتينية وجعــــلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها " .

ولقـــد تــــأثرت القصـــة الأوربيـــــة فـــي نشــــأتها بما كـــان عند العـــرب المسلمين مـــن فنــــون القصص في القـــرون الوسطى (هي القـــرون المظلـــمة التي تمتد من سنة ٤٧٦ إلى سنة ١٥٠٠ م) وهي المقـــامات وأخبـــار الفروسيـــة ومغـــامرات الفرسان في سبيــــل المجــد والغــــرام ، وتـــرى طـــائفة مـــن النقـــاد الأوربيين أنفســهم أن رحـــلات جليفر (Gelever) التي ألفهـــا سويفت (Swift) ورحـــلة روبنسون كروزو (Robonson Coroso) التي ألفهـــا ديفـــوي (Devoy) مدينـــة لألف ليلة وليلة ، ورسالة حي بن يقظان التي ألفها الفليسوف ابن طفيل ، وقد كان لألف ليلة وليلة بعد ترجمتها إلى اللغات الأوربية أول القرن الثاني عشر أثر يربي على كل آثارها السماعية قبل الترجمة المطبوعة .

✸ الخيال العلمي يطرح فكرة سيطرة البشر نظريا على الزمان والمكان ويربط بين الأزمنة الماضية والحاضرة والمستقبلية ، وتطرح قصصه ورواياته دائما ذلك السؤال الذي تحاول أن تجيب عنه طوال الوقت " ماذا يحدث لو . . ؟ " ويطلق الخيال العلمي سواء كان أدبا أو أفلاما سينمائية كل الاحتمالات وإلى أقصى درجاتها للإجابة عن هذا السؤال ، ليس تجريبيا ومعمليا فقط ، ثم تم تطبيقه بعد سنوات ليست ببعيدة ، ولعل من أهم الامثلة على ذلك هي أعمال كاتب روايات الخيال العلمي الفرنسي جول فيرن Joal Firn (١٨٢٨ - ١٩٠٥م) في رواياته " رحلة إلى مركز الأرض عام ١٨٦٤ و " من الأرض إلى القمر " عام ١٨٦٥ و " عشرون ألف فرسخ تحت الماء " عام ١٨٦٩ و " حول العالم في ثمانين يوما " عام ١٨٧٣ م وغيرها ، وقد حملت جميعها رؤية علمية تنبؤية ثبت صحتها مع الزمن ، بل وتحتل روايات الخيال العلمي الكلاسيكية مثل " رحلات جوليفر " للكاتب الإنجليزي جوناثان سويفت عام ١٧٢٦م و " فرانكشتين " للكاتبة الإنجليزية ماري إشلي عام ١٨١٧ م باحتمالات مبنية على فرضيات علمية محتملة الحدوث .

✸✸ كثيرا ما نتباهى في الشرق عموما وفي مصر على نحو خاص بأننا سادة الخيال ، وغالبا ما نلقن بأن كتاب " ألف ليلة وليلة " الذي ترجمه الغرب بعنوان لا يخلو من دلالة ، وهو " ليالي عربية " حيث نسبه إلينا بالكامل رغم أصوله الهندية والفارسية بأن كتاب " ألف ليلة وليلة قدم خيالا علميا من أعلى طراز ، ويقال لنا : " أليس بساط الريح هو نبوءة بالطائرة ؟ " و " أليست كرة الساحرة البلورية هي صورة مكبرة للتلفزيون ؟ " ، ولا شك أن كتاب " ألف ليلة وليلة " هو الكتاب الأكثر خيالا على مدى التاريخ .

وقد بلغت المفردات العربية التي أضافها الإسبان وأهل البرتغال إلى لغتهم ما يملأ معجما غير صغير ، ولكن العبرة مع ذلك بدخول تلك المفردات في الحياة الاجتماعية والمقاصد النفسية لا بمجرد دخولها في صفحات المعجمات ، فإنها لم تتمثل على الألسنة إلا بعد أن تمثلت في أحوال المعيشة ونوازع الإحساس والتفكير ، ومن هنا يعزى إليها من فعل الإيحاء والتوجيه أضعاف ما يعزى إليها من فعل النقل والتلقين .

إن الأندلس هي البلاد التي تلقت فن الأنغام على العرب وامتزجت فيها الموسيقى الحسية بموسيقى العبادة عدة أجيال بعد زوال الدولة العربية الإسلامية ، فكان للإسبان رقص ديني ترعاه الكنيسة وتنعقد فيه الصلة بين موسيقى الأقدمين وموسيقى المحدثين .

ومن الحقائق المقررة أن أبناء أوربا الغربية كانوا يتعلمون أفانين الأنغام على أساتذة من العرب الاندلسيين المسلمين ، وأنهم نقلوا اسماء بعض الآلات بألفاظها العربية فبقيت في اللغات الأوربية حتى اليوم بعد تصحيف يسير ، فكلمة لوت Lute من العود ، وكلمة نكر Naker من النقارة ، وكلمة Cle أو المفتاح الموسيقي من أقليد ، وكلمة Rebec من الرباب ، وأزياء الفنانين التي توارثتها أوربا بعد تبدل إسبانيا قد بقيت مشابهة لأزياء المغنيين حين كانوا في المغرب يتجملون كما يتجمل القيان فيرسلون الشعر ويطلون الخدود ويكحلون الجفون .

من الآراء التي شاعت بين الأوربيين في القرن التاسع عشر أن الأمم الشرقية تطلب العلم للمنفعة ولا تطلبه للمعرفة والمتعة العقلية ، كما كان يطلبه الإغريق في الزمن القديم .

ومن ضروب التجني التي لا تحمد من العلماء أن يقال إن العقل العربي لن يستطيع التفلسف بحال من الأحوال ، الفارابي (٢٦٠ هـ / ٣٣٠ هـ) وابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٦ م) مثلا كانا من سلالة فارسية على أشهر الأقوال ولم يكونا من سلالة عربية أو سامية ، كأنما كانت للفرس قبل ذلك فلسفة فارسية أو كان لهم عذر كعذر العرب في هجر البحوث الفلسفية طوال العهود التي مرت بهم في الحضارة والعمران .

وإنما الرأي السليم الذي يقبله المنطق والعلم على السواء أن موانع الفلسفة واحدة حيث كانت الأمة من مواقع الأرض وكيفما كانت السلالة من عناصر الأجناس والأقوام ، فالإغريق في موضع العرب لا يتفلسفون ، والعرب في موضع الإغريق لا يحجمون عن الفلسفة ودراسة العلوم .

على أن أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي (ت ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) الملقب بفيلسوف العرب وكان أبوه أميرا على الكوفة ، عربي أصيل لم يعرف له نسب دخيل ، وفلاسفة الأندلس كانوا من العرب ولم يكونوا من الفرس أو الأوربيين أو كانت عروبتهم كالإغريقية التي ينتمي إليها سكان تراقية وجزر الأرخبيل وكريت وصقلية وآسيا الصغرى وجالياتهم بصور وصيدا ووادي النيل .

ولعل هؤلاء الفلاسفة الأندلسيين هم أحق الفلاسفة المسلمين بالتنويه بهم في معرض الكلام على توجه الأوربيين إلى البحوث الفلسفية والدراسات المنطقية .

ويظن - والظن من الأوربيين قبل الشرقيين - أن الفليسوف محيي الدين بن عربي (١١٦٥ - ١٢٤٠ م) كان له أثر كبير في عقول النساك والمتصـوفة من فقهـاء المسيحية الذين ظهروا بعده ، فإنه نشأ في مدينة مرسية وتوفي في دمشق " ولد بها صوفي الإسكندرية الأكبر المرسي أبي العباس ، وتسمى باسمها فاسمه الحقيقي أحمد بن عمر " قبل ختام القرن الثاني عشر للميلاد وانتقل من دراسة علوم الكلام ومذاهب الفلسفة إلى الرياضة الصوفية والإيمان بوحدة الوجود ، وقد حببه إلى المسيحيين أنه وحد بين الأديان كما وحد بين حقائق الوجود ، فقال :

عقـد الخلائق في الإله عقـائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقـدوه

<u>وهو القائل :</u>

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه دان

فأصـبح قلبي قابلاً كل صورة فمـرعى لغزلان وديراً لـرهبان

وبيتا لأوثـان وكعبـة طائف وألـواح توراة ومصحف وقـرآن

أدين بدين الحب أني توجهت ركائبه فالحـب ديني وإيمـاني

ويـرى الأستـاذ آسـين بلاسيـوس الإسـباني Asin Palacios أن نزعـات دانـتي (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) الصـوفية وأوصـافه لعـالم الغـيب مستـمدة مـن محيي الدين بغير تصرف كثير .

ومن المعلوم أن أول الفلاسفة الصوفيين من الغربيين وهو جوهان أكهارت وقد نشأفي القرن التالي لعصر ابن العربي ودرس في جامعة باريس وهي الجامعة التي كانت تعتمد على الثقافة الأندلسية المسلمة في الحكمة والعلوم ، وأكهارت يقول كما يقول ابن العربي " أن الله هـــو الوجـــود الحـــق ولا موجـــود ســـواه ، وأن الحقيقة الإلهية تتجلى في جميـــع الأشيـــاء ولا سيما روح الإنســـان التي مصـــيرها إلى الاتصـــال بالله من طريق الرياضـــة والمعرفـــة والتسبيـــح ، وأن صـــلة الروح بالله ألـزم من صلة المادة بالكل والأعضاء بالأجسام .

والآراء الفـــلسفية التي قـــال بهـــا أمثـــال الفـــارابي والكندي وابـــن سينا والغـــزالي (ت ١١١١ م) وابن رشد وابن طفيل لا تعد غريبة كل الغرابة عن مذاهب العصـــر الحديث ، لأنهـــا لم تخـــل من آراء تكـــلم فيـــها أساطين الفـــلاسفة الإسلامية وعرضـــوا لها إمـــا بالإســـهاب أو بالإيجـــاز .

✸ كانت قصة حي بن يقظان كما رواها ابن طفيل (ت ١١٨٥ م) عاملا حافزا ونقطة انطلاق للبرنامج الفلسفي الضخم الذي كرس ابن رشد (١١٢٠ – ١١٩٨ م) حياته لتنفيذه ووضع نواته في كتابه الشهير " فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال " ، فقد تضمنت القصة محاولة للرد على الغزالي (ت ١١١١) في تكفيره للفلاسفة وانتهت في جزئها الأول إلى تطابق الفلسفة والشريعة ، وهي نتيجة ورأي ابن رشد ، لولا أن طريقة ابن طفيل في الدفاع عن الفلسفة ما كانت لترضيه هو الفقيه والقاضي والفيلسوف العقلاني ، فالقصة كما رواها ابن طفيل لا تحلو من غموض والتباس ، وهي في نهاية المطاف قصة خرافية تدل بلغة الرمز على غربة الفلسفة في المجتـــمع الإســـلامي ، أمـــا ابن رشـــد فكان يرى رغـــم وعيه بالمخـــاطر المحـــدقة بالفلسفة أن عليه أن يدافـــع عن مشـــروعيتها و دورهـــا في الحياة الاجتماعية مستخدما لغة الفقه والمنطق .

✸ ونستطيع بناء على ذلك أن نرى إلى أي حد كان فيلسوف قرطبة الإسلامية رائداً مبكرا للنزعة الإنسانية قبل ظهورها في أوربا ، كما كان رائدا أيضا لما سمى في أوربا عصر التنوير الذي لم يبدأ إلا في القرن الثامن عشر الميلادي . ويحسن أن نتذكر عندما نشير إلى انتقال آراء ابن رشد إلى أوربا أن باريس – بلد الثورات – شهدت في القرن الثالث عشر ثورة تسمى " الرشدية اللاتينية " .

✸ كان فيلسوف قرطبة الإسلامية يرى نقل العلوم عن الغير واجب إذا لزم الأمر ، ولكنه ليس هدفا في حد ذاته ، بل هو وسيلة للمساهمة الإيجابية في تشييد العلم الذي ينبغي أن يستكمل بجهود مشتركة بين الأمم ، بما في ذلك جهود الناقلين . ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن المسلمين عندما يستوردون ما أنتجه الغير من معارف – وهو أمر واجب – ينبغي أن يفعلوا ذلك مساهمة منهم في الإنتاج والبناء ، ولذلك أخضع ابن رشد فكرة النقل عن الغير لمبدأ قاطع ، وهو ان ننظر فيما قال القدماء ، " فإن كان كله صوابا قبلناه منهم ، وإن كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه " . ويترتب على ذلك أن أحدا أيا من كان – أرسطو أو غير أرسطو – ليس منزها عن النقد والتصويب .

✸ ويخطئ من يرى أن كل ما تركه فلاسفة المسلمين قد نقلوه قبل ذلك بحرفه عن فلاسفة اليونان ، فقد وجد من الفلاسفة الإسلاميين من تصرف واستقل برأيه كما وجد منهم من وقف عند النقل والتفسير ، وأكثرهم قد تلقوا مذاهب الأولين على أنها عمل قابل للتعديل والتقنين وليس على أنها قضية مسلمة لا يأتيها الباطل بحال .

فالغزالي (ت ١١١١ م) مثلا كـان على علم وثيـق بأصول المنطق وكان من أقدر المفكرين السابقين واللاحقين على مناقشة البراهين اليونانية بمثلها أو بما يفوقها قوة ووضوحا في بعض القضايا العقلية .

وابن سينا لا يرضى عن مذاهب المشائين كل الرضا فيتخذ له منطقا مقابلا لمنطقهم يسميه " منطق المشرقيين " .

فالقديس توما الأكويني (Toma elakwiny) أكبر فلاسفة اللاهوت المسيحي في القرون الوسطى ولد في سنة ١٢٢٥ م وتوفي في سنة ١٢٧٤ م وألف كتبه بعد أن شاعت بين الرهبان القسوس دروس الفلاسفة الأندلسيين وفلاسفة المشرق من المسلمين ، ولم يكن في كل ما كتب في الله والروح ووسائل الوصول إلى الحقيقة رأي واحد لم يتناوله قبله ابن سينا والغزالي وابن رشد على الخصوص ، وكل ما استجد من خلافاته فهو تلك الخلافات التي يقضي بها الفارق بين أصول المسيحية وأصول الإسلام .

في لغات الأوربيين كلمات لها مثل الدلالة على أثر المعيشة العربية في المعيشة الأوربية ، بالمعاشرة أو الاتباع في الحكم أو تبادل التجارة .

منها الكلـمات الدالة على القطن Cotton أو على الحرير الموصلي Muslin أو الحرير الغزي Gause أو الحرير الدمشقي Damas أو الجلد القرطبي Cordevan أو الجلد المـراكشي Morocco أو الجبـة Jupe أو المسـك Musk أو العطـر Attard أو الزعفـران Saffron أو الشـراب Syrup أو الجـرة Jar أو الصـفة بمعنـى المقعد الطويل Sofa أو الأرز Ricc أو البرتقال من النـارنج Orange أو الليمون Lemon أو السكر Sugar أو القهـوة Coffee أو القنـوة Condy إلى أشـباه هذه المفـردات .

وقد شاعت هذه المفردات الإنجليزية والفرنسية وبعض اللغات الأوربية الأخرى ، أما الذي دخل الإسبانية والبرتغالية من الكلمات الدالة على أحوال المعيشة فقد يحصى بالمئات ولا يقتصر على العشرات ومنها القباء Gaban والبناء Albanil والمخزن Alterihn والفندق Fonda والطاحون Tahone والحجـر الكـريم أو الجـوهر alhada والبراءة albaran والكراء alquiler والقبة alcoba والساقية assaquiya وبعض المكاييل كالفنيقة وهي الغرارة Fanega والثماني celemines والقطيفة alcatifa والربعة arroba والجيب algibeira والخياط afaiate والرطل ariatel وألفاظ كثيرة من أسماء الحاجيات المتداولة أو الأعلام على المواقع والبلاد .

وليس كل الشأن في انتقال هذه المفردات إلى الإسبانية أو البرتغالية أنها صفحات زيدت على معجم اللغتين ، وإنما الشأن الصحيح فيها أنها دليل على صبغة المعيشة العربية التي اصطبغت تلك البـلاد وكل بلد غيرها اقتبس مثل هذا الاقتباس أو بعض هذا الاقتبـاس ، وأنها مقياس الفارق بين أحـوال الأمم الأوربيـة قبل اتصالها بالحضـارة العربية وبعد شيـوع هذا الاتصال .

ففي عصـــر الأندلس الذهبي كانت المـدن الاندلسية أعمر المدن في القـــارة الأوربيـــة من أقصاها إلى أقصاها .

وإلى قرطبة وزميلاتها غرناطة وأشبيلية وطليطلة ومرسية ومالقة كانت تتجه وفود العواهل الأوربيين في طلب الأدوية أو التحف أو أدوات الترف والزينة وفرق الموسيقى والغناء ، وأجمل بعض هذا المؤرخ الإنجليزي استانلي لاين بول **Estanly Line Pool** فقـــال: " إن حكـم عـــبد الرحـــمن الثـــالث (٣٠٠ هـ - ٩١٢ م – ٣٥٠ هـ - ٩٦٢ م) الـــذي قـــارب خمسين ســـنة أدخـــل على أحـــوال إسبـــانيا تجـــديدا لا يلم الخيـــال – على أجمح ما يكون – بحقيقة فحواه " . . .

ولا نعرف شهادة لهذا العصر الذهبي أعظم ولا أصدق من ذلك الحنين الذي يذكره به غلاة الوطنيين الإسبان وكبار كتابهم حين يلتفتون إلى ماضي بلادهم ويتمنون لها حاضرا كماضيها في أيام الدولة العربية ، فلم تنجب إسبانيا في عصرها الحديث وطنيا غيورا ولا كاتبا مبرزا أشهر من بلاسكو ابانيز **Blascko abanise** الذي توفى منذ ما يقرب ست عقود ، ولكنك لا تقرأ لعربي ولا لشرقي كلاما في الإشادة الحماسية بمجد العرب الأندلسيين كالذي تقرأه لهذا الكاتب النابه في أهم مصنفاته وهي " ظلال الكنيسة " حيث يقول : " . . . لقد أحسنت إسبانيا استقبال أولئك الرجال الذين قدموا إليها من القارة الأفريقية ، وأسلمتهم القرى أزمتها بغير مقاومة ولا عداء . فما هو إلا أن تقترب كوكبة من فرسان العرب من إحدى القرى حتى تفتح لها الأبواب وتتلقاها بالترحاب . . وكانت غزوة تمدين ولم تكن غزوة فتـــح وتدويخ . ولم يزل ميل المهـــاجرين يتدفق من جانب المضيـــق وتستقر معه تلك الثقـــافة الغنيـــة الموطـــدة الأركـــان ، نـــابضة الحيـــاة ، بعيـــدة الشـــوط ، ولدت منتصـــرة وبث فيـــها النبي صلى الله عليه وسلم حميـــة قدسيـــــة واجتـــمع إليـــها أفضـــل مـــا في وحي بني إسرائيل وعلم بيزنطية وتـــراث الهنـــد وذخـــائر فـــارس والصـــين وهكذا تســـرب الشـــرق إلى أوربـــا على نهـــج غـــير نهـــج دارا و زركسيس (**Dara and Zerxies**) من قبـــل أثنيا الـــتي قـاومنه خوفـــا على حريتها ، وإنما اختـــار له في هذه المـرة نهجا مقـابلا لأثينا من الناحية الغربيـة وهـو الجـزيرة الأندلسية حيث سلـطان الملوك " اللاهوتيين " والقساوسة المجاهدين فتلقته مفتوحة الذراعين .

" وفي خلال سنتين استولى الغزاة على ملك قضى مسترده (فتحت الأندلس في يوم الأحد ٢٨ من رمضان سنة ٩٢ هـ الموافق ١٩ يوليو سنة ٧١١ م) وسقطت غرناطة في ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ الموافق يناير ١٤٩٢ م – سبعة قرون كاملة في استرداده ، ولم يكن في الواقع فتحا فرض على الناس برهبة السلاح "[١٦٣] بل حضارة جديدة بسطت شعابها على جميع مرافق الحياة ، ولم يتخل أبناء تلك الحضارة زمنا عن فضيلة حرية الضمير وهي الدعامة التي تقوم عليها كل عظمة حقة للشعوب . فقبلوا في المدن التي ملكوها كنائس النصارى وبيع اليهود . ولم يخش المسجد معابد الأديان التي سبقته فعرف لها حقها واستقر إلى جانبها غير حاسد لها ولا راغب في السيادة عليها ، ونمت على هذا ما بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر أجمل الحضارات وأغناها في القرون الوسطى ،

---

١٦٣ اقرأ للمؤلف " كلمة حق " إنصافا عن رسول الإنسانية سيدنا محمد ﷺ والرد على الغرب الناشر دار الحرم للتراث / خلف جامع الأزهر الشريف / القاهرة.

وفي الزمن الذي كانت فيه أمم الشمال فريسة للفتن الدينية والمعارك الهمجية يعيشون عيشة القبائل المستوحشة في بلادهم المتخلفة كان سكان إسبانيا يزدادون فيزيدون على ثلاثين مليونا تنسجم بينهم جميع العناصر البشرية والعقائد الدينية ، وخفق قلب الحياة الاجتماعية بأقوى نبضاته التي عرفها تاريخ الجماعات البشرية ، فلا نرى لها قرينا نقابله به غير ما نجده في الولايات المتحدة الأمريكية من تنوع الأجناس واتصال الحركة والنشاط . فعاشت في الجزيرة الأندلسية طوائف من النصارى والمسلمين وأهل الجزيرة والشام وأهل مصر والمغرب ويهود إسبانيا والشرق فكان منهم ذلك المزيج الذي تميز منه المستعربون والمدجنون والمولدون ، وعاشت بفضل هذا التفاعل الحي بين العناصر والعروف جميع الآراء والعادات والكشوف العلمية والمعارف والفنون والصناعات والمخترعات الحديثة والأنظمة القديمة ، وانبثقت من تجاوب هذه القوى مواهب الإبداع والتجديد ، ووصل من الشرق الحرير والقطن والقهوة والورق والليمون والبرتقال والرمان والسكر مع هؤلاء الوافدين ، كما وصلت السجاجيد والمنسوجات والبارود والمعادن المنقوشة ، وأخذنا عنهم الحساب العشري والجبر والكيمياء والطب وعلم الفلك والشعر المقفى ونجا الفلاسفة الإغريقي من الضياع في غمرة النسيان حيث تبعوا العربي في فتوحه وغزواته . فتربع ارسطو في جامعة قرطبة التي ذاعت شهرتها في الآفاق ، وظهرت بين العرب الاندلسيين فكرة الفروسية التي تبناها فيما بعد رجال الشمال كأنها ميزة مقصورة على الأمم المسيحية .

" كانت إسبانيا يومئذ تتبوأ المكانة التي تتبوأها انجلترا في عهدنا الحاضر ، ولو أنها اتبعت سياسة التسامح الديني والتعاون بين الشعوب وواصلت عمل العرب الصناعي والزراعي بدلا من مغامرات الحرب ومطامع الاستعمار لكان لنا اليوم شأن غير شأننا الذي وصلنا إليه " .

" وإن الطابع الإسباني لأبرز في عهد النهضة الأوربية من الطابع الإيطالي الذي اتسمت به إيطاليا بما انبعث فيها من آداب الأمم القديمة وفنون الإغريق ، فإن النهضة لم تقتصر على الميادين الأدبية والفنية ، بل أخرجت إلى العالم حضارة جديدة بتقاليدها وصناعتها وجيوشها وعلومها . وهذا كله من ثمرات إسبانيا العربية " .

إلى أن يقول :

" أسرعت دونا إيزابيلا Isebella (١٤٧٤ - ١٥٠٤ م) بذلك التعصب النسائي الذي امتلأت به فانشأت محاكم التفتيش ، وانطفأ من ثم مصباح العلم في المسجد والبيعة وخلفته في الدير المسيحي ذبالة العبادة ، لأن الساعة ساعة صلاة ، وقد ولت ساعة العلم وانزوت الفكرة الإسبانية في الظلمات حيث ترتعد بردا في عزلتها المضنية وتخبو شيئا فشيئا إلى أن تموت . وإن بقيت منها بقية فهي تلك التي تنصرف إلى الشعر والمسرح والجدل الديني ، مذ كان العلم يفضي بصاحبه إلى نار الحريق . . . " .

هذه الشهادة الإسبانية الصحيحة - شهادة أبانيز Abanise- للدولة العربية في الجزيرة الاندلسية هي خلاصة التاريخ المتفق عليه ، وليست تحية إعجاب وكفى من رجل منصف متوثب الخيال .

ولم يمـــار في هذه الخـــلاصة التـــاريخية أحد من المـــؤرخين المعـــول عليهم سواء كـــانوا من العـــرب أو الأوربيين أو الإسبان ، إلا أفـــرادا قلائل زعـــموا أن الحضارة العربية في الأندلس قامت على أيدي أبنـــائها الأصـــلاء دون الغربـــاء الوافدين عليها ، وهو زعم عجيب يوحي أول ما يوحيه إلى الذهن أن يسأل : ولم لا تزدهر العبقرية الإسبانية إلا في ظـــل الحكومة العربية فلا تؤتى ثمراتها قبل وفود العرب ولا بعد ذهابهم وذهاب آثارهم في العلم والصناعة والعمران ؟

وجواب هذا السؤال ينفي كل زعم يلهج به أمثال أولئك المنكرين المتعصبين ، وبخاصة حين يرسلون زعمهم إرسالا لا يؤيده اسم واحد من أسماء أبناء البلاد الأصلاء الذين ساهموا مع العرب في أعمال الحكم والتعمـــير ، أو كانت مساهمتهم دليـــلا على مشـــاركة عـــامة متسعة النطاق .

وقد جاءت النهضة الأوربية بعد عهد الحضارة الأندلسية العربية ، وجاء الإصلاح الديني بعد النهضة ، وجـــاءت الحرية السياسية بعد الإصـــلاح ، ولم ينكر أحـــد من الأوربيين أثر واحـــدة من هـــذه الحركات في الأخـــرى . فليس في وســـع المنكرين المتعصبين منهم أن يقطعوا الصـــلة بـــين الحـــركة الأولى وما تـــلاها ، مع هذا التـــلازم في الزمـــان والأســـباب .

يعتبر الأمير عبد الرحمن الداخل بحق أول من نثر بذور الحضارة الإسلامية في الأندلس ، فقد عمل منذ قيام دولته في هذه البلاد على تجديد ما زال من حضارة بني أمية في المشرق ، وما انقرض من آثارها ، وكان ولاة الأندلس السابقون عليه قد أدخلوا بعض النظم الأموية في الإدارة في أرض الأندلس ولكن بنسبة محدودة ، مثل تقسيم البلاد إلى كور ، يتولى كل منها عامل يقيم في قاعدتها ، ومثل النظام الحربي للدولة ، فلما استقرت أركان دولة عبد الرحمن الداخل في الأندلس عمل على توثيق النظم الإدارية المعروفة في المشرق الإسلامي في عهد بني أمية ، وتطبيقها تطبيقا عمليا ، وقد تم ذلك على نحو يثير الإعجاب ، وسرعان ما ارتقت الأندلس من مجرد ولاية تابعة للخلافة إلى مصاف الدول الكبرى المستقلة . ونجح الأمير في إنقـــاذ الأندلس من الحرب الأهلية ومن المؤامرات والثورات ، حتى أرغم خصمه اللدود أبا جعفر المنصور (١٣٦ هـ / ١٥٨ هـ) الموافق (٧٥٤ / ٧٧٥ م) على أن يعترف له بأمجـــاده وبطـــولاته ويسميه " صقر قريش " دون غيره من رجالات العرب .

ويرجع الفضل في نجاح سياسة عبد الرحمن الداخل وتوطيد ملكه إلى أعوان له كان يخصهم بالمجالسة وينفرد بهم للإعانة والمشاورة هم : عبيد الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ، ويوسف بن بخت ، وحســـان بن مـــالك ، ومـــولاه بـــدر ومنصور فتاه ، وتمـــام بن علقمة ، وعبد الكريم بن مـــهران ، وعبد الحميد بن مغيث . وكـــانوا بمثـــابة وزراء وحجـــاب له .

واتبع الأمير سياسة واقعية في حكمه ، فلم يعمد إلى تلقيب نفسه بألقاب الخلافة خوفا من تعددها واكتفى بالإمارة وسمى نفسه بابن الخلائف واستمر اعقابه يتلقبون من بعده بهذا اللقب " أبناء الخلائف " حتى سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م عندما تلقب الأمير عبد الرحمن الناصر بن محمد (٣٠٠ هـ / ٣٥٠ هـ) الموافق (٩١٢ / ٩٦٢ م) بلقب الخلافة ، وذلك بعد أن تضخم ملكه واتسع سلطانه ، في الوقت الذي ضعفت فيه الخلافة العباسية كذلك تلقب الأمير في عقد معاهدة الصلح بينه وبين القشتالين بلقب " الأمير الأكرم الملك الأعظم "

وعمل الأمـــير عبد الرحمن الداخل على إحـــاطة نفسه بهالة من فخـــامة الملوك وأبهـــة الخلفاء ، فأمهر حاضرته قرطبـــة التي أخذت تظهر منذ ذلك الحـــين بمظهر العاصمة ، بروائع المنشآت والمباني .

ولقد طعـــم عبد الرحمن حضـــارة الأندلس بالطابع الســـوري ، وإليه يرجع الفضل في غرس بـــذور نهضة عـــلمية زاهرة بقـــرطبة ، وستنمو هذه النهضة على مـــر الأيام ، حتى تصبح قرطبة في عهد أحد أحفاده عاصمة الدنيا ومركز العلم والحضارة وهو لذلك يعتبر أعظم أمـــراء بني أمـــية في الأندلس ، ولـــولا أن الخليفة عبد الرحمن النـــاصر " الخليفة الثامن بعده " سيقوم بدور مشـــابه لدوره ، لقلنا إنه أعظـــم من تولى الأندلس من بعده .

ورغم المشاكل والفتن التي حبكت وحيكت ضده من ثوار وغيرهم طامعين فيه وفي الأندلس . . وكذا القلاقل . . رغم كل هذا انتصر عليهم جميعا .

وكانت آخر حلقة من سلسلة هذه المؤامرات ، مؤامرة دبرها ابن أخت الأمير عبد الرحمن الداخل ، واسمه المغيرة بن الوليد بن معاوية [١٦٤] سنة ١٦٨ هـ ، وساعده فيها هذيل بن الصميل بن حاتم ، وكشف عبد الرحمن المؤامرة ، وقبض على المغيرة وهذيل واستنطقهما فاعترفا ، فأمر بقتلهما .

ثم كانت مؤامرة محمد بن يوسف الفهري المعروف بأبي الاسود ، وإعلانه الثورة على الأمـــير عبد الرحمن بمدينة قسطلونة **Cazlond** بشـــرق الأندلس ، وهزمـــه عبد الرحمن في مخاضه الفتح في مستهل ربيع الأول سنة ١٦٩ هـ ، ففر إلى قورية [١٦٥] ، فطارده الأمير عبد الرحمن ، وأرغمه على الفرار إلى المفاز ، بأقصى شمال إسبانيا . وكان ذلك آخر ما قام به الأمير عبد الرحمن الداخل من حروب ، إذ مات في جمادي الأول سنة ١٧٢ هـ (أكتوبر ٧٨٨ م) ، ودفن بالروضة من قصر الإمارة الذي أصبح منذ ذلك الحين بمثلة سان دنيس **San Dinny Dins** وقصر اللوفر **El-Louver Pallas**.

✸✸✸ وقد عاصر من الخلفاء العباسيين :

١ . أبو العباس السفاح ، ٢. أبو جعفر المنصور،

٣. المهدي ، ٤. الهادي ، ٥. هارون الرشيد.

وقد شهد له الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور بقوة الحيلة وشدة البأس وطول المراس ، فذكروا أنه قال يوما لبعض جلسائه " أخبروني من صقر قريش من الملوك ؟ قالوا : ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك ، وسكن الزلازل ، وأباد الأعداء وحسم الأدواء . قال : ما قلتم شيئا . قالوا : فمعاوية . قال : لا . قالوا : فعبد الملك بن مروان . قال : ما قلتم شيئا . قالوا : يا أمير المؤمنين فمن هو ؟ قال : صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلدا أعجميا منفردا بنفسه ،

---

١٦٤ - ابن عذارى ج ٢ ص ٨٥ .

١٦٥ - أخبار مجموعة ص ١١٦ – ابن عذارى ج ٢ ص ٨٥ .

فمصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، وأقام ملكا عظيما بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته . إن معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذللا لة صعبه ، وعبد الملك ببيعة أبرم عقدها ، وأمير المؤمنين يطلب عترته واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفرد بنفسه . مؤيد برأيه . مستصحب لعزمه ، وطد الخلافة بالأندلس ، وافتتح الثغور ، وقتل المارقين . وأذل الجبابرة الثائرين . فقال الجميع صدقت والله يا أمير المؤمنين " .

وللقــارئ المســلم الــرأي والتعلــيق والحــسرة علـى ضيــاع بــلاد الإســلام والحــسرة على احتــلال فلسـطين " اقــرأ للمــؤلف كــلمة حــق .. دار الحــرم للــتراث / القــاهرة / خلف جــامع الأزهـــر الشـــريف " .

✸ اعترف الجميع بتمييز فرع هاشم بن عبد مناف بن قصي على بقية بطون قريش في الفكر والقيم والشجاعة ، وكانت قبائل العرب والملوك يحترمونهم احتراما خاصا ، فحسدهم زعماء قريش وتحالفوا ضدهم من زمن هاشم وعبد المطلب .

✸ كان الإحساس بالغيرة والحسد المميت يلهب حفيظة أشراف مكة المكرمة الذي كان على رأسهم الأمويون ، فحملتهم الكبرياء والصلف للنظر بعين الغضب إلى جماعة المسلمين الذين أصبحوا يؤلفون وحدهم – منذ الساعة الأولى – مجلس الخليفة الاستشاري ، ومن الحق أن نقول : إن الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، كان يميل لأن يسـاهم الأمويـون بنصيب في الحكم لولا تشـدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في معارضة هذا الرأي الذي نفذ ، وسنرى فيما بعد كيف أن هذه الارستقراطية قد حاولت في البدء الاستيلاء على السلطة دون الالتجاء إلى البطش ، وكان من المتوقع – إذا ما فشلت في هذه المحاولة – أن يتيسر لها وجود حلفاء كارهين للمهاجرين وأهل المدينة المنورة ، وهؤلاء الحلفاء هم زعماء القبائل البدوية.

✸ وفــي النتيــجة النهائية : تنحصر قريش في بني هاشــم وبني أميــة ، فهم الذين واصــلوا التأثــير في الأحــداث وصنــاعة التــاريخ ، وبقية قريش تبــع لهم ... وقد أخـبر النبي صلى الله عليه وســلم أن مستقبل الأمــة الصــراع بين بني أميــة وهــاشم كما أن مستقبل العــالم الصــراع بين بني إسمــاعيل عليــه الســلام واليهـود بني إسحاق عليه الســلام .

✸ رأي وتعليق للمؤلف ... وللقارئ الرأي والتعليق ......

الأسمــاء الســابقة بعض مــن أحــفاد الأمــوي عبــد الرحــمن النــاصر " الخليفة الثــامن للدولــة الأمــوية الثانيــة بالأندلس " لعبــوا أدوار في الحكم هزيلة وتنــازعوا واختلفـوا وتعصبــوا وتحلفــوا مع بعض خصــوم الإسلام " النصارى " وغيرهم ضد البعض في سبيل الحصول على مقاليد الحكم ... ولعبــوا أدوار ثــانوية في مقــاليد الحكم ... لكنها للأسف الشديد انتهت بفناء دولة بني أمية الثانية (انظر الصفحة).

تـــأمل الأســـماء أيها القارئ العزيز .. ولك الرأي والتعليق في آخر الأسماء " أمية " وهـو اسـم جـدهم الأكـبر التي سميت دولتهم على اسـمه .. وأمـية هــذا اختلف مع هـــاشم الجد الثاني لرســول الإنسـانية سـيدنا محـــمد صلى الله عليه وسلم ، وجــده الأول عــبد المطــلب .. ولا نــريد أن نقلب صفحــات التــاريخ فـــي ذلك ، ومــا فعــلوه مــع أهــل البـيت الكــرام " صلى الله عليــهم وســلم " ، ابتــداءا مـع أمـــير المــؤمنين علي بـــن أبي طـــالب كـــرم الله وجـــهه وأبنـــاءه أمـــير المؤمنين الحـــسن الإمام بـــن علي بـــن أبي طـــالب - خـــامس الخلـــفاء الراشـــدين رضي الله عنه، وأخـــيه الإمـام الشـهيد أبو الشهداء الحســـين بن علي رضي الله عنه - اقرأ للمؤلف الإمــامان الحسن والحســين رضي الله عنهما الناشــر / المكتبة المحمودية / القاهرة / بجوار جامع الأزهر الشريف.

✸ أرجـــو ألا يفهـــم القـــارئ الكـــريم من ذلك بإن كـــاتب السطـــور يتحزب لفـــئة معيـــنة أو جماعة ، أو إلى ما شـــابه ذلك من فـــرق كلامـــية أو مـــذاهب .... بل أنني مســـلم خـــالص الإيـــمان .

✸ ولا ننسى - موقعـــة كربـــلاء - التي موقعـــها في كتـــاب التـــاريخ الصحيح ، هـــذه المعـــركة عـــلى مـــا شـــهدته مـــن عظـــمة البطـــولة وشـــرف التضـــحية ، وتقـــدم للضمـــير الإنســـاني أعظـــم دروس الـــولاء للحـــق . حـــيث وقـــف " الإمـــام الحســـين " يجـــود بروحـــه الطـــاهرة وبحيـــاته الكـــريمة ومعه إثنـــان وسبعـــون من أهـــل بيته وصحـــبه ، يتقدمـــون للمـــوت في بطـــولة خـــارقة ... واحـــدا بعد واحـــد ... وهتـــافهم يومـــئذ : الله ... والجـــنة .

✸ واستشـــهد الإمـــام الحســـين رضي الله عنه في معـــركة كـــربـــلاء يـــوم الجمـــعة في ١٠ / محرم / ٦١ هـ الموافق ١٠ / أكتوبر / ٦٨٠ م .

✸ وكان عمـــر الإمـــام الحســـين رضي الله عنه يـــوم استشـــهاده ، كان ابن ثمـــان وخمسين سنة رضي الله عنه.

✸ وكان مـــولده بالمدينة المنـــورة في الثالث من شعبان ســـنة أربع للهجرة ، وله من الولد : علي الأكبر ، علي الأصغر " الإمـــام علي زين العابدين وله العقب ، جعفر ، عبد الله ، سكينة ، فاطمة ، رقية.

✸ أمـــا الإمـــام الحســـين بـــن علي - رضي الله عنـــهما - ، فتـــاريخه صفحـــة مشـــرفة مـــن صفحـــات التمـــسك بالحـــق والتضحـــية من أجـــله بالنفـــس والأهـــل ، فهـــو لـــم يبـــايع يـــزيد بـــن معاوية بن أبـــي سفـــيان حتى يقـــال إنـــه ارتكـــب الخيـــانة العظـــمى ، ولـــم يستـــمع إلـــى النصحـــاء أمـثـــال عـــبد الله بـــن العبـــاس - رضي الله عنهما - وغيره ، وما كان الحسين الذي يدعو بالتفرقة بين المسلمـين ، بل إنه كـــان يهدف إلى لمّ الشمل ورأب الصـــدع ، أضف إلى هذا أن معـــاوية بن أبي سفـــيان قد غـــير الشـــروط التي تعـــهد بـــها حـــين تنـــازل طوعية أمـــير المؤمنـــين الإمـــام الحســـن بن علي - رضي الله عنهما - (خامس الخلفـــاء الراشدين - ستة أشهر خليفة للمسلمين) له بأن تترك أمور المسلمين شورى بعده ، ومن ثم يرى البعض أن ولاية يزيد كانت على غـــير هذه الشورى .

✸ كان والي المدينة المنورة في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان " الخليفة الأموي الثاني " ابن عمه عثمان بن محمد بن أبي سفيان ".

✸ وكان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ، وتضرب عنده القيان ، ويلعب بالكلاب ، ويسامر الحراب والفتيان ، وإن ليسكر حتى يدع الصلاة راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٩.

✸ وهلك يزيد بن معـــاوية بن أبي سفيان بعد أن ظـــل في الحكم أكثر من ثلاث سنـــوات إذ مـــات في ١٤/ ربيع الثاني ٦٤ هـ الموافق ٣٠/ أكتوبر / ٦٨٣ م بعد شهرين ونصف من وقعـــة الحـرة غير متجاوز الثامنة والثلاثين من عمره.

✸ كان معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان " الخليفة الأموي الثالث " وكان قد تولى الحكم بعد أبيه .. لكنه تنازل عن الحكم بإرادته من على المنبر وتبرأ من جده " معاوية " وأبيه " يزيد " وبإنهم أخذوا الحكم والسلطة عنوة من الإمام علي بن أبي طالب وابنه الحسن رضي الله عنهما .. واعتزل الناس .. ولكنه مات فجاءة ... وقيل أن الأمويون أهله قد دســـوا له الســـم .. وكـــلام كثير في ذلك .. وكان معاوية " الثاني " يرى الحق في جانب أهل المدينة المنورة ، وكان يستخرط في البكاء كلما سمع خبر انتصار الحرة " كانت واقعة الحرة سنة ٦٣ هـ الموافق ٦٨٣ م " ، وتخريب المدينة المنورة ومقتل صحابة الرسول القدامى - ريحانة الألباب ص ٢٠٢ .

✸ مات معاوية الثاني في ذي القعدة / ٦٤ هـ الموافق يونيو / ٦٨٤ م .

✸ وصلى الوليد حفيد أبي سفيان بن حرب والي المدينة المنورة الجنازة على جثمان معاوية " الثاني " ومات مبغتوتا وهو واقف يصلي عليه.

✸ فالقـــول العـــام إن الإسلام يدعو إلى الوحـــدة في شتى مظـــاهرها وصـــورها والتفســـير الطبيعي للتـــاريخ أن الأحـــداث تفرض مســـالك متنوعة وطـــرقا متعددة ، وما كان لتاريخ ما - كائنا هذا التاريخ - أن يســـير في مـــراحل حيـــاته كلها على وتـيرة واحدة .

✸ كان ســـادس الخـــلفاء الراشـــدين ، أمـــير المؤمنـــين عمـــر بن عبـــد العـــزيز " الخليفة الثامن " هو الفرد الأوحد في تاريخ الأمويين الذي لم ينتسب لجماعة ما بل كان حاكما محترما دينا ، تفزعه صيحات الاضطراب والكراهية ، وقد حمد الله أن لم يكن موجودا وقت أن كان فضلاء الإسلام - أمثال علي وعائشة ومعاوية وغيرهم - يتقاتلون فيما بينهم ، وكان لا يجب أن يلقى السمع إلى أخبار صراعهم المؤلم.

✸ وأكرر مرة ومرة أخـــرى ومرات كثيرة وإلى ما لا نهاية بإن كاتب هذه الصفحات مسلم يقينا وصدقا ، موحـــدا لله سبحانه وتعالى ، ومؤمنا برســـوله الكريم الحبيب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ... بل هو تاريخ يكتب ، كما كانت الأحداث ... ومرة أخرى للقارئ الرأي والتعليق .

✸ خــــواطــر .. للمــؤلــف ... كــاتب هـــذه الســطــور العبيـــد لله ... أحــمــد عــزوز أحمد محــمد مصــطفى محــمد الفــرخ ... الأنصــاري الخـــزرجي .. ســـليل قبــائل عـــرب الأنصــار بالمدينة المنـــورة على سكـــانها أفضـــل وأجــل السلام والتحية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. بعد كتابه فصل عوامل سقوط الخلافة بالأندلس .. أنه هاجس حزين مــؤلم موجـــع ... وهو سقـــوط الخـــلافة الإســـلامية في العصـر الحــديث في يوم ٢٢ / رجب / ١٣٤٢ هـ الموافق ٣ / مارس / ١٩٢٢ م على يد مصطفى كمال أتاتورك [١٦٦] وإلغائه الخـــلافة الإســـلامية ... في هذه السنـــوات الحالكة في حيـــاة تركيا ، ألغيت الخـــلافة ، وألغيت قوانين الشريعة ، واستبدلت بالقوانين الأجنبية ، وألغيت الحروف العربية واستخدمت بدلا منها الحروف اللاتينية ، حتى يفصل النظـــام بين النـــاس ومنـــابع شريعتهم في لغتهم العربية ، وتحول الأذان من اللغـــة العـــربية إلى اللغـــة التركية ، وأصبــح محرما على النـــاس ارتداء مـــلابس الشيـــوخ ، وتم قهر النـــاس على لبس المـــلابس الإفـــرنجية بالقبعة .. وأعلنت علمانية الدولـــة ... وبدأ اضطـــهاد المشـــايخ ورجـــال الدين ، وأصـــبح الهمس بالرغبة في تطبيق الشريعة الإســـلامية جريمة كبرى تتصل بأمـــن الـــدولة العليا ولها عقوبتها وهي الشـــنق .

وفي هـــذا الجــو المسمــوم تم حذف دروس الدين من المـــدارس ، كما حذفت كلمات الخـــالق .. والـــرب و الله عز وجل من كلمات المدارس ، ووضعت بدلا منها كلمات الطبيعة والتطـــور والوطنية والقومية .. كان الهــدف من محـــو فكرة الخـــالق من الأذهـــان ، وأصبحت النظـــرة إلى المتدينين تعتبرهم جماعة من الآفاقين الذين يعتقدون في وجود شئ ما وراء الطبيعة .

في ســـنة ١٩٣٢ ميــلادية من القـــرن المـــاضي نشـــرت في استانبـــول بتركـــيا دائـــرة معـــارف الحيـــاة ، فمـــاذا كتبت دائـــرة المعـــارف هـــذه - أو بمعنى أصـــح " دائـــرة الجـــهالات " - تحـــت كلمة لفظ الجـــلالة " الله " ؟ " الجـــهالات " - تحت كلمة لفظ الجـــلالة " الله " ؟

✸ كتبت دائرة المعـــارف التركـــية في عهد العلـــمانية تقـــول : " إن الفكـــرة التي تريد الأديـــان الموجودة حـــاليا أن تبثها هي أن الله واحد ، وأنـــه هـــو الذي خلق الكون ، ولكن التقدم العلمي بدأ يوضح لـــنا شيئا فشيئا أن هذه الفكرة باطلة ، وأنه لا وجـــود لشئ اســـمه " الله " وقد انتشرت فكـــرة عدم الاعتـــقاد بالله بين أوساط المثقفين ... هذا ما كتبته دائرة المعارف التركية ...

---

١٦٦ توفى أتاتورك عام ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م بعد أن حقق علمانية تركيا رغم أنف المسلمين ، لقد أصيب مصطفى كمال بمرض قبل وفاته بسنين بمرض عضال في الكلية لم يعرف كنهه ، وكان يتعرض لآلام مبرحة مزمنة لا تطاق ، كان السبب في إدمانه شرب الخمر مما أدى إلى إصابته بتليف الكبد والتهاب في أعصابه الطرفية وتعرضه لحالات من الكآبة والانطواء ، وقد تدهور في المستويات العليا للمخ ، لذلك كان هذا الديكتاتور مثلاً فريداً في القسوة والتنكيل والأنانية المدمرة .

لقد كانت حكـــومة تركـــيا العلمـــانية الكمـــالية - هي كـــما وصفـــها الأمـــير شكيب أرســـلان (١٢٨٥ - ١٣٤٦ هـ الموافق ١٨٦٩ - ١٩٤٠ م) - ليست حكـــومة دينية من طـــراز فرنســـا وانجـــلترا فحسب ، بل هي دولـــة مضـــادة للدين كالحكومة البلشفية في روسيـــا ســـواء بســـواء ، إذ أنه حتى الـــدول اللادينية في الغـــرب بثـــوراتها المعـــروفة لم تتدخل في حـــروب الأنـــاجيل وزي رجـــال الدين وطقوسهم الخاصة وتلغ الكنائس .

في هذا الجو الكئيب كان الإسلام يتعرض لحرب لعينة تشنها الحكومة بكل أجهزتها .. وفي هذه السنوات الحالكة السوداء ... أشعلت حركة النور بزعامة الشيخ سعيد النورسي وتـــلاميذه (١٢٩٣ - ١٣٧٩ هـ الموافق ١٨٧٦ - ١٩٦٠ م) شمعـــة لتبديد الظـــلام ، وقـــال في تقديم نفســـه " أنني لست شيـــخ طريقـــة ، فالوقت الآن ليس وقت طرق صوفية ، بل وقت إنقاذ الإيمان " .

فسجنه ثم نفاه بعد أن اتهمه بمـــؤامرة لقلب نظـــام الحكم ، ولكن دعوته استمرت في الانتشار سرا ، ومثـــل للمحاكمة مرة أخرى بتهمة أتاتورك بالدجال ، فأعيد إلى منفاه وبقى حتى عام ١٣٦٧ هـ .

✸ وفي يـــوم ٢٢ / رجب / ١٣٤٢ هـ الموافق ٣ / مـــارس / ١٩٢٢ م حدث زلـــزال إســـقاط الخـــلافة الإســـلامية بتركيا كـــما أسقـــطت من قبل بغرنـــاطة الأندلسية في (ربـــيع الأول ٩٨٧ هـ - ينـــاير ١٤٩٢ م) ..... ترواحت المواقف واختلفت ردود الأفعال إزاء هذا الزلزال ... فالأمة بجماهيرها العريضة - قد بكت بسقوط هذا البنـــاء الذي شـــاده صحـــابة رســـول الله صلى الله عليه وسلم - والـــذي حقق مقـــاصد الإســـلام في وحـــدة الأمـــة .. والـــدار .. وســـيادة الشريعة ووحـــدة القـــانون .

وعن موقف الأمـــة هـــذا ، عبر أمير الشعراء أحمد شوقي (١٢٨٥ - ١٣٥٧ هـ الموافق ١٨٦٨ - ١٩٣٢ م) عندما قال عن الخلافة وإلغائها وفتنة ذلك الإلغاء في عالم الإسلام :

عـــادت أغاني العرس رَجْعَ نواح	ونُعيت بين معـــالم الأفـــراح
كُفِنت في ليـــل الزفـــاف بثوبه	ودُفنت عند تَبَـــلُج الإصبـــاح
ضَجـــَتْ عليك مـــآذن ومنـــابر	وبكـــت عليك ممـــالكُ ونـــواح
الهـــندُ والـــهة ، ومصـــر حـــزينة	تبكي عليـــك بمـــدمع سحـــاح
والشـــام تســـأل ، والعراق وفارس	أمحـــا من الأرض الخـــلافة مـــاحِ
يـــا للرجـــال لحـــرةٍ مـــوءودة	قُتـــلتْ بغـــير جـــريرة وَجُنـــاح

ثم انـــبرى أمـــير الشـــعراء لـــوجه التقريع والنقد الشديد إلى أتاتورك الذي يريد بجرة قلم وبالحديد والنار أن ينقل الأتراك رغم أنوفهم من آسيا إلى أوربا ، ومن جذورهم العميقة في الشرق إلى الانتظار على أبواب الغرب

بكـت الصــلاة وتلك فتنـةُ عـابث   بالشـرع عـربيـد القضــاء وَقــاح

أفـتى خُــزعَبـلة وقــال ضــلالة   وأتــى بكــفر فــي البـــلاد بُــواحِ

إن الــذين جـرى عليـهم فْقُـههُ   خُـلقــوا لِفِـقِــه كتيــبة وسِــلاحِ

نَقْـل الشــرائعَ والعقـائد والقُـرى   والنـــاسَ نَقْــل كتـائب في الســاح

تركـــته كالشـــبح المـــؤلة أمـــه   لــم تَسْــلُ بَعْـدُ عـبـادة الأشباحِ

غـــرته طـاعات الجمـوع ودولـة   وَجَـد الســواد لهـا هـوى المرتــاح

ولم يترك أحمد شوقي أن يبين سبب ظهور هؤلاء المتسلطين إلى جهل الشعوب واستسلامها للطغاة المستبدين فقال :

مجـــدُ الأمــور زوالـــه في زَلــةٍ   لا تــرْج لاســمك بالأمـور خلــوداً

خلعــته دون المسلمــين عصـابةً   لــم يجعــلوا للمسلمـين وجــوداً

يقضــون ذلك عـن سـواد غـافل   خُـلق الســواد مضَــللاً ومسـوداً

إلى نظـرت إلى الشعوب فلم أجد   كالجهــل داءً للشعــوبُ مُبْيــداً

وإذا سبـى الفـردُ المسـلط مجلساً   ألفـيت أحــرار الرجـــال عبيــداً

وتتوالى أبيات شعر أمير الشعراء باكيا حزينا :

مـن قـــائلُ للمسلمـــين مقـــــالةً   لم يوجـها غَــير النصيـــحة واح ؟

عهـــد الخـــلافة فـيَّ أولُ زائـد   عـن حوضـــها ببراعــة نضَّـــاح

حـب لذات اللـه كـان ، ولـم ينـــزل   وهــو لـذات الحـــقِ والإصـــلاح

فلتسـمعــن بكـــل أرض داعيـــا   يدعــو إلى (الكـذاب) أو لسجــاح

ولتشـــهـدن بكـــل أرض فتـــنةً   فيــها يُبـاعُ الـدينُ بيـعُ سمـــاح

بْفتـىَ على ذهــب المعــزَّ وسيفــه   وَهوى النفوس ، وحقدها الملحاح

أمـا المفتـــون بالنمـــوذج الحضـــاري الغـــربي ،الكـــارهون للنـظام الإســـلامي والحـكم .. والذين تنـبأ أمـير الشـعراء بهجمتـــهم على الخـــلافة الإســلامية ، لتشويـهها عنـــدمـا قـــال :

فلتسمعـن بكـــل أرض داعيا يدعـو إلى (الكذاب) أو لسجاح

فلـقد تجـاوزا مـوقف الفـــرح ، فـي مـــأتم الأمــــة الإســـلامية إلـى حيـث أرادوا إهــــالة الـــتراب على تــــاريخ هـــذه الخـــلافة ، والتشـــويه لصـــورتها ، والافـــتراء على طبيعتــها .. وذلك حتى يصـــدوا الأمـــة الإســـلامية عن أي أمـل في إعـــادة إحيــائها ، وتجديدهـــا ، فكتب الشيخ علي عبد الرازق (١٣٠٥ – ١٣٦٨ هـ المـــوافق ١٨٨٧ – ١٩٦٦ م) عـــن الخـليفة والخـــلافة الإســـلامـيـــة مصــــوراً إيـــاها نظـاما للقهـر والاستبـداد – حتى في عهدهـــا الراشـــد ! – زاعـــما أنـها ســـلطة دينية – كالدولـــة الكنسـية الأوربيـــة – فقـــال " إن الخـــليفة ولايتـه عـــامة مطلقة .. وهـــو من يقـــوم في منصبـــه مقـــام رســـول الله – صلى الله عليه وسلم - وينـــزل مـــن أمته منـــزلة الرســـول من المـــؤمنـــين .. فـــولايته كولايـــة الله عز وجل وولايـــة رســـوله .. بل لقد رفعـــه المسلمـــون فـــوق صفـــوف البشـــر ، ووضعـــوه غـــير بعيد من مقـــام العـــزة الإلهيـــة " .. ولـــم ترتكز الخـــلافة على مـــر تاريخـــها .. وحتى في عهـــدها الراشـــد ! إلا على أســـاس القـــوة الرهيبـــة !! .

✸ ولقد شـــاء الله – سبحانه وتعالى - أن يـــأتي الأنصـــاف للخـــلافة الإســـلامية ، مـــن خـــارج دائـــرة الإســـلام ، ومن خـــارج دائـــرة علـــماء الإســـلام . فصـدر العـــديد مـــن المـــؤلفات ، الـــتي كتبـــها عـــدد من المستشرقـــين ، حـــمل أغلبـــها الإنصـــاف والموضـــوعية في الحـــديث عن طبيـــعة الخلافة وعن تـاريخها .. لقد كتب " ســير توماس أرنـــولد Sir Tomas Orland " (١٨٦٤ – ١٩٣٠ م) كتـابـه عن " الخـلافة " ســـنة ١٩٢٤ م ، وكتب " سانتيلاند Santi Land "(١٨٥٥ – ١٩٣١ م) عـــن " الخـــلافة والســـلطان فـــي الشـــرع الإســـلامي " ســـنة ١٩٢٤ م ، وكـــتب " جـب Gebb " (١٨٩٥ – ١٩٦٧ م) عـــن (نظـرية المـــاوردي في الخـــلافة) ســـنة ١٩٣٧ م ، وعن (الخـلافة في الإسلام) سنة ١٩٣٩ م ، وعـــن (الخـلافة عند السنة) سـنة ١٩٤٧ م ، وعـــن (تطـــور الحكـــومة فـــي صـــدر الإســـلام) ســـنة ١٩٥٠ م ، وعـــن (الحكـومة والإســـلام في صدر العصر الجـاهلي الأول) ســـنة ١٩٦٢ م ، .. كما كتب " مرجليـوث Mrgliuth " (١٨٥٨ – ١٩٤٠ م) عـــن (الاعتبـــارات التاريخيـــة في الخـــلافـة) ســـنة ١٩٢١ م ، وعـــن (معـــنى كلـــمة الخليـــفة) ســـنة ١٩٢٤ م .

وفي كثـــير من هـــذه الكتابات ، ميز علـــماء الاستشراق – وأغلبهم خبراء في الفكر الإسلامي والحضـــارة الإســـلامية – بين الطبيعة المـدنية للخدمة الإسلامية وبين الطبيعة " الدينية – الجبرية – الكهنوتية " للدول الكنسية التي عرفتها أوربا في عصـــورها الوســـطى .. وأكدوا على أن إسلامية القـــانون في الخـــلافة الإســـلامية لا تعني أن دولـــة هذه الخـــلافة كانت دولـــة دينية بالمعنى الكنيسي الغربي .

وكنمـــوذج على هـــذا الفـكر المـــوضوعي ، والمنصف للخـلافة الإســـلامية .. كتب المستـشرق " دافيـد دي ســـانتيلانا David de Santelana " (١٨٥٥ – ١٩٣١ م) يـقـــول : " إن خـــلفاء الرســـول مـــا هـــم بـــوارثي رســـالته الروحـــية .. لقد أبي " أبو بكر الصديق " (٥١ ق . هـ- ١٣ هـ الموافق ٥٧٣ – ٦٣٤ م)

قبول لقب (خليفة الله) واكتـــفى بلـــقب (خلـيـــفة رســـول الله) ثـــم درج لـقــــب " أمـــير المؤمنـــين " مـــنذ زمـــن عمر بن الخطـــاب (٤٠ ق . هـ - ٢٣ هـ الموافق ٥٨٤ - ٦٤٤ م) فحـــدد بكــل وضـــوح صفـــته ممـــثل الســـلطة العلـــيا ، الـــذي هـــو في الحقيـــقة ليس عـــاهلا " ملـــكا " بل " أمـــير " .. أمل وظيفته الدينية - وهي أصل جميع وظائفه الأخرى - فليس فيها ما يضفي على الخليفة صـــفة القـــداسة أو ما يسميه بميسم الكهنوت .. أن ســـلطة الخليفة ، كرئيس ديني ، لا يمكن أن تعتبر ســـلطة جبرية أو بـــابوية ، فهو متجـــرد تمـــاما من صـــفة الكهنـــوت ، لأن حكـــومة المسلمـــين ما كانت في أي زمن أو ظروف حكومة دينية ، ولم يوجد فيها تعاقب رسلي " .

وفي الختـــــام ... وليس بـــــين المسلمـــــين ختـــــام ... بل إيمـــــان واستبشار.

أقولها كاتب هذا البحث والخواطر ... العبد لله - سبحانه وتعالى - والمحب لرسوله وحبيبي - ﷺ - ومحب لأمـــهات المسلمين - رضي الله عنهن جميـــعا - ولا سيـــما الحبيـــبة الأولـــى ست الكل .. عـــود الفـــل .. الفضـــلى .. سيـــدة نســـاء العـــالمين في الدنيا والآخرة وأمي وحبيبـــتي .. الســـيدة / خـــديجة بنت خـــويلد رضي الله عنها ....

وأختم كلامي بهذه العبارة ......

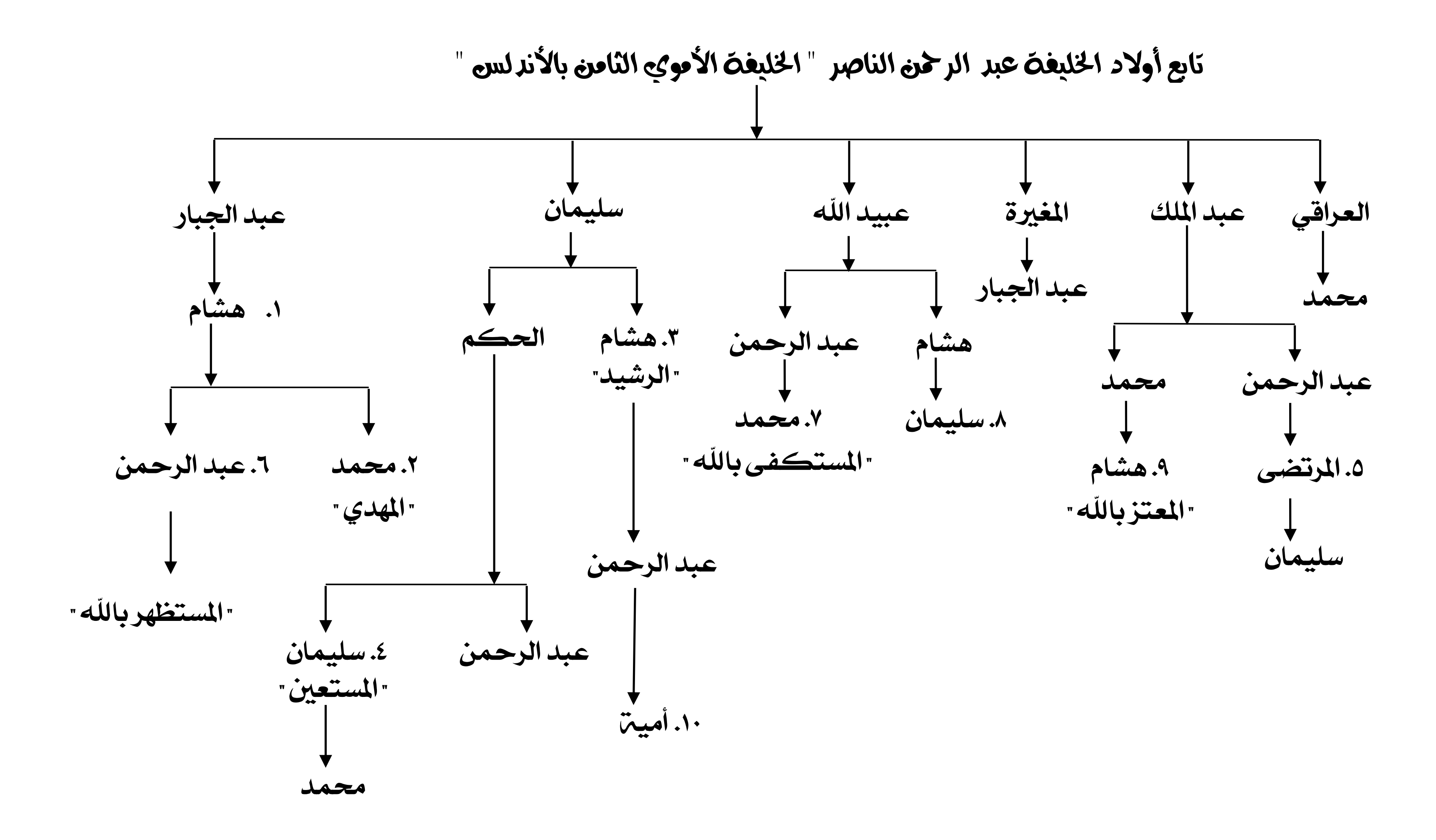
أن هــــذه الخـــواطر مجتمـــعة مـــن أول صفـــحة حتى آخـــر صفـــحة حتى هـــذه الكلـــمات

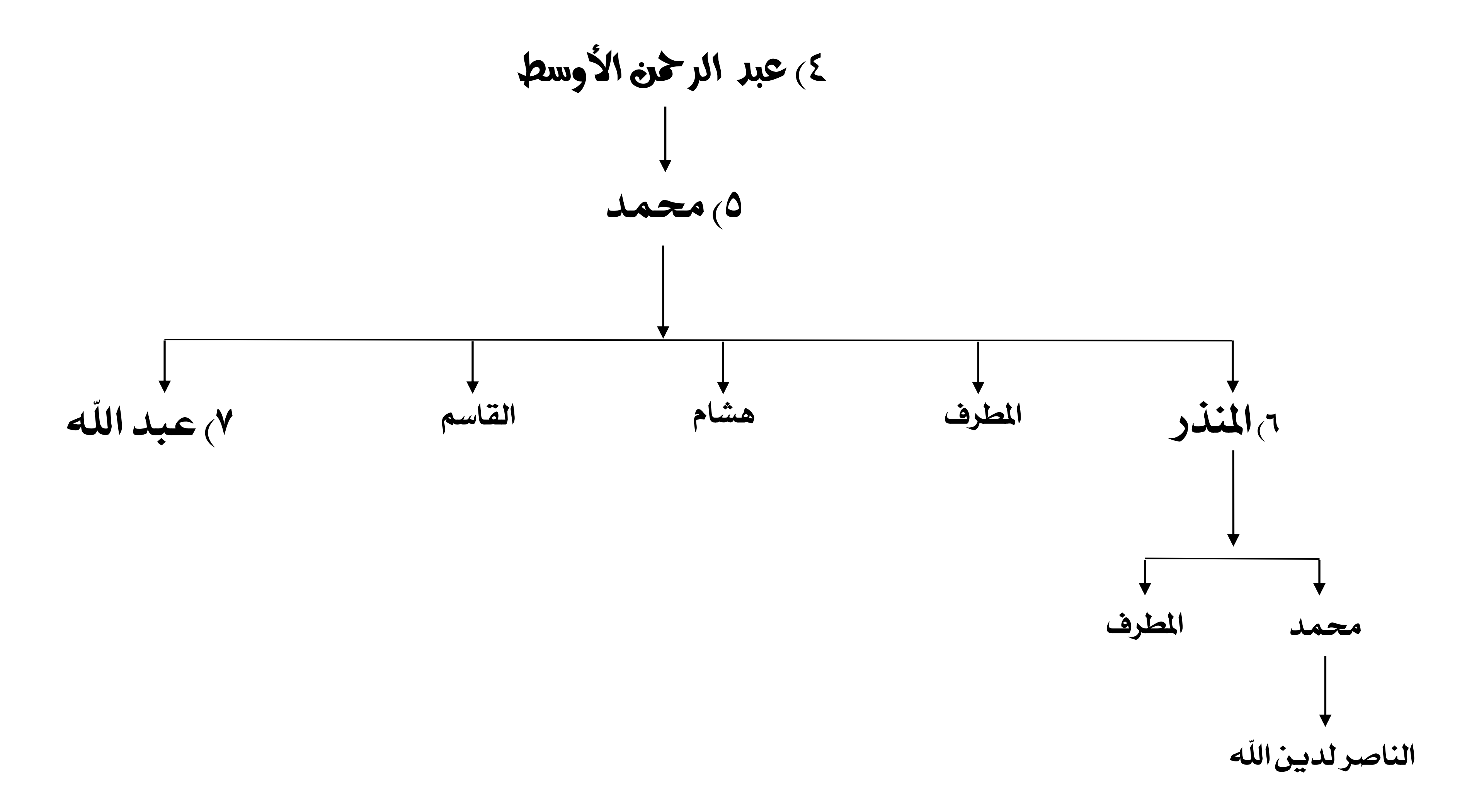
واإســـــلامـــاه

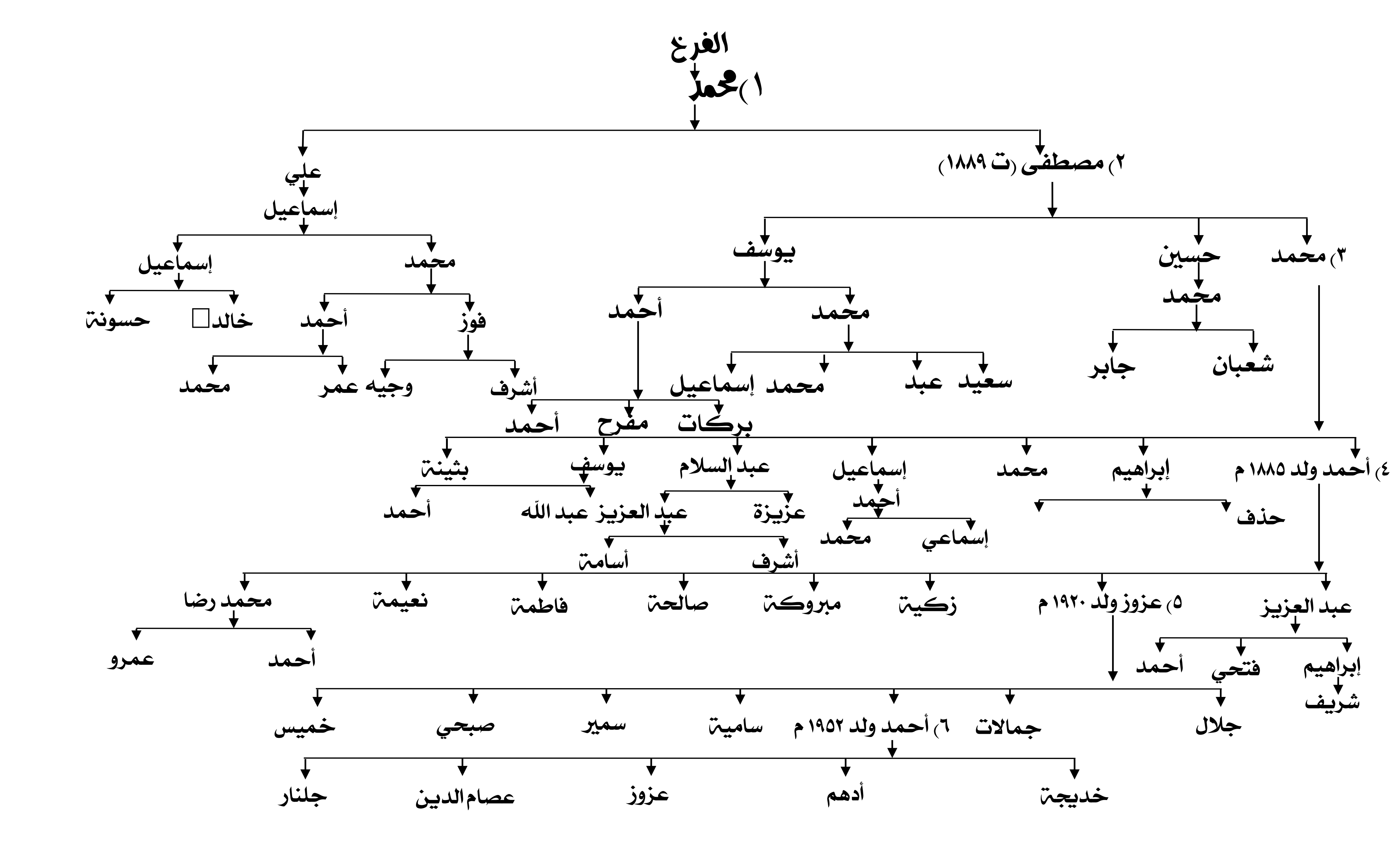
وأختم كلامي بهذه العبارة التي قالها الشيخ الجليل الفاضل محيي الدين بن عربي (المولود في مرسيه بالأندلس سنة ٥٦٠ هـ / وتوفي في دمشق سنة ٦٣٨ هـ) وهو يحدثنا عن خاله .. كان خالي أبو مسلم الخولاني ، يقوم الليل ، فإذا أدركه الإعياء ضرب رجليه قائلا : أنما أحق بالضرب من دابتي ، أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يفوزوا به دوننا ، والله لأزاحمنهم عليه ، حتى يعلموا أنهم خلفوا من بعدهم رجالا ...

أن هذه الخواطر مجتمعة من أول صفحة حتى آخر صفحة حتى هذه الكلمات نقول بعدها كلمة شهـــــيرة ...


خلفاء الدولة الأموية الثانية بالأندلس
١. عبد الرحمن الداخل " صقر قريش "
سليمان
٢. هشام
المظفر
عبد الله " البلنسي "
المظفر
يزيد
الوليد
عبيد الله
عبد الملك
عبد الملك
٣. الحكم
معاوية
هشام
٤. عبد الرحمن " الأوسط "
المغيرة
سعيد الخير
أمية
٥. محمد
الحكم
مطرف
٦. المنذر
٧. عبد الله
محمد
المطرف
محمد
المطرف
أبان
الناصر لدين الله
٨. عبد الرحمن الناصر
٩. الحكم المستنصر
عبد العزيز
الأصبغ
عبد الرحمن
١٠. هشام المؤيد


تابع أولاد الخليفة عبد الرحمن الناصر " الخليفة الأموي الثامن بالأندلس "
العراقي
محمد
عبد الملك
عبد الرحمن
٥. المرتضى
سليمان
محمد
٩. هشام
"المعتز بالله"
المغيرة
عبد الجبار
عبيد الله
هشام
٨. سليمان
عبد الرحمن
٧. محمد
"المستكفى بالله"
سليمان
٣. هشام
"الرشيد"
عبد الرحمن
١٠. أمية
الحكم
عبد الرحمن
٤. سليمان
"المستعين"
محمد
عبد الجبار
١. هشام
٢. محمد
"المهدي"
٦. عبد الرحمن
"المستظهر بالله"


٤) عبد الرحمن الأوسط
٥) محمد
٦) المنذر
المطرف
هشام
القاسم
٧) عبد اللّه
محمد
المطرف
الناصر لدين اللّه


الفرع
١) محمد
٢) مصطفى (ت ١٨٨٩)
علي
إسماعيل
إسماعيل
محمد
حسونة
خالد
أحمد
فوز
محمد
وجيه عمر
أشرف
يوسف
حسين
٣) محمد
أحمد
محمد
محمد
إسماعيل
محمد
عبد
سعيد
جابر
شعبان
أحمد
مفرح
بركات
بثينة
يوسف
عبد السلام
إسماعيل
محمد
إبراهيم
٤) أحمد ولد ١٨٨٥ م
أحمد
عبد العزيز عبد الله
عبد العزيز
عزيزة
أحمد
محمد
إسماعي
حذف
أسامة
أشرف
محمد رضا
نعيمة
فاطمة
صالحة
مبروكة
زكية
٥) عزوز ولد ١٩٢٠ م
عبد العزيز
عمرو
أحمد
أحمد
فتحي
إبراهيم
شريف
خميس
صبحي
سمير
سامية
٦) أحمد ولد ١٩٥٢ م
جمالات
جلال
جلنار
عصام الدين
عزوز
أدهم
خديجة

منافذ بيع أصدرات روائع

كتبها المفكر الإسلامي / أحمد عزوز الفرخ

١- كلمة حق .. مترجم (E&F) إنصافا لرسول الإنسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. والرد على الغرب .

٢- مناسك الحج والعمرة .

٣- النسب الذكي .. وأهل البيت والصحابة ... والتابعين الكرام .

الناشر لهم : دار الحرم للتراث / القاهرة / خلف الجامع الأزهر / أمام باب كلية الشريعة والقانون .

٤- فتاوى أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٥- الإمامان الحسن والحسين رضي الله عنهما .

٦- أجمل ما قرأت .

٧- أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما .

الناشر لهم : المكتبة المحمودية / القاهرة / بجوار جامع الأزهر .

٨- أم الإسلام .. السيدة الفضلى / خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

٩- بنات الإمام الحسين : السيدة / سكينة ، السيدة / فاطمة النبوية رضي الله عنهم .

الناشر لهما : دار الحسين الإسلامية للطبع والنشر والتوزيع / القاهرة / خلف جامع الأزهر – ٢٥ حارة المدرسة .

١٠- غزوة بدر الكبرى .

١١- أعمام النبي صلى الله عليه وسلم .

١٢- جدي الأكبر .. الصحابي الجليل / سعد بن عبادة رضي الله عنه .

١٣- أبي الأكبر .. الصحابي الجليل / قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما .

الناشر لهم : مركز الإسكندرية للكتاب / الإسكندرية / ٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة / أمام باب كلية الحقوق .

١٤- غزوة أُحُد .

١٥- الأسطورة العسكرية عبد الرحمن الغافقي بطل معركة بلاط الشهداء .

الناشر لهما : دار الإيمان / المنصورة / شارع مستشفى الطوارئ .

تحت الطبع للمؤلف

المفكر الإسلامي/ أحمد عزوز الفرخ

1) الدولة الأموية .
2) الدولة العباسية .
3) قراءة وكتابة .
4) البيارق وحوارات إسلامية .
5) دولة بني أمية الثانية في الأندلس .
6) طيار الإسلام الأول جعفر بن أبي طالب وابنه عبد الله رضي الله عنهم .
7) فتى الكهول عبد الله بن العباس رضي الله عنهما .
8) من مجهولي الإسلام رضي الله عنهم .
9) الخلفاء الراشدون .
10) رأيتها تبكي – رواية – .
11) إسكندرية حبيبتي .. وشخصيات سكندرية هي حبتهم .

المحتويات



* أحمد عزوز الفرخ
* تارخ الميلاد : يوم الجمعة ٢٨ ربيع ثان ١٣٧١ هـ الموافق
٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٢ م بالإسكندرية
* مثله الأعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
والسيدة / خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

ليس أصـــدق في روايـــة التـــاريخ وتحـــديد خصـــائصه من قصص حيـــاة الأشخـــاص الذين صنعـــوا هذا التـــاريخ وليس أصـــدق في رواية الحيـــاة العـــامة من الحيـــاة الخـــاصة إلا من خلقوا هذه الحيـــاة العـــامة ولعـــبوا على مســـرحها وأدوا الأدوار الكبـــرى فيـــها.

فالحيـــاة الخـــاصة للكبـــار هـــي الصـــورة الخـــالية مـــن التـــزييف للعصـــر الذي ينتمـــون إليه أو الذيـــن ينتمي إليهـــم ، وسيـــرة كـــاتب هـــذه السطـــور (مصـــري مســـلم ، سكندري المـــولد والنشـــأ والإقـــامة ، قـــدوته سيـــدنا محمد – صلى الله عليه وســـلم – وسيـــدة نســـاء العـــالمـين أمي الحبـيـبة ، وأم الإســـلام ، السيـــدة الفضلى/ خديجـــة بنت خويلد رضي الله عنها)

أحمد عزوز الفرخ
جمهورية مصر العربية
الإسكندرية